



جامعة وهران 2  
كلية العلوم الاجتماعية  
قسم علم الاجتماع  
اطروحة  
لـ نيل شهادة دكتوراه علوم  
في الانثروبولوجيا

## النظام العشائري في منطقة القبائل من خلال تنظيم تجمعات

دراسة ميدانية بمنطقة تيزي وزو

الأستاذ المشرف  
مولاي حاج مراد

من إعداد الطالب  
زمور غانية

تشكيلة لجنة المناقشة:

الصفة	الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
رئيسا	الزاوي حمزة	أستاذ	جامعة وهران 2
مشرفا	مولاي حاج مراد	أستاذ	جامعة وهران 2
مناقشا	يعلاوي أحمد	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران 2
مناقشا	مولوجي صورية	أستاذة باحثة أ	مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية crasc_oran
مناقشا	بلياد الغالي	أستاذ	جامعة تلمسان
مناقشا	رحوي عباسية	أستاذة محاضرة أ	جامعة تيزي وزو

الموسم الجامعي  
2021/2020

## Résumé :

Le système tribal dans la région Kabyle est représenté dans l'organisation de Tajmaath, la seule institution dirigeante dans le village kabyle. Cette structure coutumière a réussi à diriger le pouvoir de décision dans la région tout en réconciliant la dimension réelle du rôle joué par Tajmaath et l'adaptation entre la structure politique, sociale et économique de la société algérienne dans le cadre d'un ensemble strict de lois coutumières. Ces lois ont réglementé la vie sociale des villages prioritairement à travers plusieurs pratiques, et a imposé des sanctions qui varient selon la violation et son acteur, qui vont toutes en parallèle avec la loi positive algérienne, il n'y a par conséquent pas de droit coutumier qui affecte la constitution et vice versa .

**Mots clés :** La Kabylie, Le système tribale ,Tajmaath, Les lois coutumière.

## *Tribal system in the Kabyle region through rganization of Tajma'ath/*

### Abstract :

The tribal system in the Kabyle region is represented in the organization of Tajma'ath, the only ruling institution in the Kabyle village. This customary structure has managed to direct decision-making power in the region while reconciling the real dimension of the role played by Tajma'ath and the adaptation between the political structure, social and economic aspects of Algerian society within the framework of a strict set of customary laws. These laws have regulated the social life of villages primarily through several practices, and imposed sanctions that vary according to the violation and its actor, all of which go in parallel with the positive Algerian law, there is therefore no customary law that affects the constitution and vice versa.

**Key words :** Kabyliia, The tribal system, Tajma'ath, customary laws .

النظام العشائري في منطقة القبائل من خلال تنظيم تجمعات \_دراسة ميدانية بمنطقة تيزي وزو

### الملخص:

يتجسد النظام العشائري بمنطقة القبائل في تنظيم تجمعات الذي يعتبر المؤسسة الوحيدة الحاكمة في القرية القبائلية. فقد استطاعت هذه التركيبة العرفية أن تتحكم في سلطة القرار في المنطقة، وذلك من خلال التوفيق بين البعد الحقيقي للدور الذي تلعبه تجمعات، والتأقلم بين البنية السياسية و الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، تحت مجموعة قوانين عرفية صارمة. فقد عملت هذه الأخيرة على تنظيم الحياة الاجتماعية للقرى بدرجة أولى من خلال عدة ممارسات، و فرض عقوبات تختلف حسب المخالفة و فاعلها، و كلّها تسير بالموازاة مع القانون الوضعي للجزائر، فلا قانون عرفي يمس بالدستور والعكس صحيح.

كلمات مفتاحية: منطقة القبائل، النظام العشائري، تجمعات، القوانين العرفية.

مقدمة عامة:

من الواجب الرجوع للدراسات الانثربولوجية الجزائرية و تحريرها من أقلام شرقية وغربية، من أجل إنصاف هذا البلد وتاريخه، والارتقاء بمواضيعه الاجتماعية والتاريخية والسياسية مصاف الاختصاص والطرح العلمي، لإثراء الوعي الذاتي بمادة أصلية ثابتة حول مواضيع لَقَّها الصمت وأخرى طُمست حقيقتها الكاملة، بل تم تحريفها أحيانا.

لاحظنا أنّ ما كتب عن تاريخ منطقة القبائل حتى الآن، لا يتناسب و حجم الثراء المعرفي و الحضاري، و سعة نتاجه الثقافي، فقد بقي رصيد المنطقة من التاريخ خصبا، ومادة خامة تستدرجنا لاستنطاقها و استقراءها وفقا للتقاليد الأكاديمية و الأطر العلمية اللازمة. رغم مرور عدّة سنوات من الانثربولوجيا الأكاديمية فهذا ما أيقض منا روح بالمسؤولية و كلفنا مهمة البحث في موضوع من بين عديد المواضيع المسكوت عنها في منطقة القبائل، فالنظام العشائري لما له من أهمية تاريخية و قيمة علمية استقطبت باحثين من حقب تاريخية مختلفة.

فقد أدى غياب الحكم المركزي في فترات معينة من تاريخ الجزائر، إلى ظهور نظام حكم بديل غطى على الفراغ الذي عانته السلطات القضائية في البلد. و قد كان لظهور نظام حكم الجماعة كأهم هيئة عملت على توطيد التوازن في المجتمع، وإعادة بناء القيم الإسلامية، و خاصة بعد سقوط الدولة الموحدية وضعف الدولة الزيانية و انشغال الأمراء بالتناحر السياسي، وكذلك توجيه جهود الدولة خلال العهد العثماني نحو الغزو البحري الذي

لحق بالجزائر، ثم الحملة الفرنسية. أين عُرفت مرحلة الاستعمار الفرنسي من بين أهم المراحل التي اهتمت بدراسة أنظمة الحكم و توزيع السلطة والسيادة، محاولين معرفة القيم وعوامل الدمج في المجتمعات الأمازيغية بصفة عامة.

عُرفت الحقبة الاستعمارية في الجزائر بالبحوث الاستشراقية و الاثنوغرافية و حتى التقارير الوصفية على شمال إفريقيا بصورة عامة، لكن الجدير بالذكر أن منطقة القبائل كانت أكثر استهدافا من قبل الباحثين الفرنسيين من خلال الضباط الذين تحرّوا حول المنطقة لأغراض عسكرية. أين حظيت المنطقة بدراسات عميقة و مفصلة حول جميع مظاهر الحياة، و هذا من خلال الدراسة التي قام بها و نشرها كل من "هانوتو ولوتورنو **Hanoteau et Letourneux**" بعنوان : "منطقة القبائل و الأعراف القبائلية" سنة 1893 من ثلاث أجزاء تم التطرق فيها إلى جميع مظاهر الحياة الاجتماعية لمنطقة القبائل، ثم تليها دراسة على شكل أطروحة سنة 1921 ل "كامبردون هاكون" **Camperdon Hacon** التي اهتمت بالأعراف القبائلية و حللتها، أين أثار اهتمام الباحثين الأجانب "قانون البربر " آنذاك الذي أبى أن يرضخ للإدارة القضائية الاستعمارية فكان نقطة التقاء عدة دراسات و اهتمامات أخرى تمثلت في أعمال "بوسكي" **Bousket** التي تناولت المسائل التي يطرحها تعارض الإدارة القضائية الاستعمارية التي تطبق التشريعات الفرنسية مع الأعراف القبائلية في سنة



1950، كذلك برزت أعمال "مارسي" **Marcai** المتميزة التي خصصها لتصحيح منهجية القانون البربري "العرفي" سنة 1939<sup>1</sup>

لهذا استوقفنا إشكالية مفادها **إعادة طرح** موضوع "تاجماعت كمؤسسة عشائرية" الذي يعتبر موضوع أنثروبولوجي بحت يفتح المجال لدراسات عديدة حول منطقة القبائل التي لطالما كانت مسرحا لدراسات تاريخية جلبت انتباه باحثين من عدة تخصصات سواء جزائريين كانوا أم أجانب. كذلك باعتبار منطقة القبائل أرض أنثروبولوجيا خصبة كل ما تعمقت فيها كل ما اكتشفت مدى اكتنازها لعادات و تقاليد تتفرد بها عن باقي المناطق في الجزائر، إذ أن الدراسات تأتي متسلسلة و مترابطة لدرجة أنّ كل نتيجة بحث عبارة عن تساؤل لبحث آخر.

**نهدف** من خلال هذه الدراسة التي سننجزها، إلى إعطاء صورة واقعية لكيفية مشاركة "تاجماعت" في تنظيم الحياة الاجتماعية للمجتمع القبائلي. ومحاولة إظهار طبيعة العلاقة بين دور تنظيم تاجماعت ومسار التحولات التي مسّت مختلف المجالات في المجتمع الجزائري، لمعرفة مدى توازي الأدوار بين المؤسسات الرسمية للدولة ومؤسسة تقليدية كتاجماعت رغم جدلية العوامل التي تتالت عليها في فترات مختلفة من الزمن .

ثم الوقوف على مجمل التصوّرات التي صاحبت المجتمع الجزائري حول منطقة القبائل و تنظيمهم الاجتماعي. كما أن هذه الدراسة تسمح لنا بترجمة نسبية لتفكير الفرد القبائلي في

<sup>1</sup> لقد أشرنا لأهم الأعمال التي كتبت حول منطقة القبائل، فتعتبر هذه الأخيرة المعروفة والأكثر تداولاً كمراجع و مصادر لمختلف الأعمال الحديثة سواء من الناحية التاريخية للمنطقة، أو من ناحية دراسات أنثروبولوجية للقبائل.

فضاءاته التقليدية و معرفة سبب الحفاظ على كل ما هو أصيل في ثقافته. إلا أنه جدير بالإشارة إلى أن اختيار مؤشرات اجتماعية و التي تظهر بقوة في الدراسة من أجل رصد و فهم التغيرات التي عرفتها منطقة القبائل، لا يعني إهمالنا للمؤشرات الأخرى، و لا يمكن أن ننسب كل التحوّلات للعوامل الاجتماعية فقط، فقد رأينا أن العامل الاجتماعي يجمع تداخل العوامل الأخرى من السياسية و الاقتصادية و حتى الثقافية، و هذا ما سوف نراه في البحث.

فقد كان أهم ما يميز تاريخ منطقة القبائل في الجزائر، تنظيمهم الاجتماعي المعروف تحت اسم "تاجماعث" و هي الجماعة التي نظم كبار أعيان القبائل أو العروش الذين توكل إليهم مسؤولية تنظيم الشؤون السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و كما يكون التشريع و القانون و الحكم في ظل "تاجماعث" تنفيذيا، أين يسمى شيخ القرية الذي يتولى إدارة "تاجماعث" "أمغار" أو "الأمين" و يعطي حولا للخلافات مهما كانت طبيعتها أو حجمها و إلى جانبه يوجد "الطامن" فمهمته تنفيذ القرارات ذات الطابع الخاص فيما يتولى "الأمين" تنفيذ القرارات ذات الطابع العام .

يعتبر تنظيم تاجماعث من أقدم التنظيمات في منطقة القبائل بصفة خاصة و أمازيغ شمال افريقيا و حتى جنوب مصر بصورة عامة، فحسبَ بعض القراءات الأولية المتوفرة والتي راجعناها منذ بداية مسار البحث، أنه نظام قديم يعود إلى عدة قرون بسبب رفض السكان التعامل مع مختلف المحتلين الذين تعاقبوا على الجزائر بصفة عامة و منطقة القبائل بصفة خاصة، فقد برز بقوة دور تاجماعث في العهد العثماني أين سمحت الدولة العثمانية

لهذه المؤسسة التقليدية أن تزاوّل نشاطها كجهاز قضاء مستقل عن مؤسسات القضاء في المدينة، بالعكس فقد حظيت باهتمام واحترام الحكم العثماني، فقد اعتبر الأشراف المرابطين الذين يحكمون قرى منطقة القبائل من خيرة المجتمع و محل ثقة في قراراتهم التي كانت تدعّمها الدولة المركزية في الجزائر لدرجة أنّ معظم تعيينات المرابطين على رأس القرى جاء على طلب الدّاي خلال الفترة العثمانية. وبقي دور تاجماعت واضحا بشكل كبير في العهد الاستعماري الفرنسي بالجزائر حيث غلق سكان القبائل على أنفسهم في قراهم الجبلية ورفضوا التعامل مع المستعمر أو الخضوع لقوانينه، و قد طوروا لأنفسهم قوانين عرفية يحتكمون إليها في نزاعاتهم و إدارة مختلف شؤونهم، و تنظيم الحياة الاجتماعية، كما أسندوا شؤون تسييرها و الإشراف على تطبيقها ل "تاجماعت" فقد كانت السلطة الحاكمة الوحيدة في المنطقة، ولهذا انعزلت بشكل نسبي عن المؤسسات الرسمية التابعة لأجهزة الدولة بصفة عامة، مما جلب انتباهنا أنها لازلت لحد الآن تحتكم لتاجماعت ومازال نظام ذو وزن في منطقة القبائل رغم جميع التطوّرات الطارئة على أجهزتها الرسمية التي من شأنها تنظيم و تسيير الحياة اليومية لمواطنيها.

بالمقابل كانت السلطة المركزية<sup>2</sup> تعرّض مؤسساتها إلى استحداث أنظمة حكم وقوانين تتماشى و تطور الأوضاع الأخرى للبلاد، منها الإلغاء و الحذف و التعديل كل حسب ما يتطلبه المجتمع و ما يتوقف عنه حدة الأوضاع السياسية و الاقتصادية و تفاقم

<sup>2</sup> \_نقصد بها مؤسسات الدولة الرسمية و كل ما تابع للحكومة مباشرة .

المهام على أجهزة الدولة و مؤسساتها، لذا نأتي لطرح تساؤل عن فعالية هذا النظام العشائري الذي يعتبر ذو أجهزة و إمكانيات محدودة وسط كل هذه التطورات فإلى أي مدى كسب ثقة السكان في قراراته بغض النظر على ما تقوم به أجهزة العدالة من جهود من أجل القيام بوظيفتها الأساسية في العدل و إمكانية تحقيق المساواة؟

أردنا أن نعرّج إلى أهم ما توصلت إليه الدراسات و التي اعتمدناها ذلك حسب أهميتها ومدى تأثيرها على دراستنا، فمنها المحلية التي تناولت المجتمع القبائلي بحد ذاته و كل ما هو متعلق بنظامه العشائري، و منها تلك التي تشابهت في نفس الطرح لكنّها عالجت الأنظمة العشائرية على المستوى العربي بشكل عام أين رأيت أننا ملزمون بذكرها ، لكن تحققت نفس النظرة للموضوع، و تتشارك في زاوية دراسة الأنظمة العشائرية . كما أننا نتبعنا مسار الدراسات التاريخية التي كان لها الفضل في الفصل في موضوع منطقة القبائل و لعلّ أكثرها أهمية ما يلي:

## 1\_ دراسات أنثربولوجية و أنثولوجية حول منطقة القبائل : و نذكر منها التي لها علاقة

مباشرة بموضوع الدراسة :

### أ\_دراسة أدولف هانوتو<sup>3</sup> و لوتورنو:

---

<sup>3</sup>أدولف هانوتو(1814\_1897) ضابط فرنسي، كرّس حياته لخدمة مصالح الإستعمار الفرنسي في الجزائر بالبنديقية و القلم .وصل إلى الجزائر سنة 1945 برتبة ملازم ، و عيّن سنة 1846 موظفا في الإدارة المركزية للشؤون العربية التي كان يشرف عليها الجنرال أوجين دوماس ، و اقتضت منه هذه الوظيفة تعلم اللغتين العربية و الأمازيغية، ثم عيّن رئيسا لمكتب الشؤون العربية بالمدينة لبعض الوقت ،ليشارك بعدها في الحملات العسكرية التي استهدفت منطقة الزاوة خلال سنوات :1847،1854،1856.في سنة 1859 عيّن قائدا على مركز ذراع الميزان العسكري، ليحوّل إلى ثكنة حصن نابوليون (لربعا ناث ايرائن)سنة 1860 ،ثم عاد إلى مدينة الجزائر سنة 1862 لتسند إليه المديرية العامة لشؤون الاهالي ، ليعود ثانية إلى قيادة ثكنة لربعا ناث ايرائن سنة 1866 و هناك تفرّغ لتحرير كتابه حول منطقة القبائل.

تعدّ هذه الدراسة بمثابة موسوعة اجتماعية-ثقافية لمنطقة جرجرة في القرن التاسع عشر و هي عبارة عن مؤلف من ثلاث أجزاء معنون بـ : " منطقة القبائل و الأعراف القبائلية"، تعتبر هذه الدراسة من بين المؤلفات الكولونيالية التي تطرقت لخصوصيات منطقة القبائل ، أين تعرض المؤلفان في الفصل الأول من الدراسة إلى وصف البيئة الطبيعية والتركيب الجيولوجي للمنطقة، من خلال الغطاء النباتي و الحيوانات، وكذا جنس السكان المتواجدون في هذه البيئة و كيفية توزيعهم على الأعراش و كل ما يتعلّق بحياتهم اليومية من أكل و ملابس و نشاطاتهم الإقتصادية و صناعاتهم التقليدية. كما بيّن في هذا الجزء من الدراسة اللّغة و الديانة المعتمدة في منطقة القبائل لتلك المرحلة. لقد كان تفصيله في هذه الدراسة كأرضية خصبة لفهم الوضع الاجتماعي الذي كان الهدف من البحث، بالتالي خصّصا فصلا كاملا لذكر "نظام الجماعة الذي تمثّل في تجمعات القرية، وقسما كاملا في السلطة القضائية للقرية .

لقد تطرقا في الجزء الثاني من الكتاب كل ما يتعلق بالنظام السياسي و الإداري في منطقة القبائل ، و الذي يعتبر الأنظمة الأكثر ديموقراطية و أكثرها بساطة في نفس الوقت، فهو مبني على "الشعب" الذي بدوره كاف لممارسة كل الأدوار في عملية الحكم، أين يتشكل هذا النظام من مبادئ غريزية أساسها التعاون القائم على التضامن لهؤلاء السكان،فهو النظام الذي لا يكلف السكان أي تكاليف إلا قليلا في حالات التناضي أو الغرامات ، فالفرد

يكون في علاقة مباشرة مع نظام القرية أين يخلو من أي تعاملات ورقية أو وساطة الكترونية مما هي عليها الآن الإدارات الحديثة .

فقد فصل هانوتو في مجال تنظيم العلاقات بين السكان من خلال علاقات الجوار والتساكن، الزواج و الطلاق، و كل معاملات البيع و الشراء، الرهن، الشفعة، الوقف والإقراض، و جزء من الحقوق و الواجبات و أنواع المخالفات و العقوبات التي تشمل الحياة الاجتماعية في القرية القبائلية .

و لكن بشكل أدق خصص هانوتو الجزء الثالث للجانب القضائي من خلال البحث في القوانين العرفية، منها من فصلّ فيها و منها من تمّ ذكره فقط، و هذا بسبب تركيزه على مناطق دون أخرى أي مناطق التركيز العسكري بشكل خاص و هي المناطق البارزة في دراسته : محور ذراع الميزان ، محور حصن نابوليون (الأربعاء ناث ايراثن) ، محور تيزي وزو ، محور دلس .

من خلال قراءتنا لهذه الدراسة نلاحظ طابع التمركز العرقي وذلك من خلال الأفكار المصاغة، والتي توحى بالتحضير للتوغّل داخل المنطقة المدروسة، واستغلال أعيان القرى لتقديم القوانين العفوية مكتوبة جاهزة بالحرف العربي من أجل استغلالها في دراسته، و لكن وكأنما يوصل فكرة \_ من خلال التطرق المفصل لهذه القوانين \_ بأنّ فرنسا المتحضرة أتت لتقدّم يد العون للجزائر المتخلفة، وذلك من خلال القوانين العرفية التي درسها بشكل سلبي عل أنّها استعباد للبشر، و كما أنّه تطرّق بشكل خاص لمكانة المرأة في المجتمع الزواوي، إذ

اعتبرها دون قيمة و على أنها بضاعة يتم التمتع بها في ظل مجتمع ذكوري. كما أنه اعتمد إشارات تلميحية تطاول من خلالها على أبطال المنطقة، وخصوصا النساء منهم أمثال " لالا فاطمة نسومر" وهذا ما ذكره أيضا كثير من الباحثين، أنه ورد في الدراسة التطاول الواضح في عرضها من خلال " ...غرفتها كانت موضع منعزل، ذات ضوء خافت ، تستقبل فيها الزوّار فرادى، مع تخصيصها وقت أطول للشباب"<sup>4</sup> وهذه الجملة التي استتكرها كل الباحثين من هذه الدراسة. فلم يتوقف عندها فقط بل تطاول و وصف بأشكال مسيئة عدّة أبطال المقاومة.

لكن رغم كلّ هذا هناك نوع من الموضوعية العلمية التي يجب علينا كباحثين أن نقرّ بها، و هذا من خلال نقل الثقافة الشفوية القبائلية بفضل أعمال هانوتو ، و ذلك الكم الهائل من المعلومات التاريخية و الخصائص الاجتماعية للمجتمع الزواوي ، التي نعتمدها الآن في كثير من الدراسات الاجتماعية و الانتربولوجية ، فقد لا يخلو بحث عن الزواوة دون ذكر مراجع هانوتو كأقوى مصدر مفصّل في حياة القبائل .

## ب\_ دراسة إيميل ماسكوري:

شكّلت دراسة إيميل مسكوري حدثا نوعيا في الدراسات الانتربولوجية حول المجتمع القبائلي ، حيث تُعتبر أعماله في المنطقة بمثابة مرجع جامع للحياة الاجتماعية و التاريخية في المنطقة و التي مهدت للدراسات الأنتربولوجية الأكاديمية ، لكن لا يمكن إلاّ استخدامها

<sup>4</sup> أ هانوتو ، أ لوتورو : منطقة القبائل و الأعراف القبائلية ، ترجمة مخلوف عبد الحميد ، تقديم محمد أرزقي فرّاد ، دار الأمل ، سنة 2013 ، الجزء الثاني، ص 18 .

بتحفظ و حذر لأنها لا تخلو دائما من النظرة الاستعمارية الفرنسية للمجتمع الجزائري .فقد قدم ماسكوراي أطروحته سنة 1886و التي قسّمها إلى ستة أجزاء و التي تناول من خلال إشكالية ظهور الجماعات الحضرية في كل من منطقة القبائل و واد ميزاب و منطقة الأوراس .

فقد أتى أولا بعرض الجماعات السكانية للمناطق الثلاثة ، و مدى تقاسمها عدّة عوامل ثقافية و اجتماعية فيما بينها و أهمّها النظام الاجتماعي المتمثل في "الجماعة" الذي لديه نفس الركائز في كل منطقة و كذا ، تطرّق ماسكوراي إلى أن هذه الجماعات السكانية لديها ميزات اجتماعية تنظم حياتها مثل الحرمة و العناية ، طقوس احتفالية و القانون المشترك الذي يتقاطع الثلاث في نقاط معيّنة .

ثم قام بمقارنة و تحليل القوانين العرفية التي تحكم الأوراس و القبائل و ميزاب و التي استنتج أنّها تعمل على الاستقلالية القانونية و السياسية .كما أنّه اعتمد على دراسة هانوتو و لوتورنو فيما يخص الظاهرة التنظيمية و التشكيلات الاجتماعية في قبائل جرجرة ، و كذلك البنى الأساسية التي تبنى عليها القرية .

ثم انتقل إلى تحليل العرش على مستوى منطقة الاوراس ، فقد بيّن أن تشكيلة الأعراس عندهم ليس كاملة الاركان بفعل التنقل المستمر للجماعات السكانية بعكس الاعراس التي تناولها هانوتو في منطقة جرجرة و التي اعتبرها أكثر ثبات من غيرها .فالحركة هي العامل الوحيد الذي يتحكم في هذا النوع من التركيبات الاجتماعية .



كما انتقل في جزء آخر إلى دراسة المجتمع المزابي و البنية القبلية فيه و قد قارنها بالبنية القبلية لمنطقة القبائل في جرجرة ، إذ يرى أنّهما يختلفان من حيث المرجعية التاريخية و الدينية لكلا التركيبتين ، و كأنّه هنا يُثبت العوامل الأساسية لتكامل البنى الاجتماعية و نجاحها و كذلك تكوين الاعراش فهذا كله راجع لعامل الثبات و الاستقرار ، و كذا الثوابت الدينية المتفق عليها و التي توحد الاعراش .

ثم أتى في جزء آخر لمقارنة المدن و الحظائر الرومانية القديمة بالمدن الموجودة بمنطقتي القبائل و واد ميزاب ، و مدى توفرهما على العناصر الثقافية و العمرانية المشتركة، فقد وجد تشابه في التشكيلات الاجتماعية مثل " الخروبة" أو " ثخروبت" حاليا في منطقة القبائل هي نفسها التشكيلة الرومانية ، فهي تعني في كليهما عدد من المنازل يحملون نفس اسم العائلة .

أما في الجزء الأخير فقد حلل ماسكوراي البنية التنظيمية و السياسية لمنطقة القبائل في جرجرة و ذلك بعرض القوانين العرفية السائدة في ذلك الوقت، و كيف تم التوفيق بينها و بين الحياة العامة للقرى .

إن اهتمام ماسكوراي بمنطقة القبائل في جرجرة أكثر من أي منطقة رغم دراسته للشاوية و بني ميزاب ، يُظهر مدى استعداده لمعرفة كل تفصيل دقيق قد يُساهم في إنجاح المشاريع الاستعمارية ، و ذلك بتشجيع فكرة الايديولوجية و القومية كوسيلة لعزل المنطقة عن باقي الجزائر. فقد تظهر جليا التوجهات الايديولوجية في دراسته من خلال التفاسير التي قدّمها

حول كيفية ممارسة الحلول التنظيمية للمشروع الاستيطاني الفرنسي و ذلك بتنظيم سياسة

تربوية خاصة بالمناطق الجبلية ، بحيث وجّه ماسكوراى اقتراح إلى Jules Ferry

و ذلك من أجل إنشاء مدارس فرنسية تحارب من خلالها المدارس التي لها علاقة بالديانة

الإسلامية في منطقة القبائل<sup>5</sup>.

## 2\_ الدراسات الأكاديمية المحلية :

أ\_ دراسة ماستر في التاريخ الحديث بعنوان " نظام الجماعة في منطقة القبائل خلال العهد

العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي 1815\_1881" من إعداد صونية بوراس و دليلة

دعبوز ، فقد كان البحث مقسّمًا الى أربعة فصول و خاتمة تضمّنت نتائج البحث ، أين كان

الفصل التمهيدي عبارة عن نظرة عامة حول منطقة القبائل و الذي يشمل على الواقع

الجغرافي للمنطقة و التنظيم الاجتماعي السائد فيها ، ثم الفصل الأوّل الذي أتى بعنوان نظام

الجماعة في القرية القبائلية خلال العهد العثماني و الذي تضمن مبحثين تناولا مفاهيم حول

نظام الجماعة ، كما تم التطرّق إليها أيضا تحت اسم " تاجماعت" ثم أعراف المنطقة ، أين

تطرقت الباحثة إلى معظم الممارسات و الأنشطة التضامنية ، و كيفية تسيير الحياة

الاجتماعية . أمّا الفصل الثاني فقد أتى ليبيّن كيفية مواجهة نظام الجماعة للاستعمار

الفرنسي ما بين 1830\_1857 م و الذي تفرّع لمبحثين أوّله تاجماعت في مواجهة الحملة

على مدينة الجزائر ، و كيف ساهمت في تجنيد الأهالي للتصدّي للعدو ، و كيف تمّ تنظيم

<sup>5</sup> \_Collona ,Fanny : du bon usage de la science coloniale du le mal de voir-cité par Françoise Liemdorfer, p 58 .

الأعراس للمشاركة في التصدي. ثم يليها فصل يتناول المقاومة المنظمة في منطقة الزواوة، و الوقوف عند اسهام تاجماعت ومساندتها للمقاومة في منطقة القبائل بصفة خاصة. ليختتمها الفصل الأخير الذي تناولت فيه الباحثة سياسة فرنسا اتجاه تاجماعت 1857\_1881م، و الذي يندرج تحته مبحثين ، الأول تناول تاجماعت في ظل الحكم العسكري 1857\_1871م أما الثاني: تاجماعت في ظل الحكم المدني .

نرى أنّ هذه الدراسة عبارة عن تتبع مسار تاريخي، أين تميّزت بتطرقها السريع للعناوين و أنّ كل عنوان أتى على شكل تعاريف مقتبسة دون التعقيب عليها أو تحليلها أو حتى ذكر خلفيات تقسيم البحث لهذه الفصول ،والأهم أنّ الباحثة لم تذكر سبب حصرها للبحث في تواريخ محدّدة دون غيرها ، وحتى أنّ البحث لم يذكر أي نقطة تلاقي تاجماعت تلك الحقبة مع تاجماعت زمن قيامها بالبحث و هو سنة 2015. و كما أنّ الباحثة أغفلت الدور الاجتماعي الذي أدّته تاجماعت في ذلك الوقت ، و هو الحفاظ على حياة السكان في ظل الظروف الصعبة فقد اكتفت بتبيان الجانب العسكري وكما غفلت الدراسة في تبيان كيف تعاملت مؤسسة تاجماعت مع الخونة أثناء الحرب ، و ما هي قوانين التعامل مع العدو و ما عقوباته.

\_دراسة ماستر أخرى من تقديم سيليا أكلي (2018) " التركيبة الاجتماعية في منطقة وادي الساحل أواخر العهد العثماني " تخصص التاريخ الحديث ، جامعة البويرة .في مجمل القول، الدراسة وجيزة من 90صفحة أين تطرقت الباحثة للنظام الاجتماعي القبائلي في

منطقة واد الساحل و المتكوّنة من مجموعة من القرى تتركز بشكل سلسلة فاصلة بين ولايتي البويرة من الناحية الشمالية و تيزي وزو .

لقد تمّ تقسيم العمل إلى ثلاث فصول، سمي الأول بالتمهيدي إذ تناولت فيه الباحثة التعريف بالمنطقة جغرافيا و الوقوف عند خصائصها الطبيعية و الديموغرافية ، و الرجوع لتاريخ المنطقة من خلال تقديم من هم السكّان الأصليين للمنطقة، من مرابطين، العرب، اليهود، والسود.بينما تم تخصيص الفصل الثاني للبنية القبلية للمنطقة و ذلك بتقديم أهم القرى والأعراش التي تتكوّن منها منطقة واد الساحل، والتي كذلك بدورها تنقسم إلى تصنيفين، اليمنى و اليسرى اعتبارا للواد " الساحل" الذي يقسم المنطقة قسمين .ثم أتت في الفصل الآخر للحديث عن النظام الاجتماعي و فيه تناولت القرية والأسرة والمجتمع، والعادات والتقاليد التي تنظم الحياة الاجتماعية وتطرقت بشكل وجيز لتاجماعت ،وأهم القوانين العرفية المعمول بها في منطقة واد الساحل .

لقد اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي و قد كان الوحيد في منهجية البحث ، أي أن البحث أخذ طريقة السرد التاريخي للتركيبية الاجتماعية في المنطقة في مدة زمنية معيّنة و التي كانت في أواخر العهد العثماني و بداية المرحلة الاستعمارية الفرنسية و قد كان من اللازم مقارنتها مع الوقت الحالي أي طرح تساؤل رأينا أنّه مهم و هو ما هي الميزة التي اتسمت بها تلك المرحلة مقارنة بالحاضر ؟و ما هي العناصر الاجتماعية التي كانت و لاتزال في الوقت الحاضر و ما هي العوامل التي أدّت بالتركيبية الاجتماعية لمنطقة واد

الساحل للتغير؟ فلماذا رأينا أن المنهج التاريخي لوحده في دراسة مجتمع ما و خاصة تحديد الدراسة بتسليط الضوء على التركيبة الاجتماعية ، و التي تمثل تراكم عدّة عناصر بفعل الزمن .

كما أن الباحثة فصّلت كثيرا في تقديم المنطقة من الناحية الجغرافية بشكل دقيق وذلك من خلال الكم الهائل من المعلومات التي تخص العناصر الطبيعية للمنطقة من الغطاء النباتي و الجبال و الروافد المائية و الثروة الغابية، و هذا ما رأينا أنه غير إلزامي باعتبار أنها تدرس الجانب الاجتماعي بشكل خاص ، بينما تطرّق بشكل وجيز لا يتعدّى الصفحة الواحدة للجانب المهم وهو التركيبة السكانية للمنطقة من خلال تناولها المختصر للمرابطين و السكان الأصليين و العبيد و يهود المنطقة . أين اكتفت بصفحة للتعبير عن هذه العناصر .

كما أتت في الفصل الموالي للتطرّق لأعراس المنطقة ثم تاجماعت و عناصرها، و هنا لم تعد للمسار التاريخي لتشكل تنظيم تاجماعت رغم أن تخصص البحث هو التاريخ ، فقد اكتفت بما قيل من مفاهيم للدراسات السابقة حول عناصر القرية و التركيبة الاجتماعية لها . كما أن الدراسة تتعدّم فيها تقريبا المرحلة العثمانية فلم نصادف أن الباحثة تحدثت عن هذه المرحلة، و كيف أثر التواجد العثماني في منطقة واد الساحل رغم أن هذا يتصدّر عنوان الدراسة، و هذا ما سنراه نحن في طرحنا هذا .

3\_ دراسات عربية حول الأنظمة العشائرية: لقد أفادتنا هذه الدراسات في معرفة الأنظمة العشائرية في بقية البلدان العربية و ما علاقتها بالسائدة في الجزائر و هل يتقاسمون نفس الأشكال العشائرية ، وما أهم مظاهرها :

أ\_ القضاء عند البدو، نظام العشائر العرفي و دمج التكاملي في إطار الدولة و سياستها من عام 1921م حتى عام 1982م، دراسة للدكتور أحمد عويدي العبادي، دكتوراه في الدراسات السياسية و الاجتماعية من جامعة كيمبردج البريطانية سنة 1982. إنَّ الغرض من هذه الأطروحة، هو وصف النظام القضائي العشائري في شرق الأردن و التحوّل الذي طرأ عليه لغاية عام 1982 م و هي سنة القيام بهذه الدراسة، لقد كان هدف الدراسة هو البحث في قوانين الإشراف على البدو التي أصدرتها الحكومة الأردنية لترتيب و تنظيم النظام القضائي العشائري ، و قانون العشائر العرفي و تشريعاتها ، و كذا مجمل التغيرات التي طرأت على المجتمع العشائري، فقد أكّد الباحث على قوّة القوانين و تأثيره على الأفراد و الجماعات العشائرية ، ليسمو أحيانا إلى درجة تفوق تلك التي يصل إليها القانون المكتوب .

فيشكّل القانون العرفي للعشائر الأردنية جزءا لا يتجزأ من هويتهم الشخصية و الثقافية، فهو يعتبر دستور ضبط اجتماعي شرعي تعترف به الجماعة. كما أنّه يشكّل سمة مميّزة للمجتمع العشائري، صاغه كبار هذا المجتمع و شيوخهم و قضاتهم و ذلك ليقدم اهتمامات و احتياجات المجموعة و ليزوّدها بالأمن و الحماية.

لقد قسم الباحث دراسته إلى أربعة أبواب رئيسية : حيث يتناول في الباب الأول خلفية تاريخية مختصرة لشرق الأردن، و فشل الأتراك في ضبط عشائر بدو الأردن، بينما نجحت هذه العشائر نفسها بأداء مهمة الضبط هذه، وذلك من خلال إصدارها لقوانين الإشراف على البدو. كما يلقي الضوء على خلفية التاريخ الاجتماعي المؤدية إلى إصدار وإلغاء هذه القوانين، في هذا الباب من البحث نجد كيف أنّ للدولة الأردنية اعترفت بهذه الإجراءات العشائرية، و ذلك من خلال قوانين الإشراف على البدو و القضايا العشائرية الهامة التي تناولتها تلك القوانين .

أمّا الباب الثاني فقد تناول العرف و التشريع العشائري الأردني و خلفياته، و ما ارتبط به من مفهوم للقرينة الاجتماعية و نسق القرابة والروابط الاجتماعية غير القرابية، بالإضافة إلى مبادئ التشريع و القانون القبلي في بدر الأردن. ثم يأتي الباب الثالث الذي يتعلّق بالنظام القضائي العشائري ، و كذا صفات القضاة و المؤهلات التي يجب أن تتوفر في المحاكم .ثم قام الباحث بتصنيف قضاة العشائر اعتباراً لخصائص معينة مع مراعاة العامل الزمني و التغيّر الاجتماعي و السياسي .

كما كرّس الباحث الباب الرابع للتشريع القبلي وشروطه، و طرق تقديم القضايا العشائرية في الجلسة أمام القاضي العشائري، وذلك بناء على المبادئ و الممارسات العملية العرفية لقانونهم، و في الأخير تطرّق الباحث إلى العقوبات التي يصدرها مجلس القضاء العشائري.

إنّ هذه الدراسة الثرية التي تحصلنا عليها إثر زيارتنا العلمية للأردن ، كانت من أهم الدراسات الجاهزة و التي يمكن أن تكون مرجع مهم في العلوم الاجتماعية عامة و طرح الأنظمة العشائرية خاصة. استطعنا من خلال هذه الدراسة معرفة جوانب عدّة من النظام العشائري ، و كيفية التفاضل لهذا النوع من المحاكم العشائرية.

إنّ هناك علاقة جد واضحة في عدد من النقاط بين هذه الأنظمة التي تطرّق إليها الباحث والنظام العشائري في منطقة القبائل، فالمبدأ واحد و هو ابتكار نوع من القانون العرفي يتم المصادقة و الاتفاق عليه، يخضع له السكّان و يتناقلونه جيل عن جيل ليعتلي مكانة مقدّسة لا يمكن التعديّ عليها، إلّا أنّ العشائر في الأردن فرضت نفسها بشكل مطلق ولها علاقات مع السلطة المركزية و حتى أنّها هي من تدعّم القوانين العرفية في هذه العشائر وتساهم في نشاطها على مستوى العشائر، وكما أن الدولة معترفة بهذا النوع من الأنظمة، على خلاف الجزائر، فالقانون العشائري الذي تعتمده منطقة القبائل مقتصر فقط عليها دون غيرها من المناطق و حتى أنّ الدولة لا تدعّم هذا النوع من الممارسات العشائرية ولا تعترف بأعرافها، لجهة أنّها تعتبرها السلطة المضادة للدولة. ثم أنّ هناك بعض الاختلافات بين النظام العشائري في الأردن و منطقة القبائل من خلال اختلاف التسميات (القضاء العشائري/ تاجماعث ) (القاضي العشائري / الأمين) .

**دفعنا** هذه الاهتمامات السابقة إلى خوض مسار بحث لمعرفة لغز هذه المنطقة ونظام حكّامها الذي جلب انتباه كبار الباحثين ، لمعرفة ما السرّ وراء بقاء نظام حكم تقليدي



صامدا رغم جميع التحولات الطارئة على منطقة القبائل خاصة و الجزائر عامة.لطرح تساؤل مفاده: إلى أي مدى تم التوفيق بين الأبعاد الحقيقية للدور الذي تلعبه تجمعات في القرية و بين التأقلم مع البيئة السياسية و الإدارية في المجتمع الجزائري ؟

فافتراضنا أن التغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري في جميع ميادينها خاصة قطاع العدالة الذي مسته عدة تعديلات تتماشى و الأوضاع السائدة في كل مرحلة،و نخص بالذكر تعديلات الدستور التي مست القانون الجزائري مؤخرا و كذا الحركات التي ظهرت في منطقة القبائل التي دعت بالانفصال عن السلطة المركزية،أدت بسكان هذه المناطق إلى سحب الثقة من قرارات مؤسسات العدالة. وهذا ما أدى بالسكان إلى إيقاظ فكرة انتمائهم والعودة إلى ما هو تقليدي في هويتهم كحل من أجل فهم سيرورة الأوضاع في منطقة القبائل و ذلك بإعادة تأسيس مؤسساتها الاجتماعية التي كانت على وشك الانحلال في عجلة الحداثة و التغيرات ،و التي تدخّلت أجهزة الدولة بشكل جزئي في قراراتها، على أنّها لا تتماشى و القوانين الوضعية للبلاد و قد كان عودة نشاط تجمعات كأبرز مؤسسة ذات وزن في المجتمع التقليدي القبائلي.

من بين الأسباب الدافعة التي أجبرتتنا على اختيار موضوع دراستنا، تلك التي صنفناها بالأسباب الذاتية ذات الطابع العلمي و ليس انسياق للذاتية ، باعتبار أنّنا الباحث من جهة و المبحوث من جهة أخرى .

إتقان الباحث لغة المبحوثين ، مما يسهل عملية التواصل ، باعتباري أنتمي إلى المجتمع القبائلي و سهولة التعامل مع المبحوثين ، دفعني إلى اختيار هذا الموضوع مع العلم أن أغلب المبحوثين الذين أتعامل معهم من فئة كبار السن لمنطقة القبائل " تيزي وزو " تحديداً، فهذه الفئة غالباً ما تتقن اللغة الأمازيغية فقط ، مع الإشارة إلى وجود بعض الأفراد من عينة البحث تتقن نوعاً ما اللغة العربية الفصحى و نجد ذلك عند أئمة المساجد و حفظة القرآن في المدارس القرآنية ، و فئة أخرى تتقن اللغة الفرنسية و ذلك يشمل فئة هاجروا لمدة معينة لفرنسا ثم عادوا إلى الوطن ، فهنا لعبت اللغة دوراً هاماً في التواصل و فهم المبحوثين، ما يسهل الفهم السريع و التأويل لبعض الإجابات الصادرة من خلال المقابلات مما سمح لي المناقشة و الحوار معهم بعمق سواء الممارسات الاجتماعية ، الدينية ، الطقوسية ، وحتى الجانب الشخصي من حياتهم .

اختيار ميدان الدراسة ، من خلال المعرفة الجيدة للمنطقة من طرف الباحث: هذا ما ساعدني بتمييزها عن باقي المناطق الأخرى من حيث التركيبة الاجتماعية و تاريخ التحولات التي طرأت على المنطقة في فترات مختلفة سواء التغيرات التي شهدتها، أو التي سردها علينا كبار المنطقة .

### منهج الدراسة:

لقد تميّزت الظاهرة الإنسانية بكونها ظاهرة معقدة تتكوّن من أكثر من بعد على خلاف الظاهرة الطبيعية ، لهذا نجد أنفسنا أمام مناهج و أدوات بحث متعدّدة ممّا يجعلنا

أمام إشكالية اختيار المنهج المناسب لطبيعة الموضوع المدروس، فقد تبين لنا أننا ملزمون بالتطرق إلى المقاربات لرسم معالم و حدود الدراسة ، باعتبار أننا نتعامل مع موضوع ثري تاريخيا و اجتماعيا و ثقافيا لهذا سوف يتم تسطير منهجية البحث وفق المقاربات التالية:

## 1 \_ المقاربة الأنثروبولوجية (التاريخية) : رأينا أنه من اللزوم البحث في الإرث

التاريخي أو بالأحرى الأنثروبولوجي من أجل فهم أكثر للمواضيع العلوم الاجتماعية بصفة عامة ، فرغم أنّ المقاربة الانثروبولوجية للمواضيع المحلية هي نفسها المقاربة الاستعمارية لتلك المرحلة المكّلة بالأبحاث حول شمال افريقيا و الجزائر بوجه الخصوص أين كانت حصة الأسد لمنطقة القبائل التي كانت مسرح للأعمال الاثنوغرافية و الاثنولوجية من طرف باحثين من جهة أو عسكريين ، من أجل تقديم المادة الأولية للإدارة الفرنسية كإحصائيات و التقارير التي تشمل مجمل الحياة الاجتماعية للمنطقة و بذلك تسهيل عملية تطويق المنطقة و محاصرتها في مقومتها و ضرب مبادئها كخطوة لإضعافها . إنّ الاستناد في دراساتنا لهذا الإرث الكولونيالي لأهداف علمية أصبح من الضرورة منهجيا فلا يمكن دراسة تاريخ منطقة دون الرجوع لما تمّ تداوله سابقا ، و ذلك من خلال الاستغلال الايجابي و الموضوعي للدراسات الاستعمارية بعيدا عن طرح أحكام مسبقة ، أو إظهار عقدة الاستعمار كي لا تؤثر هذه النزعة على الاستفادة من الجانب العلمي و الفعال للدراسات التي أقيمت . إذ تم تصنيف الخطاب العلمي المعرفي للدراسات الكولونiale حول الجزائر من

طرف باحثين أهمهم "فرانسوا ليمدورفير" François Liemdorfer و الذي لخص الأبحاث في خمسة مراحل مبينة كالتالي :

\_ قبل الحملة الاستعمارية (قبل 1830) أبحاث استكشافية .

\_ بداية مرحلة السيف والقلم (1870\_1880) الدراسات العسكرية .

\_ مرحلة الكتابة و البندقية (1870\_1914) العلم +القوة .

\_ مرحلة الذكرى المئوية للدخول الفرنسي في الجزائر (1930).

\_ عودة البندقية (1945\_1962) مرحلة المقاومات .<sup>6</sup>

سوف نقوم بتتبع كرونولوجي لأهمّ الدراسات في هذه المراحل كما سنتطرق لاحقا لأهمها

و التي تخدم موضوعنا بشكل أدق .لقد كانت الدراسات الأساسية و المهمّة :

\_ « **Vingt-six mois à Bougie** » لقد كان أوّل مؤلف باللغة الفرنسية بعد الحملة

الفرنسية على سيدي فرج في سنة 1830 و قد كان Edouard Lapene، أوّل من كتب

حول منطقة القبائل.

فبعد تسعة سنوات من هذه السنّة قام الكولونال إدوارد لابان بعد نوليّه منصب مهم

في منطقة بجاية القبائلية، بدراسة المنطقة و جمع معطيات و ملاحظات حول الحياة اليومية

<sup>6</sup> \_Liemdorfer .François : **Discours académique et colonisations \_thème de recherche sur l'Algérie pendant la période coloniale** (le corpus du thèse du droit et lettres – 1880\_1962) Ed publisud /Paris 1992, P269 .

لسكان منطقة القبائل ، والتي كانت تمهيدا لما بعد 18 سنة لغزو المنطقة عسكريا ، كما كانت دراسته تمهيدا لعدة أجزاء نشرت بعد ذلك حول المنطقة .

\_ في سنة 1857 ، كتب <sup>7</sup> **Henri Baron Aucapitaine** ، مؤلفا من 35 صفة حول

الحدود العسكرية لمنطقة القبائل الكبرى تحت سيطرة الحكم العثماني و الذي كان بعنوان:

« **les confins militaires de la grande Kabylie sous la domination turque**  
**,province d'Alger** »

\_ و المؤلف الثاني الذي قام به **Henri Baron Aucapitaine** ، سنة 1864 ، بعنوان :

« **Etudes sur le passé et l'avenir des kabyles.les kabyles et la**  
**colonisation de l'Algérie** » ، و الذي سلط الضوء على التنظيم السياسي و الاجتماعي

للقبائليين، و كذا علاقتها بالإدارة الجزائرية ، لقد كان مؤلفا صغيرا من 180 صفحة إلا أنه تناول فيه عدة نقاط مهمّة في منطقة القبائل بدءا من تقديم أبعادها الجغرافية ، ثم تقسمها لعشائر قبائلية كما تميّز باهتمامه بمنطقة القبائل من خلال عدة دراسات :

\_Les beni-Mزاب : Sahara algérien, challamel ainé 1687 .

\_Études sur le passé et l'avenir des kabyles.les kabyles et la colonisation de l'Algérie , Alger ,Bastide, 1864 .

---

<sup>7</sup> **Henri Aucapitaine** , dit le Baron Aucapitaine , né le 04 novembre 1832 à saint\_maurice\_de\_tavernol\_France ; mort du choléra le 25 septembre 1867, a bni mansour Algérie . est un officier de l'armée d'Afrique chargé des affaires indigènes , qui a consacré une grande partie de ces travaux à l'étude de la Kabylie.

\_Études sur l'origine et l'histoire des tribus berbères de la haute Kabylie ,impr impériale ,1860 .

\_La zaouia de chellata , excursion chez les zaouaoua de la haute Kabylie , Genève , j .G .Fik , 1860.

\_Le pays et la société Kabyle (Expédition de 1857).Paris , A.Bertrand ,1857.

\_Etudes sur les Druzes ,Nouvelle annales des voyages février 1862 ,Paris .

\_Mollusque terrestre et d'eau douce de la haute Kabylie ,1862 .

لقد صدر عن المؤلف " ميتز Metz\_ ، مذكرة أكاديمية بين سنتي 1846\_1847، بعنوان :

#### « Tableau historique ; sociale et politique sur les kabyles »<sup>8</sup>

فقد أتت هذه الدراسات كأبحاث ميدانية في منطقة القبائل و التي حاولت تفكيك المجتمع القبائلي و دراسة كل أجزاءه و البحث في التركيبة السكانية كخطوة أولى ثم معرفة عاداتهم اليومية و كيفية تقسيم العمل بينهم و ما هي مجمل أدواتهم المستعملة و خاصة تمّ التركيز من طرف الباحثين على الجانب المادي فيما يخص الأسلحة التي يعتمدها سكان قرى القبائل للدفاع عن أنفسهم تمهيدا لحوصلة ستقدم لاحقا للضباط العسكريين ، أين بدأت الدراسات التقارير التي تقدم الفرد القبائلي على أنه منفرد و كما ظهرت في طيات هذه الأبحاث النزعة الانقسامية بين العنصر العربي و القبائلي .

من خلال الدراسة التي نشرها "هانوتو و لوتورنو" بعنوان بلاد القبائل و التقاليد القبائلية (1893) و الدراسات الإثنوغرافية التي قام بها "شارل فيرو" و كذلك أطروحة "ماسكوراي"

<sup>8</sup> \_pdf de ces copies numérique sur : <http://books.google.com>

\_تقريبا جميع هذه الكتب متوفرة على موقع خاص ، إلا أنّ هناك من المراجع من يكون متوفّر على موقع أمازون فيجب دفع مستحقات لشراءه .

و التي تعتبر من أبرز الدراسات التي دونت عن عادات و تقاليد منطقة القبائل، حيث تعتبر هذه الدراسات الأكثر تداولاً في الأبحاث الحديثة فقد أصبحت المرجع الأساسي لدراسات شمال إفريقيا، و ذلك لاتباعها منهج تحليلي منطقي، و خاصة دراسة هانوتو التي فصلت في الحياة الاجتماعية لمنطقة القبائل و كذلك اعتماده للمفاهيم البسيطة و المحلية في مصطلحاته. فقد كانت أهم الدراسات مايلي :

\_Formation des cités chez les population sédentaire de l'Algérie (Kabyle du djurdjura ,chaouia de l'Aoures, Bni Mzab ) **par E . Masqueray** 1886, c une thèse présenté a la faculté de lettre de Paris .

فقد بين ماسكوراي في دراسته هذه أهم خصائص منطقة القبائل و الأوراس و بني مزاب و ما يميّز هذه المناطق من مصطلحات محلية فريدة ، مثل " الحرمة ، العناية ، المشمل ، الاحتفالات الموسمية ، نظام الجماعة و القوانين التي تحكمها ، التوفيق ، كما قام بدراسة كل من قوانين الأوراس و بني مزاب و الربط بينهما ، ثم قام بتحليل تركيبة المجتمع القبائلي و كذلك وصفه للحياة في القرى ، و كيف قسّمت منطقة القبائل إلى أعراش و كفدراليات و كيف كان القانون العرفي ينظم حياتهم ، و بالموازاة كان ماسكوراي يتطرق إلى قوانين الأوراس ، و قصور ميزاب ، ثمّ أنهى دراسته بأمثلة عن أهم القوانين العرفية في تلك الفترة .

كما كان لإيميل ماسكوراي عدّة أعمال أخرى منها :

\_Kabylie du jurjura , un ouvrage partagé avec Jules liorel , une collection de 16 fev 2016.

\_Souvenir et Visions d'Afrique , dans une collection du mai 2016.

\_Aoulad \_Daoued 1879.

\_Ruines anciennes de kenchela (mascula) a Besserini 1879 .<sup>9</sup>

أعمال هانوتو و لوتورنو البارزة و التي تعتبر الأقرب أكاديميا أهمها :

\_La Kabylie et les coutumes Kabyles 1873.

حيث يعتبر هذا العمل الأكاديمي الأكثر تأثيرا على مسار الأبحاث حول الجزائر بصفة عامة و منطقة القبائل بصفة خاصة ، فقد كان مزيجا بين الدراسات الاجتماعية و القانونية و السياسية لقبائل جرجرة و قد أتى على 3 أجزاء لكل جزء عنوان ، و بعد الاستعانة بهذا المصدر الأساسي تبين لنا أنّ الجزء الثاني هو أهم جزء يمكن الاعتماد عليه في دراستنا و التي سنتطرق إليها بالتفصيل لاحقا .

لقد تنوّعت الدراسات التي صنفت ضمن الدراسات العسكرية و التي كان قائما عليها

مجموعة من الباحثين أمثال ، "Daumas & Fabar et carette , devaux ."

والتي استعملت للإخضاع و السيطرة على المناطق المدروسة ، لكن هناك من الباحثين من رأى أن هذه الدراسات تبقى في إطارها الانتربولوجي و التي أنتت ضمن الإثنولوجيا التطبيقية والتي سيحتاجها السياق التاريخي للأحداث ، و خصوصا دراسة هانوتو و لوتورنو التي أحدث

<sup>9</sup> إن هذه الاعمال الاخيرة متوقّرة عن طريق الدّفع عبر موقع أمازون. لكن تتوفّر أجزاء صغيرة من كل دراسة تم نشرها حول منطقة القبائل، فقد اعتمدها أكثر من باحث و خاصة تخصص التاريخ.



خلفا بين الباحثين أمثال **Alain Mahi، Lacost ،Fanny Colona** فكلّ له رأيه في تصنيف الدراسة هل هي من أجل الاستغلال العسكري أم تعتبر موسوعة انثربولوجية درست بشكل منطقي منطقة القبائل، وجعلت لأبحاثها منهجا علميا ؟

لقد كان المجتمع القبائلي ميدانا للأبحاث عبر سنوات فترة الاحتلال، أي منذ 1830 و الباحثون تناوبوا على تحليل التركيبة الاجتماعية لمنطقة القبائل ،فرغم النية التي يبيّنوها في أغلب البحوث، إلا أنّ هناك دائما حلقة مفقودة و تساؤل لطالما راودنا و هو ما سبب كل هذا الاهتمام و التركيز على القبائل دون المناطق الأخرى من الجزائر، إلا أنّنا لا ننكر بعض الدراسات التي نشرت حول التوارق و الشاوية و بعض العادات في المناطق الأخرى، لكن تبقى قليلة و كأنّها سطحية ، أو بصريح العبارة غير مستهدفة.

يمكننا القول أنّ الدراسات التي تلت البحوث التي أقيمت من طرف العسكريين كأبحاث **هانوتو و لوتورنو و كذا مذكرة ماسكوراي** ، أنّها صنّفت ضمن أعمال الإنتاج المعرفي ، والتي سمّيت بالأكاديمية كمرحلة جديدة للبحث حول القبائل ، فقد كان أهمّها الأعمال اللغوية لـ **روني باسييه Reni Basset**، من خلال منشوره حول أبحاث في عقيدة البربر والألسنية و الأدب الشعبي لـ **أندري باسييه André Basset**.

أبحاث الجغرافية اللغوية في منطقة القبائل ، فكلّ هذه الأعمال كانت بين سنتي 1910 و، و كذا أعمال **سعيد بوليفا Said Bouliff** من خلال اهتمامه بالشعر القبائلي، 1920.

و كذا دراسته حول جرجرة عبر التاريخ ، لتليها الدراسات السوسولوجية و المقالات العلمية ،التي كانت تنشرها الجمعية التاريخية الجزائرية " **Revue Africaine** " التي نشرت في سنة 1956 حتى 1962<sup>10</sup> .

إذا تحدّثنا عن المقاربة الأنثروبولوجية و الاثوغرافيا لمنطقة القبائل تحت ما يسمى بالمقاربة الاستعمارية ، فهنا لا يمكننا أن لا نذكر و لو بشكل وجزير أعمال الآباء البيض و الذين أتوا بمشروع صنّف على أنّه من سياسات الدمج و الإلحاق التي عازمت فرنسا على تنفيذها من خلال عدّة أساليب و التي أتى أهمّها في الحملات التصيرية أو سياسة التمسيح، فقد أنشأ لهذا الغرض " جمعية الآباء البيض" و التي أشرف عليها مباشرة الكاردينال لافيغري، و الذي عزّزها بجمعية أخرى هي " الأخوات البيض" ،و اللتان بدءا ينشطان في أعمال صنّفت بالخطيرة و ذلك على صعيد المغرب العربي ، و التي تمثّلت في المنطقة الساحلية و الشرقية و الغربية لكل اتجاهاتها الطبيعية.

إنشاء كنائس و مدارس و ملاجئ لليتامى و مستشفيات و مكاتب و مراكز الاتصال بالناس. إنّ الظاهر في أعمال الآباء و الأخوات البيض من خلال هذه المشاريع على أنّها مؤسسات ذات خدمات إنسانية ،و لكن في الحقيقة لها أبعاد أكثر من ذلك و هي تقبل المستعمر و الحد من روح العداة ، كما يتم شحن السكّان بفكرة أن المستعمر أتى لخدمة و تطوير البلاد و ليس التخريب .

<sup>10</sup> \_ بلعلی یونس : الفضاء الديني و التحوّلا السوسيو\_ثقافية في القبائل الصغرى ماجستير علم الاجتماع ، جامعة وهران ، 2010. ص 29.

في هذا السياق علّق الدكتور محمد أرزقي فرّاد في مؤلفه الذي طُبِع عقب لقاء على مستوى المجلس الأعلى للغة العربية في سنة 2012 ، بمناسبة احتفالية نوفمبر ، فقد عُنون اللقاء بـ " تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية \_بلاد الزواوة نموذجاً\_ " جاءت غالبية الدراسات الفرنسية المخصصة للمجتمع الزواوي في هذا السياق المغرض ، لذا يجب التنبية إلى الأخطار التي قد تشكلها قراءتها خارج سياقها التاريخي، و إعادة طبعها مرفقة بإرشادات و تفسير المختصين ، كي يتم توارثها في صفتها الصحيحة ...مستدلاً في حديثه " و قد فوجئت بإعادة طبع التقرير الذي كتبه أوجين دوماس سنة 1856م و سلمه للماريشال راندون (الحاكم العام للجزائر )، ليستفيد منه في حملته التي استهدفت إخضاع الزواوة سنة 1857، و الذي طبع في فرنسا ، في كتاب بعنوان " القبائل " و كلّه مدح للزواوة و قدح للعرب و دعوة صريحة إلى زرع الفرقة و العداوة بين العنصرين بشكل تجاوز الحدود...، و من دواعي القلق أن يتم إعادة طبعه سنة 2001م تزامناً مع حركة العروش في بلاد الزواوة و هذا لا يستبعد أن يكون هذا بصورة مقصودة لدفع الأوضاع للتفاقم<sup>11</sup>

**2\_المقاربة الميدانية :** إنّ اعتماد المقاربة الميدانية الإمبريقية في الدّراسات الأنتربولوجية بشكل عام تعتبر خطوة ذات أهمية بالغة ، و من بين المؤسّسين الذين أحنوا على هذه الضرورة نجد مؤسس التيار البنيوي " كلود ليفي ستروس " **claude lévi\_strausse** ، و كذا مؤسس التيار البنائي الوظيفي " فرانس بواس " على أن المعاينة هي الطريق الوحيد

<sup>11</sup> \_محمد أرزقي فرّاد : تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية ، منشورات المجلس ، الجزائر ، 2012، ص 13.

لاكتشاف الواقع و التعمق في خصوصياته، بل و اكتشاف الواقع المعاش و صيرورة الأحداث تأتي عن طريق المعاينة الإمبريقية والتي تعتمد بدورها على المنهج الوصفي التحليلي، و كذا المنهج المقارن الذي يأتي من خلال الدراسات الاستطلاعية و دراسة الحالة و تحليل المضمون و الدراسات المسحية أو ما يسمى بالمسح الاجتماعي<sup>12</sup>، و من هذا المعطى الذي يسمح لنا بتحديد مناهج و أدوات تهيكّل البحث و توجيه فرضياته، والتي تبقى مجرد إستراتيجية عمل يسلكها لمعالجة إشكالات الباحث. فرغم تنوع المناهج إلا أنّ نمط الدراسة هو من يحدّد نوع المنهج اللازم إتباعه ففي دراستنا اعتمدنا المنهج التاريخي والوصفي لعدّة أسباب و التي سنبيّن هنا و كذا كيف تمّ استعمالهما :

## 1\_المنهج التاريخي :

لقد رأينا أنّ المنهج التاريخي من بين المناهج المناسبة لدراسة موضوعنا ، فنحن بصدد دراسة مؤسّسة تقليدية من منطقة محدّدة في الجزائر ، فإذا أخذنا هذه المؤسّسة الفريدة من نوعها و نشاطها و البحث في تمثّلاتها و ممارساتها ، فلا يمكننا الإحاطة بها ما لم نبحث في تاريخها فهنا نلعب بعامل الزمن الذي له دور كبير في تحقيق المنهج التاريخي . و الوقوف عند أهم الأسئلة التي من خلالها نبنى إطار دراستنا. فالمنهج التاريخي الذي نعتمده لدراسة أحداث الماضي و تفسيرها و تحليلها بهدف الوصول إلى معارف تساعد في تحليل الواقع من هذه الأحداث و كذا التنبؤ لما قد تلحق لها مستقبلا .

<sup>12</sup> \_مصطفى عمر التير : مساهمات في أسس البحث الاجتماعي ، دار الإنماء العربي ، ط1 ، 1989 ، ص 55.

كما يمكننا القول هنا أن المنهج التاريخي كثيرا ما يرتبط بالسوسيولوجيا من خلال المنهج السوسيولوجي\_تاريخي و الذي يعتمد على التاريخ كمتغير ثابت من جهة و السوسيولوجيا كمتغير تابع، و في موضوعنا يكونان مرتبطان بالتحولات التي من خلالها نبني تطوّر دراستنا فالسوسيولوجيا ذاتها منذ تأسيسها كعلم سواء بمعناه الوضعي أو الابستيمولوجي، ظلّت رهينة التاريخ ، و بالتالي لا يمكن أن تتبلور خارج التاريخ " إنّ التاريخ يمثل نوعا آخر من النظر ينافس القدرة الإلهية في عملية تنظيم الأحداث ، تصنيفها و إيجاد معنى لها"<sup>13</sup>.

إنّ هذا الترابط بين المنهج التاريخي و السوسيولوجيا تسمح لنا بكتابة تاريخي اجتماعي لا يقتصر فقط على سرد الأحداث التاريخية المرتبطة بالنظام العشائري في منطقة معينة ، بل إعادة بناءه في بعده الاجتماعي الحاضر .

إنّ الهدف من استخدام المنهج التاريخي في دراستنا للنظام العشائري هو فهم الماضي من هذا النظام و الاستفادة منه لدراسة الواقع و طرح التساؤل كيف أصبح النظام العشائري في الوقت الحاضر؟ "ليس من الممكن قط معرفة واقعة معينة دون معرفة كيف تشكّلت ، و ما هو تاريخها... ذلك التاريخ الذي يوجد في ذاكرة كل الفاعلين"<sup>14</sup> ، و هل سيبقى على حاله مستقبلا ؟ ، فهذا لا يتحقّق، إلّا من خلال تطرّقنا للمسار التاريخي للمؤسسة العشائرية ، و كذا التطرّق لتاريخ المنطقة و خلفيات الظاهرة العشائرية القبائلية . بعد ما نحصل على المادة التاريخية للدراسة نكيّفها بالحاضر و تنسيق الأحداث مع ما هو حاصل في المجتمع

<sup>13</sup> \_Jacques Berque : *L'intérieur du Maghreb* ,Ed Gallimard , 1978, p 194 .

<sup>14</sup> \_Paul Pascon : *Etudes rurales* , Ed , S.M.E.R , Rabat , 1980, p 71.

الجزائري ككل و كأننا ندرس هذه الظاهرة التاريخية داخل وعاءها في المجتمع الحالي، ثم يتم ترتيب الأحداث لتماشى مع منجية الدراسة و أهدافها.

لقد اعتمدنا في استخدام المنهج التاريخي على مصادر رأينا أنّها الأقرب إلى الموضوعية فرغم تعدّد المصادر التي تمدّنا بالمادة الأولية ، إلاّ أنّ الدراسة ساقطنا نحو الوثائق و التراث الشعبي و المواد المنشورة من مطبوعات و كتب كمصادر أولية ، من خلال دراستنا للقوانين و الأعراف فوجدنا وثائق تاريخية تعود لعدّة سنوات ، تخدم بشكل ممتاز موضوعنا ، كما اعتمدنا على حكايات السكّان في منطقة القبائل ، و التي تتجسّد في شكل أساطير يتمّ تداولها حول بعض الطقوس و الممارسات في المنطقة ، ثم كان للمطبوعات القديمة جزء مهم من الدراسة و ذلك من خلال الموروث المكتوب حول المنطقة و حول نظامها العشائري.

فقد أشار ابن خلدون إلى أهمية التاريخ بقوله " أعلم أنّ فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، و الملوك في دولهم و سياستهم ، حتى تتمّ فائدة الإقتداء في ذلك لمن يروونه في أحوال الدّين و الدّنيا"<sup>15</sup>، إذ أنّ أهم ميزة للمنهج التاريخي أنّه يمدّنا بقابلية النّقد ، فلا يمكن أن نسلم بما تمّ كتابته بشكل مطلق حول أي ظاهرة من زمن آخر ، فالنّقد واجب ومن المهم أن يكون بناء و موضوعيا أي ربط الأحداث و استخدام عدّة عوامل

<sup>15</sup> عواد حسن السريحي و آخرون : التفكير و البحث العلمي ، مركز النشر العلمي ، ط1، 2011، ص 222.

لمعرفة مدى صدق مصادره .رغم وجود عدّ مصادر تحوم الشكوك حول مصداقيتها ،فهنا الباحث يجب عليه أن يلعب دور الناقد و المحلّل ،و كذا اعتماده خاصية ربط الأحداث ببعضها البعض.

## 2\_ المنهج الوصفي : إنّ استخدام المنهج الوصفي في هذا النوع من الدّراسات له أهمّية

كبيرة ، و التي تكمن في الدراسة العلمية الدقيقة للظواهر ، ففي دراستنا رأينا أنّه من اللازم اتخاذ المنهج الوصفي كإطار لتحديد الدراسة ، و ذلك من خلال وصف ميدان البحث وكذلك البحث في تفاصيل عينة الدراسة و التعامل معها بواقعية ،و ذلك من خلال تحديد موقع وكيفية تواجد مجتمع البحث ،و الوصف الكيفي لسلوك و ممارسات مجتمع البحث ، و الذي يهّمنا أكثر من الوصف الكميّ و هذا ما تستدعيه الحاجة من الدراسة .

لقد كان المنهج الوصفي مرافقا لنا طيلة الدراسة الميدانية و ذلك من خلال تقنيّتي الملاحظة بنوعيتها المباشرة و الملاحظة بالمشاركة و كذا المقابلات ، فقد قمنا بوصف مجمل الممارسات التي تقام على مستوى منطقة القبائل ،و الأنشطة التي كانت تنظم من طرف تاجماعت ، و منها : الاحتفالات الموسمية كالوعدات و الوزيرة و مواسم بعض المحاصيل التي كان السكّان يحتفلون بقدموها و كما تواجدنا في عدّة مناسبات و كانت فرصة لنا أن نقوم بعدّة مقابلات و التي فتحت لنا باب الاستفسار و التحليل لمختلف الظواهر و العادات التي تعتبر جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع القبائلي و أعرافهم .

لقد تعمدنا استخدام منهجي التاريخي و الوصفي و الغاية منهما هو تحليل الماضي مع تفسير الحاضر و الربط بينهما لفهم الظاهرة العشائرية في منطقة القبائل ، لأنّ موضوع الدراسة يتضمّن عناصر كبرى لها مسار تاريخي ، و كما أنّها لازالت تتواصل في الحاضر .

### 3 \_ تقنيات جمع المعطيات التي اعتمدها للمنهج الوصفي : تكمن أهمية الدراسات

الانثربولوجية في عملية جمع المعطيات، و ذلك انطلاقا من الواقع المدروس، مستهدفة فهم الخصائص الاجتماعية و الثقافية لهذا الواقع و في هذا الصدد قدّم مالينوفسكي ثلاث مقاربات نستطيع من خلالها فهم الأفراد انطلاقا من آراءهم :

\_ وصف التركيبة الاجتماعية، الاستعانة بأمثلة حيّة من الحياة اليومية، الاستشهاد بآراء الأفراد عن طريق تسجيل و تقديم ما يقولونه ، وهذا حتما لا يكون إلا بالاحتكاك معهم وفهم لغتهم<sup>16</sup> ، و هذا أمر مهم و خاصة في دراستنا لأننا بصدد التعامل مع تشكيلة اجتماعية فريدة من نوعها و التي حافظت عن كل ما هو أصلي منذ زمن بعيد ، ة كما أنّ المعطيات ستأتينا مباشرة من التعامل مع الأفراد و ذلك من خلال إتقاننا للغة المبحوثين و المعيشة المستمرة على طول مدّة البحث للمجتمع المدروس .

في البداية تم إجراء زيارات على نطاق واسع إلى مجموعة من القرى و المدن في منطقة القبائل "تيزي وزو" بالتحديد و معرفة ما إن تتوفر جميعها أو معظمها على تنظيم "تاجماعث " ، ثم إجراء مقابلات أولية مع السكان و الاستفسار عن موقع التنظيم .إذن

<sup>16</sup>\_مراد مولاي الحاج : مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الانثربولوجية ،كتب الكراسك ، سنة 2002، ص 21\_30.



تنقسم مقابلاتنا إلى ثلاث: دليل مقابلة خاص بسكان المنطقة، دليل المقابلة خاص بأعضاء تنظيم تاجماعت، دليل خاص ببعض المؤسسات الرسمية كالبديية و التي تأتي بشكل مقابلات مفتوحة مع هذه الفئات من أجل الاستفسار عن علاقاتها سواء الرسمية أو غير الرسمية .

### 1\_1\_الملاحظات الاستطلاعية:

فهنا الملاحظة تؤدّي دور فعّال في بداية البحث خاصة فهي من تعطي لنا المادة الأولية و هي من تشق طريق البحث و تصنع حدوده ، أما في قضية كشف الباحث لنفسه أو التستر عن شخصه كباحث فهذا يتوقف عن نوع العينة أو مجتمع البحث الذي يتعامل معه، فإن كان التخفي يوصله لنتائج أفضل فذلك أحسن لبحثه.

فقد كانت أهم وسيلة لبداية البحث في القرى و المدن في منطقة القبائل "تيزي وزو" بالتحديد لمعرفة ما إن تتوفر جميعها أو معظمها على تنظيم "تاجماعت " ثم تحديد موقع "تاجماعت" في القرية و ملاحظة بعدها أو قربها من المؤسسات الرسمية ، ما شكل المقر وهل تمّ تهيئته بشكل جيّد أم بقي بميزته التقليدية .

\_هل يكون مقر تاجماعت مفتوح أم بناء مغلق و على ماذا يحتوي في جدرانه ، هل يتمّ وضع ملصقات و ما نوعها إن وجدت ؟

1\_2\_الملاحظة بالمشاركة : و التي تتمثل في كل الممارسات التي تشاركها الباحث مع مجتمع بحثه.

\_ إمكانية حضور اجتماعات تجمعات و معرفة مواسم و مناسبات انعقادها و كيفية تجسيد قراراتها ، رغم علمنا أنّ الاجتماعات يقصى منها العنصر النسوي تماما ، و هذا المبدأ الذي لم يمسه التغيير في مؤسّسة تجمعات ، إلا أنّنا مسموح لنا الدخول للمقر كباحث و حتى الاجتماع مع أعضائها و سرد كيفية البدء في الاجتماعات و ما نوع القضايا و كيف يتمّ معالجتها ، دون ذكر الأشخاص المعنيين بالقضايا لأن هذا جزء مهمّ في سرّيّة مهام تجمعات.

\_ جمع صور تمثّل الاجتماعات و النشاطات التي تقام على مستوى تجمعات، و الشيء المهم في هذا الجزء أنّ الفرد في منطقة القبائل لا يمنع تصويره ، و حتى محادثته عن شخصه و تفاصيل حياته في القرية ، و كذا علاقاته مع تجمعات و مع باقي السكّان .

\_المشاركة بانتظام بمواسم الاحتفال مع سكّان بعض القرى ، و تقاسم الأجواء الاحتفالية التي وجدتتها فرصة تجتمع فيها القرية كلّها ، ممّا يسهّل علينا إجراء مقابلاتنا .

### 1\_3\_المقابلة :

يتمّ الاستناد للمقابلات في هذه الدراسة على شكل مقابلات مفتوحة أو نصف موجهة فالباحث تكون لديه أسئلة خاصة ينتظر الإجابة عليها من طرف المبحوثين إلا أنّه

يترك المجال للمبحوث بالتعبير الحر و هذا لا يكون بشكل مطلق ،فهناك دفع واضح من طرف الباحث من أجل توجيه مبحوثيه ،و خاصة فئة المبحوثين من كبار السن رغم أنّ الحديث معهم شيق لكن يجب علينا كباحثين توجيه المقابلة كي لا تخرج عن مسار الدراسة،و الهدف المرجو من المقابلات ،و كما أيضا اعتمدنا أثناء محادثتنا مع المبحوثين طريقة الاختبار النفسي ، و هي الطريقة التي تستخدم في الأنتربولوجيا الاجتماعية في الدراسات الميدانية لتحديد الخصائص الشخصية للفرد في مجتمعه موضوع الدراسة .

إنّ الغاية من استخدام هذه الوسيلة في هذا النوع من الدراسات الاجتماعية هي معرفة الأجوبة الكامنة في المبحوث و التي تدلّ على مدى رضاه من عدمه حول موضوع الدراسة، فنحن هنا بصدد معرفة هل الفرد القبائلي راض عن النظام العشائري الذي يتولى تنظيم حياته ؟ و كيف لا يمكن للفرد أن يقف ضد قرارات هذا النظام ؟ إنّ مجموعة من الأسئلة التي نطرحها على المبحوثين لا تكفينا مجرد الأجوبة ، بل نحن نبحث عن مدى ثقته في أجوبته ، و كيف تعبّر ملامحه عن هذه الأجوبة و هل يوجد تتطابق بين جواب المبحوث وحالته النفسية أثناء المقابلة ، وكذلك فهم التركيبة الخفية و الكامنة للمبحوث من أجل تقييم أكثر شامل لمجتمع البحث .

## 1\_4\_ ميدان الدراسة و مواصفات العينة :

لقد تم اختيار ميدان الدراسة من طرف الباحث ، و هذا انطلاقا من طبيعة الموضوع المدروس ، و الذي يدرس موضوع محلي يتفرع من ثقافة المجتمع الجزائري ، و التي بدورها ميزة تتركز في منطقة دون أخرى ، فهنا أميّز جيدا ميدان قيد الدراسة عن غيره ، لمعرفتي بمجتمع البحث مما سمح لي بتصور المخيال الاجتماعي و النفسي ، و تفكيك ثم إعادة بناء المخيال الديني للسكان في منطقة القبائل .رغم أن منطقة القبائل تشمل على عدّة ولايات على غرار " البويرة ، بجاية ، سطيف ، جيجل ، برج بوعريّيج ، بومرداس و تيزي وزو " إلا أنّ الدراسة أوجبت علينا أن نختار " تيزي وزو" كميدان دراسة بصفة عامة ، و حصر مشكلة البحث في بعض مناطقها لا غير و أتى ذلك بعد ملاحظات ميدانية قام بها الباحث و ذلك من أجل أن يأخذ الموضوع صبغته الأنثروبولوجية الذي يبحث في الخصوصيات ، على حد قول ليفي ستراوس كلود : "عندما يقتصر المرء في دراسته على مجتمع واحد فإنّه يستطيع القيام بعمل ثمين و قد ثبت بالإختبار أن أفضل الأدروسات تمت في الأغلب على يد محققين عاشوا و اشتغلوا في منطقة واحدة" <sup>17</sup> فكأما ذهبنا نحو المركز و الأساس كآما كانت الدراسة أكثر دقة و العكس، لأنّ الدراسات الواسعة النطاق أو التي تدرس مجتمعات كبيرة، فقليلًا ما تكون دقيقة و قد تغفل عن تفاصيل كثيرة.

<sup>17</sup> كلود ليفي ستراوس: الإناسة البنائية، ترجمة حسن قببسي، المغرب، المركز الثقافي العربي ،1،1995، ص 24

أما عن عينة البحث فقد كانت غير قصدية و التي تمثلت في كل أفراد القرية دون استثناء، أي أن المقابلات كانت موجهة لكل شرائح المجتمع في تلك المنطقة، فلم أستهدف أي فئة دون غيرها، لأن ما يهمني هو مدى تقبل سكان المنطقة لتنظيم تجمعات في حياتهم.

### 3\_التغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري:

إن أهمية التطرق للتغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري على جميع أصعده من الأهمية القصوى من أجل فهم موضوع الدراسة و تحديده لأننا هنا بصدد دراسة مؤسسة بتنظيمها و هياكلها و كيفية تسييرها و التي تتموقع في منطقة من مناطق هذا المجتمع،ولهذا لا يمكن عزلها عن باقي المجتمع أثناء الدراسة بل دراستها في موقعها و ربطها بما يحيط بها فهي تبقى عرضة و تحت رحمة التغيرات المستمرة التي يشهدها المجتمع .

من أجل فهم تنظيم تجمعات في القرية القبائلية و التطرق لمسارها و أدوارها سنفهم أولا التغيرات المختلفة المحيطة بها .

### \_ مفهوم التغير:

على المستوى الدلالي بالنسبة للمعجم العربي،نقرأفي "لسان العرب": "الغير: من تغير الحال، و هو اسم بمنزلة القطع و العنب و ما أشبههما...و يجوز أن يكون جمعا واحده غيرة. وتغير الشيء عن حاله: تحول. و غيره: حوّل و بدّله كأنه جعله غير ما كان. و في

التنزيل العزيز: ذلك بأن الله لم يك مغيّرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، قال ثعلب: معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله ... و تغايرت الأشياء بمعنى اختلفت<sup>18</sup>

أما على المستوى النظري شرح رواد علم الاجتماع مفهوم التغيير "كالتقدم" أي أن ما يحدث أو يقع مستقبلا سيكون أفضل ممّا وقع أو حدث قبله ...، والتغيير أيضا يشير إلى انتقال الفرد أو الجماعة من حالة إلى أخرى، داخل بناء اجتماعي تتغير معه أنماط العلاقات و النظم الاجتماعية<sup>19</sup>.

ينظر ماكس فيبر إلى أن التغيير يكمن في تغيير النظام القديم الذي يكون قد استنفذ شرعية قيامه، بنظام جديد، من خلال بروز (قائد) قادر على الاستقطاب من خارج النظام ليستولي على الحكم، و ينشئ نظاما جديدا على أنقاض النظام القديم. يعتبر نهج فيبر في التغيير نهج ذو شقين، فقد أدمج المفهوم الدائري للتطور الاجتماعي بنظرية الخط المستقيم للتطور الثقافي، فالتركيب الاجتماعي \_حسبه\_ يلحق بالتطور الثقافي من خلال دورات الاستقطاب أين يعيد (البناء الاجتماعي) تنظيم نفسه على أسس ثقافية متزايدة العقلانية<sup>20</sup>

فقد تعمّدا التطرّق للتغيّرات كعامل قد يكون سبب في اندثار أو رجوع مفهوم ما في المجتمع، و كذلك تساهم التغيّرات في صمود أو انهيار نظام، لذا فالسلطة المحلية في منطقة القبائل التي تبرز في شكل مؤسسة عشائرية زامنت عدّت تغيّرات و التي سوف نراها

<sup>18</sup> شرقي، محمد: التحوّلات الإجماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية، إفريقيا الشرق، المغرب، سنة 2009، ص25  
للمزيد أنظر: ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد 12، ص40، أين ورد متى يكون معنى تغير: يتبدّل، تحوّل .  
جصاص، الربيع: الحركات الإسلامية و التغيير الثقافي في المجتمع الجزائري، رسالة مقدّمة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع التسمية، سنة 2007، ص12

<sup>20</sup> \_المرجع نفسه، ص13، للإطلاع أكثر أنظر ماكس فيبر في "دور الأفكار في التاريخ"

لاحقا و الأهم أننا سنكتشف هل هذه التغييرات التي مسّت مجمل المجتمع الجزائري أثر على التركيبة المحلية لمؤسسة تاجماعت .

من أجل معالجة دراستنا ارتأينا إلى تقسيم العمل إلى مقدمة عامة و أربعة فصول متوازنة و متكاملة و قد جاءت الوحدات على النحو التالي:

**مقدمة عامة:** تم التطرق فيها إلى مدخل عام للموضوع، و الهدف المرجو من الدراسة، وإلى أين توصلت الأبحاث المهمة بموضوع العشائرية، و ما هي أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الأبحاث، كما طرحنا قضية التوافق و التضاد بين الدراسات التي تناولت نفس موضوع العشائرية في منطقة القبائل، و ما هي نقاط النقد البارزة بين الدراسات السابقة دراستنا المنجزة. ثم شرح طريقة العمل من خلال المنهجية المتبعة .

**مقدمة عامة :** لقد خصصنا الفصل الأول للجانب النظري و المقاربة المنهجية و ذلك من خلال بناء إطار الدراسة و طرح الإشكال، ثم هدف الدراسة، و وضع قالب منهجي ملائم لطبيعة الدراسة، مع ذكر أهم الوسائل المنهجية المستعملة لجمع البيانات. إضافة إلى ترتيب الدراسات السابقة و المشابهة حسب أهميتها و علاقتها بدراستنا، و النظر في أهم نقاط التوافق و الاختلاف بين الدراسات.

**الفصل الأول:** لقد خصصنا هذا الفصل تمهيدا لفهم موضوع النظام العشائري و ذلك من خلال التعريف بمنطقة القبائل وتاريخها و واقعها الاجتماعي بهدف فهم تأثير هذا الواقع

على تواجد النظام لعشائري في المنطقة، و كذلك معرفة أسباب صمود النظام العرفي التقليدي ليومنا هذا في ظل مورفولوجيا اجتماعية فريدة. من المهم جدًا النظر في الجانب الديني و الثقافي و كذا الانتماء الإداري، وكما تتبعنا المسار التاريخي للواقع السياسي في المنطقة، و ربط كل هذه المتغيرات بالوضع الراهن لمنطقة القبائل، و ما دور كل هذه العوامل في اعتماد السكان في حياتهم الاجتماعية لنظام تقليدي عرفي.

**الفصل الثاني:** من خلال هذا الفصل تمّ التطرق لمفهوم العشائرية و المصطلحات المرتبطة بها، ثم إجراء نوع من المقارنة بين الأنظمة العشائرية في الوطن العربي، والنظام العشائري في منطقة القبائل. ثم التطرق لمفهوم الزعامة العشائرية و شروطها، و كيف تختلف التسميات من منطقة لأخرى " عشيرة، قبيلة، قرية، قاضي، أمين، زعيم..". ثم معرفة مدى أهمية القرابة في تشكل القرى القبائلية في المنطقة، و ما هي أهم العلاقات العشائرية التي تحافظ على تماسك المنظومة القيمية في القرية القبائلية.

**الفصل الثالث:** لقد خصصنا هذا الفصل للتفصيل في النظام العشائري "تاجماعث"، من خلال تاريخ المؤسسة القبلية، نشأة النظام العشائري القبائلي، مكوناته، أهدافه، نموذج لقرية من منطقة القبائل و التطرق لنظامها و أحكامها العرفية، فمن خلال هذا الفصل يظهر أكثر لعمل الميداني الذي أقيم على مستوى منطقة القبائل . ثم دراسة مفهوم الأعراف و علاقتها بمنطقة القبائل، و ما هي أهم نشاطات و إسهامات تاجماعث في القرية و دورها في إرساء قيم التضامن و التعاون بين الأفراد.



**الفصل الرابع:** من خلال هذا الفصل عملنا على جمع متغيرات الدراسة من خلال ثلاثية المفاهيم و التي تناولناها طيلة الدراسة و كانت أطراف بارزة فيها، و هي القوانين العرفية ومصادرها و مقارنتها بالقانون الوضعي و الشريعة الإسلامية مع إعطاء نماذج لأعراف منطقة القبائل. وهذا من خلال تتبع مسار القضاء في الجزائر في مرحلتين مهمتين و هما المرحلة العثمانية ومرحلة الاستعمار الفرنسي، ثم كيف تعاملت كل منهما مع النظام العشائري القبائلي. ثم تصنيف العقوبات القبلية في منطقة القبائل.

كما أننا حدّدنا كل فصل بين تمهيد و خلاصة للتوضيح وذكر العلاقة التسلسلية للفصول، ثم ختمنا بنتائج الدراسة و الإجابة عن التساؤل الرئيسي مع إثبات الفرضية.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

### تمهيد

سنتطرق من خلال هذا الفصل إلى جوانب عدّة من الحياة الاجتماعية لمنطقة القبائل، انطلاقاً من تتبع المسار التاريخي للمنطقة، لمعرفة أهم الأحداث التاريخية التي أثّرت على مظاهر الحياة الاجتماعية للقبائل وذلك من خلال ما تظهره الجوانب الدينية و الثقافية للمنطقة، و المحطّات التي تستوقفنا أين سجّلت فيها أهم الأحداث سواء الدينية أو الثقافية لمعرفة أساس التواجد القبلي في هذه المنطقة، وكيف ساعدت طبيعة المنطقة في الحفاظ على كل ما أصيل في ممارساتها، من خلال حرص الفرد القبائلي على سلوكه في القرية بفعل العلاقات الاجتماعية المشتركة التي بدورها ساهمت في بناء نوع من التركيبة الاجتماعية الفريدة.

هل يمكن أن نقول أنّ التركيبة الاجتماعية التقليدية للمجتمع القبائلي هي من سمحت في بقاء نظام حكم تقليدي صامدا كل هذه السنوات؟

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل



(fig. 1/IV. 1) : "Kabylie - Brouillard et chaîne du Djurdjura".

Le Djurdjura vu depuis les crêtes du Massif Central Kabyle fait face et domine massif. Au premier plan, sous le sommet, le village kabyle d'At Atelli. La considérablement le sur la gauche de l'image, annonce Fort-National (ancien Fort- chaîne immédiatement au-delà une vallée mais les crêtes de l'étage au-dessous du Napoléon). Sous les nuages, non pas fond à droite, la chaîne occidentale du Massif Central ne dépassant pas les 500 mètres. Au Mizan culmine au Djurdjura, dont le Heizer qui domine la région de Boghni/Dra el Tafengalt Tachgagalt (2164m). Sur la gauche, suivent dans l'ordre : le mont pyramidal de (2134m) tout juste masqué par le rocher d'Azrou n'Chrèa (2102m), avant l'élévation de plus l'immense façade rocheuse de la cordillère centrale : Timedwin (2305m), le deuxième du Djurdjura. haut sommet

Carte Postale/J. Achard, Photo, Fort-National. Années 1900

# الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

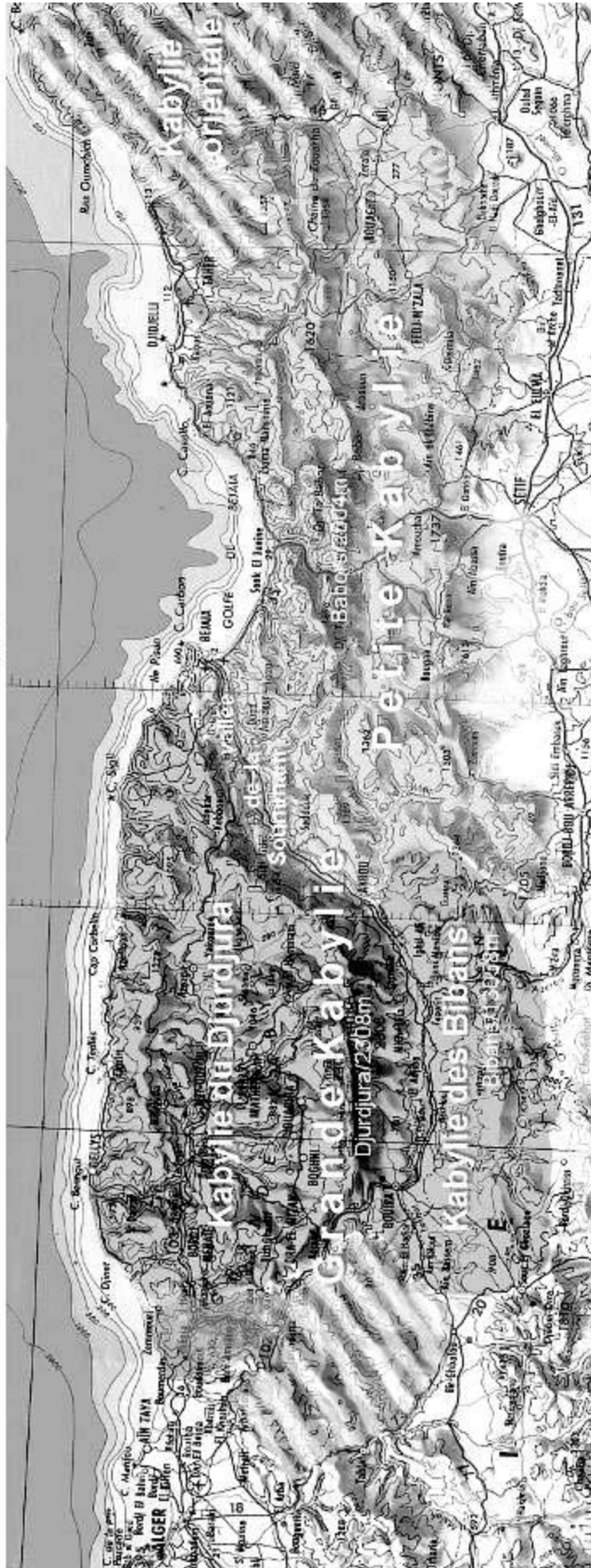
Gris clair : Petite Kabylie

Gris foncé : Grande Kabylie

Hachures : Régions araboponiques

(fig. 1/IV. 1) : Situation géographique des Kabyles dans l'espace tellien nord-algérien

(D'après cartes IGN 1/1.000.000, éd. sp., 1967/Assemblage des cartes N1-30/31° (Alger) et N1-31-32° (Tunis).



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

1\_ نظرة عامة حول الموضوع من خلال الواقع الجغرافي و الجانب التاريخي لسكان منطقة القبائل:

### 1 \_الجانب التاريخي لمنطقة القبائل:

إنّ البحث في مثل هذه المواضيع يتطلّب منّا الرجوع لعدّة قرون للبحث في المصطلحات التي تبنتها العديد من الدراسات القديمة، فقد عبّر عن أغلبها بتسمية واحدة "الأمازيغ" التي جمعت في معناها سلالة بشرية في منطقة معيّنة، لتظهر بعد ذلك مصطلحات لنفس الجنس تداولتها الدراسات كلّ حسب التخصص و زاوية الدراسة، فقد وردت كلمة أمازيغ القديمة من طرف المؤرخ اليوناني هيكتاسيوس الذي عاش في القرن 3 ق.م حيث سمّى سكان شمال إفريقيا بـ "مازيس" و هي كلمة قريبة من اسم أمازيغ أ، أمّا هيروتس في القرن 5ق.م ذكر اسماً هو "ماكسيس" و هي الكلمة التي نقلها عنهم اللاتين بشكل محرّف فسمّوا الشعب النوميدي "مازاس" أو "مازكيس" أو "مازيكس" و كلّها تكون قريبة من المدلول نفسه<sup>1</sup>. رغم أنّ هذه التسميات اختلفت تماماً في الدراسات الحديثة و قليل من ذكرها، و قد نجد عدّة مغالطات سواء في الكتابة الصحيحة أو الحقب الزمنية التي يشار إليها في انتشار تسمية من التسميات .

كما نجد لفظ أمازيغ من فعل "زغ" أي بمعنى الذي يمشي شامخاً كالنبلأ و لقد وردت في دراسة **F.Nicolas**، كما أنّ هذا المعنى ورد في عدّة دراسات أخرى و التي تعني في

<sup>1</sup> بوزياني الدراجي : سلسلة العصبية القبلية ، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها ، أعيانها ، ج1، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007، ص16.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

مجلها الشموخ و الشهامة و النبل ، حيث تمّ الإبقاء على التسمية في شمال إفريقيا ،بحكم أنّ المصادر تذكر أنّ وفداً منهم انتسبوا إلى مازيغ عندما سألهم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن نسبهم و لم يذكر الوفد أي مصطلح تمّ ذكره سالفاً، و إنّما ذكروا أنّ جدّهم الأكبر مازيغ<sup>2</sup> ، فلهذا يتم الاستناد لتسمية "الأمازيغ" أكثر من "البربر" التي اعتبرت عند باحثي التاريخ على أنّها تسمية دخيلة لا تعبّر عن صلب و جوهر السكان الأصليين لشمال إفريقيا .

"القبائل" "القبائل" و "الزواوة" "لوبي" "إفري" و كلّ تسمية مرتبطة بحقبة زمنية معيّنة فلوبي انتشرت في عهد اليونانيين و إفري استخدمها الفينيقيون ،أمّا بربر يرجع أصلها لليونان و التي وظفها الرومان للتعبير عن كل المجتمعات و القبائل الخارجة عن نفوذهم، إلا أنّ المصطلح وُصف بالعنصرية باعتباره يُطلق على كل دخيل على الحضارة الرومانية ، لكن مع مرور الوقت تم تهذيب المصطلح من فتح (ب) إلى كسره (ب) <sup>3</sup> كما أنّنا إذا رجعنا إلى الباحثين فيري ووليام شالر" أنّ التسمية تنطبق على الذين يعيشون في الجبال ،ففي الأطلس الكبير مختلف السلاسل التي تتفرّع منه و التي تحمل أسماء عربية بني سنوس و بين زروال،بني زواوة و بني عباس فكل منطقة من هذه المناطق تعبّر عن نفسها بدولة مستقلة عن غيرها من المناطق <sup>4</sup> ، ففي الجزائر يتناول الباحثون هذه المصطلحات بحسب نوعية دراستهم ، رغم أنّها تعبّر عن نفس الجنس البشري لكنها تسميات مختلفة المصدر و لكلّ

<sup>2</sup> خديجة شنعة : علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ ، شركة الأصالة للنشر ، الجزائر ،2020،ص22.

<sup>3</sup> خديجة شنعة : المرجع نفسه، ص21.

<sup>4</sup> وليم شالر:مذكرات وليم شالر قنصل امريكا في الجزائر(1816\_1824)،اسماعيل العربي ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،د ت،ص113



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

منها زمن معين لظهورها، و إنما سمّوا لكثرة جموعهم "إذ أنّ معنى الزواوة بلغتهم جمع الشيء "زاو" أو "أزوي" تعني جاء و معه غيره ،إشارة لتحالفهم، أمّا صاحب كتاب "مفاخر البربر" فيؤكّد أنّ اسم "زواوة" تصحيح للاسم البربري "قواوا" أو "زواوا" و منه أخذت هذه القبيلة تسميتها و هي من البتر<sup>5</sup>. فكلمة "القبائل" التي أتت مؤخّرا و التي هي عبارة عن جمع "قبيلة" على حسب كيفية تموقعهم في الجبال و المرتفعات و نفس المصطلح تمت صياغته « **les kabyles** » بالّلغة الفرنسية وقد ظهر في منتصف القرن التاسع عشر مع الإستعمار الفرنسي للإشارة الى الأمازيغي الذي يسكن جبال شمال الجزائر، و الناطقين بلغة غير عربية، بينما سمي الناطقين بالعربية و القاطنين أماكن أخرى غير جبال شمال الجزائر " بقبائل الحدرة" و غالبا ما يكونون في شرق البلاد. لكن كلمة "قبيلة" استعملت قبل ذلك في عدة دراسات لكن للإشارة إلى شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، كما وجدت في عدة كتابات تعبّر فيها على أنّ "القبيلة" أو القبائل " بجمعها تعني المكان الأهل بالسكان.

لقد أتى وصف لبلاد البربر في الجزء الثاني من كتاب إفريقيا " تبتدئ بلاد البربر من جهة الغرب عند جبل آيدواكال، وتشمل مدينة ماسة و سائر إقليم سوس، و من هناك لشاطئ المحيط الغربي إلى أعمدة هرقل، ثم تمر بهذا المضيق الى البحر المتوسط ممتدّة إلى تخوم الإسكندرية، و التي تحدّها شرقا صحاري برقا اتجاه مصر، و جنوبا طرف الأطلس الكبير المواجه للشمال.

<sup>5</sup>مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الاوسط ما بين القرنين (6 هـ - 9 هـ / 12 م - 15 م) دراسة في دورها السياسي و الحضاري، د ط، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، الجزائر، د ت، ص 50 و 51

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

"أشهر المؤلفين الإفريقيين يؤكدون أنّ أول سكان بلاد البربر و نوميديا الذين يسمّون حاليا البربر ،كانوا خمس جاليات أو قبائل من السبيين جاؤوا مع مالك الإفريقي ملك اليمن، و مازالوا يحملون أسماءهم ،و يسمون : صنهاجة، مصمودة ،زناتة ،غمارة و هواره و منهم خرجت ستمائة من سلالة البرابرة ،و اليهم يرجع أكبر أهل افريقيا كلّها"<sup>6</sup> لقد بيّن أن أنّهم عمّروا الجزء الشرقي من بلاد البربر و هذا في البداية فقط ، ثمّ تفرّقوا عبر أنحاء البلاد ليحكموا أكبر قسم من افريقيا. " ... و يسمّون عادة برابرة لأنّ موطنهم الأوّل كان في بلاد البربر،بينما الذين كانوا من قبل في موريطانيا الطنجية و نوميديا و ليبيا يسمون شلوحا."<sup>7</sup>

لقد تحدّث الكثير عن الزواوة و بحثوا في نسبهم و تاريخهم ، فنقل أغلبهم عن " ابن خلدون" الذي ورد في عدّة كتابات لنسب الزواوة فلماذا يعتبر "ابن خلدون" المرجع الصحيح المعتمد في أغلب الأبحاث المهتمّة بمنطقة الزواوة ؟ و ذلك راجع لما ذكره الشيخ "أبي يعلى الزواوي" على أنّه أتى وراء عدّة نسّابين و مؤرّخين ذكروا الزواوة ، و بسبب أنّه مغربي أندلسي الأصل، بل يمّني حضرمي ثم أندلسي، فقد ولد بتونس و نشأ فيها، ثم كان في بجاية عاصمة الزواوة ،ثم تلمسان و فاس، و بالخصوص أنّه كان حاجبا) و التي يقصد منها الأمين العام حاليا) للسلطان أبي عنّان في أواسط القرن الثامن،أي كان كاتم أسرار صاحب الإمضاء، ثم تولّى رئاسة بعثة من السلطان الى شيخ الزواوة لمسائل سياسية ، أين أخذ عن كبار الشيوخ في الزواوة فقال في ذلك ما لفظه : "و منهم يعني شيوخه\_الشيخ أبو

<sup>6</sup> كربيخال ،مارمول : افريقيا،الجزء الأول ،ترجمة مجموعة من الباحثين ،الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر،المغرب،د ط ،سنة 1984، ص 89

<sup>7</sup> كربيخال ،مارمول:المرجع نفسه ، ص90



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

العبّاس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب، قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القراءات السبع عن طريق أبي عمرو الداني...و ابن شريح لم أكملها و سمعت عليه عدّة كتب . و لهذه الأسباب اعتمده أبي يعلى الزواوي في نسب الزواوة أكثر من غيره ،لأنّه أعرف بهم و أحقّ بالشهادة عليهم ، وذلك مع عدّة أدلة و براهين.<sup>8</sup>....فقد قال "ابن خلدون عند كلامه على البربر:" و أمّا شعوب هذا الجيل يقصد البربر فإنّ علماء النّسب متفقون على أنّهم يجمعهم جذمان عظيمان و هما :برنس و ماذغيس و يلقّب ماذغيس بالأبتر ،و لهذا يطلق على شعوبه "البتر" بالمقابل يقال لشعوب برنس "البرانس" ، و هما معا ابنا برنس ،لكن هناك خلاف بين النسابين ،إذ كانا لأب واحد؟ فذكر ابن حزم عن أيوب ابن أبي يزيد (صاحب الحمار) أنّهما لأب واحد على ما حدّثه عنه يوسف الورّاق ....إلى أن ذكر ابن خلدون القبيلتين العظيمتين :كتامة و صنهاجة ،إذ تساءل هل هما من البربر أو لا ؟ فقال في نصّه : " و قال الكلبى ،إنّ كتامة و صنهاجة ليستا من البربر، و إنّما من شعوب اليمانية،تركهما إفريقيش بن صيفي بإفريقية مع من نزل بها من الحامية، هذه جماع مذاهب أهل التحقيق في شأنهم " <sup>9</sup>...إذ تضاربت الأراء و المحققون ليعود ابن خلدون في قوله في الزواوة من لفظه : "الإمام بذكر زواوة من بطون كتامة " هذا البطن من أكبر بطون البربر،ومواطنهم كما ترى محتقة من بجاية الى تدلس في جبال شاهقة و أوعار متسنمة، ولهم شعوب كثيرة، و مواطنهم متصلة بمواطن كتامة، و أكثر الناس جاهلون بنسبهم ،وعامة

<sup>8</sup>أبي يعلى الزواوي : تاريخ الزواوة ،اعتنى به :عبد الرحمان دويب،الجزء الرابع ،الفصل الثاني ،دار زمורה للنشر و التوزيع،الجزائر،ط خ 2013، ص 43

<sup>9</sup>أبي يعلى الزواوي: المرجع نفسه، ص 44

للمزيد أنظر : تاريخ ابن خلدون (117/6)

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

نسبة البربر من بني سمكان بن يحي بن ضريس، و أنهم إخوة زواغة، و المحققون من النسابة مثل ابن حزم و أنظاره، فيعدونهم من بطون كتامة و هو الأصوب.<sup>10</sup>

كما ذهب البعض إلى أنّ مصطلح (قانة) موجودا كإسم قرية (تالة تقانة) بفريجة "منطقة تيزي وزو" و قانة أوجانا هو ابن يحي بن صولات من الجد الأول، مدغيس بن بربر، فتعود (قانة) أو تشانا على مازيغ المنحدر من كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وهذا ما يرجحه ابن خلدون و يؤكّد عليه في كتاباته، و قد اعتمد أبو زيد صاحب الحمار و كبير زناة، و هو من نسل (برنس) و البتر هم بنو مدغيس إخوة البربر لرجوعهم معهم إلى كنعان<sup>11</sup>. لقد تكاثرت الآراء عند المؤرخين العرب و تضاربت اتجاهاتهم حول الأصول الأولى للزواوة و البربر، فمنها من تردّهم إلى أصل جالوت فقيس عيلان، و التي تنسبهم إلى فارس و التي يزعم فيها بعض نسابة البربر (الأصل الحميري) أو (الأصل الكنعاني) و التي تنسبهم للعمالقة و التبابعة.

كما اختلف الكتاب الغربيين حول ذات الأصول، فقد رأى الرحالة الألماني "كيدنفيلدت" 1882م، أنّ المواد المستعملة و الدراسات اللغوية لا تمكّن أبدا من تصنيف علمي إلى عنصر أو آخر عربا أو بربرا، كما يرفض حجة اللون الأبيض لواقع البيئة، ويشكك في نظرية الفرنسيين الذين ينطلقون من دراسة سكان القبائل ليعمموها خطأ... يقرّ

<sup>10</sup> \_أبي يعلى الزواوي: المرجع نفسه، ص 46  
من نفس المصدر: تاريخ ابن خلدون (200/6)

<sup>11</sup> \_S,A,Boulifa: Djurdjura à travers l'histoire, Beringo, Alger 1925, p31

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

بأن التأثيرات مهما كانت يجب ألا تطغى على العنصر الأصلي، أو تزيج العناصر الوافدة من قبل أو بعد الوندال (429م)<sup>12</sup> يعترف بزوال كل أثر للعناصر المتوافدة من الفينيقيين والقرطاجيين و الإغريق و الرومان و الوندال و يسكت عن التأثير العربي، نفيا منه احتمال تأثير العناصر الوافدة على العنصر الأصلي.

من الآراء الكثيرة أيضا حول حلقة الوصل التاريخي للبربر فعاد ابن خلدون لطرح القضية في جزئه السابع: " فالبربر جماعات جيء بها من أقوام كحزام أمن حول المحطات الرومانية منذ 533 ق.م من الألمان و القولوا و الإسكندنافيين، و تزعم أنّ اسم بعضها أولاد عسكر من الرومان دون دليل قاطع.<sup>13</sup>

فنطلق تسمية القبائليين في الجزائر على سكان من جنس البربر الذين يسكنون ساحل البحر الأبيض المتوسط ، إلاّ أنّه شاع تداول كلمة "الزواوة" أو البربر أو الأمازيغ (الكانكوجانسيان) و جبال فيرموس أو زناتة لدى المؤرخين عموما ، و هناك من أطلق تعبير "الزواوة" على قبيلة نفوسة بليبيا ، غير أن لابن خلدون رأي في كل ما يتعلق بأنساب البربر ،أين خصص في تاريخه الكبير جزئي السادس و السابع ،أين وردت فيهما عدة مصطلحات كالزواوة ،الزواودة، زواوة،و زواوة طرابلس<sup>14</sup> أين حدد بدقة بلاد الزواوة (ايقاواون) و تواجد

<sup>12</sup> ساحي، أحمد: الزواوة ،من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1767\_1512م، دار الأمل، الجزائر، 2015، ص27  
أنظر أيضا:

<sup>13</sup> \_N ,Robin :Essai d'étude linguistique et ethologique sur les origines berbères « in Revue africain ,31 ,1887, p 46

<sup>14</sup> أبين خلدون :كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخير في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج7، ص7  
<sup>14</sup> \_عيد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر ،الجزء السادس ،ص 148

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

اتحادياتهم و أجيالهم حسب تعبيره ،كما يناقش الأصول و الفروع و ذلك باعتماده على مؤرخين و خاصة في مجال الأنساب، لهذا ذكرنا سالفاً أنه أقرب إلى الحقيقة من غير، بسبب احتكاكه المباشر من أكبر النسّابين الذين عاشوا في تلك الحقبة الزمنية و كانوا المصدر لأبحاثه و تصنيفاته .

لقد ضبط ابن خلدون حدود بلاد الزواوة ما بين كتامة و صنهاجة ،و ربما امتدت بهذا المفهوم من وادي الجمعة شرق جيجل حتى وادي الجمعة بحمزة و قدارة و يسر حيث صنهاجة و الثعالبية ،تحدث ابن خلدون في مؤلفه عن الأنساب و أسماء القبائل و ركز عن الجباليين أين وصفهم (هذا الجيل من الأدميين هم سكان المغرب القديم ،مألوا البسائط والجبال من تلاله و أريافه و ضواحيه و أمصاره ،يتخذون البيوت من الحجارة و الطين والشجر و الوبر ،و يضعون أهل العزم منهم و الغلبة ،لانتاج المراعي فيما قرب من الرحلة،لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء ،أو الفقار الأملس ،و مكاسبهم الشيا و البقر و الخيل في الغالب للركوب و النتاج)<sup>15</sup>. هذا ما يدعم النظرية القائلة بنزوح الزواوة من الجنوب و من التل ،و ربما من بلاد الساحل الأطلسي ،كما تشير الدراسات إلى موجات أتت من المشرق،عبر القارة الإفريقية، فقد وجدت قاعدة البرابرة هناك في مدينة سميت بريرا،وأكثر أثنائهم من (الصوف يشتملون العمامة بالأكسية المهملة ،و يفرغون عليها البرانس الكحل ،ورؤوسهم في الغالب حاسرة ،و ربّما يتعهدونها بالحلق ،و لغتهم من الرطانة الأعجمية

<sup>15</sup> \_عيد الرحمان ابن خلدون : المرجع السابق ،الجزء 7 ،ص 4

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

متميزة بنوعها ، و هي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم "البربر" ، رد المصطلح الى إفريقيش ملك التبابعة الغازي لإفريقيا. مع تحفظه إزاء ما كتب مؤرخو اليمن ، و ذكر قوله إفريقيش: ما أكثر بربرتكم ، على أنها مزيج الأصوات المبهمة في اللغة العربية ، و قيل أيضا في معناه :بربر الأسد إذا زأر<sup>16</sup>.

كما يذكر بطولمي ابن يوبا الثاني، أنّ أصل الكلمة من بابار أو سبوبار، و في الرواية أن الرومان هم الذين اصطالحوا لليبيين (البرابرة)، ثم أدرجت في اللغة البربرية نفسها، كفى بربرة (اسبربار)<sup>17</sup>. نقول إنّ غالبية العلماء قد استقرّوا على أنّ الشعب البربري يتألف من الأقباط الذين استقرّوا بعد الهجرات فيما هو الآن المغرب العربي عبر موجات عديدة، وإذ كانت النصوص القديمة (قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر) تكاد تتفق على أنّ موطن هجرات البربر هو الجزيرة العربية "اليمن" أو فلسطين ، إلا أنّ للسياسة الفرنسية رأي آخر إذ أضافوا في آخر القرن الماضي عدّة توجّهات في قضية الأنساب ، و هو أنّ بعض البربر ، و لاسيما أهل الزواوة (القبائل) من أصول رومانية ، وندالية جرمانية<sup>18</sup> قبل أن نتصادف مع هذه الدراسات التي صنّفت و تعمّقت في أصول البربر ، كان لنا فكرة منذ الصغر نتناولها دون أن نعلم مصدرها أو حتى معناها و هي أنّنا رومانيين. لقد كنّا نفتخر في مدارسنا الابتدائية عندما كنّا نسأل بعض " من أين أصلكم ؟ " لنجيب مباشرة " رومانيين" لنواصل سرد بكل

<sup>16</sup> ساجي، أحمد: المرجع السابق، ص25

ساجي أحمد : المرجع نفسه، للمزيد أنظر :مخطوط :محمد السعيد بن علي الشريف، معالم الإستبصار بتفصيل الأزمان و منافع البوادي و الأمصار ، علم الميقاتة ص 112

<sup>18</sup> سعد الله ،أبو القاسم : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، الج 5 ، ط خ دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، سنة 2007 ، ص 218.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

حماسة ، قصص عن أجدادنا الذين خاضوا معارك عظيمة. لقد كان لدينا إحصارا من الأفكار التي نشأنا عليها، من أين أتت، لماذا عائلتنا سمحت بترسيخ هذه الأفكار في عقولنا؟ هل هي صحيحة أم مجرد موروث حقبة معينة ؟

لقد كان للمستعمر الفرنسي رأي آخر حول القضية القبائلية في الجزائر، فأتى في وثيقة معروفة " بالوثيقة الطويلة"<sup>19</sup> " و أمّا أهل القبائل فقالت عنهم (الوثيقة) بأنهم سكان الجبال، وعزفتهم بأنهم خليط ممن قاوموا الغزاة عبر العصور، وكما أن في الوثيقة تم الاعتراف بصعوبة الحكم عليهم عندئذ لعدم المعرفة الكاملة بهم ، وعلى أنهم أقل حبا للرحلة والتنقل من العرب ، فقد كان موحدون تحت فكرة التعصّب ضد الكفار وأنّ لهم نظاما يتمثل في العرش و القبيلة و الجماعة والأمين<sup>20</sup>

— هي وثيقة من ستة فصول صدرت سنة 1845 ، قبل هزيمة ديسمبر بسنتين ، تم توزيعها من طرف المارشال بوجو على المكاتب العربية العسكرية و التي تحكم الجزائر ، أين أتى في الوثيقة التعريف بالعناصر المكونة للسكان ، و كيفية التعامل معهم على أساس عرقي . و التي تحدثت عن نوعين فقط من السلالات و هما " العرب و القبائل " . و قد عُرفت الوثيقة كأول تصنيف في الجزائر.

سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، 1830\_1954 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، سنة 1998، ص308.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

### 2 \_ الجانب الديني و الثقافي لمنطقة القبائل :

كذلك تصادفنا في هذا الشأن عدّة آراء حول تاريخ التدينّ للأمازيغ و ما مدى نسبة تقبلهم للديانات المتتالية عليهم ، و كيف كانت مكانة الدين في المجتمع القبائلي عبر الزمن ، و كما لا يجهل التاريخ الإرث الهائل من الكتابات و المؤلّفات القديمة يعود أصحابها لمنطقة القبائل ، فمنها ما تمّ المحافظة عليها و منها ما رمّم أمثال المخطوطات و منها ما أتلّف بفعل الحروب و عوامل أخرى .

إذا رجعنا إلى كتابات ابن خلدون في الجزء السابع فيقول : "... فالعهد الروماني \*محمّوظ و قبل وصولهم اعتنق المغاربة اليهودية ثم المسيحية (الدوناتية) . و قد ثبت تاريخيا بأنّ مقاطعات افريقية ، هي التي ترسل قساوستها إلى صقلية ، و ما تزال التأثيرات باقية في الأعياد و العادات <sup>21</sup> هذا ما يوضح تداول حركات دينية على شمال افريقية قبل ظهور الإسلام .

في الغالب يعتنق القبائليون الدين الإسلامي و ينتمون إلى المذهب المالكي أي مذهب الإمام مالك في تفسير الشريعة ، بالرغم من التفسيرات التي كتبت حول ديانة منطقة القبائل إبان الفترة الاستعمارية ، على أنّ الفرد القبائلي أكثر استعداد لاعتناق الديانة المسيحية بكل طواعية ، و على أن منطقة القبائل كانت أكثر ترحيب بالمسيحية من المناطق الأخرى

\* Donatisme و هي حركة دينية مسيحية ظهرت أفريقيا الرومانية و ازهرت في القرنين الرابع و الخامس، و لقي سمي بالدوناتية نسبة الى صاحبها "دونات الكبير" و التي انتشرت بين المسيحيين الأمازيغ في الجزائر و المغرب و تونس الحالية ، و التي وصلت أوجها و قوتها في عهد القديس أغسطين في نهاية القرن الرابع ، و اختفت بعد الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع و الثامن .  
<sup>21</sup> \_ ابن خلدون : ج 7 ، ص 7

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

في الجزائر، بفعل الحركات التنصيرية التي قاموا بها على مستوى منطقة القبائل أثناء الوجود الفرنسي في الجزائر، بداية بنشر فكرة تشابه القبائليين بالجنس الفرنسي، فبادروا بكتابات ومؤلفات كلها تتادي بتنصير المجتمع القبائلي أبرزهم "واريني" الذي نشر عدة مقالات في جريدة الرأي الوطني تناول في إحداها دراسة حول المنطقة و التي جاء فيها، على أن البربر أكثر عددا من العرب، مواصلا في قول له مشككا في إسلامهم: "... و ربما هم مسلمون ولكنهم يحملون وشاما على شكل صليب فوق الجبهة و على الوجهتين ... و بربر جرجرة يبدون استعدادا للرجوع للمسيحية" <sup>22</sup>. كما أن الدراسات و الأبحاث الاستعمارية التي أقيمت على مراحل عدة في منطقة القبائل بينت أن أهمها ذهب للجانب الديني، و من أهم الأعمال البارزة "المشروع التنصيري لافيغري" الذي يعتبر أكبر حملة تنصيرية على منطقة القبائل، و ضرب مقومات المنطقة في دينها و اعتقاداتها. فقد كان دور لافيغري واضحا في شن حروب صليبية ضد الإسلام، ليعتبر بعد ذلك أول من عُرف بالموجة المسيحية في الجزائر.

لكن المحللين الفرنسيين الدارسين للمنطقة في تلك الحقبة الزمنية إترفوا مع مرور الوقت باستحالة تغيير الفرد القبائلي لدينه الإسلامي مهما كلفه الأمر. و هذا ما أشار إليه الجنرال أدولف هانوتو في دراسته العميقة حول منطقة القبائل و الأعراف القبائلية، "أما فيما يتعلق بتحوّل القبائل لاحقا الى الكاثوليكية فذلك يعدّ أضغاث أحلام ليس إلا، و لا يؤمن

<sup>22</sup> خديجة، بقطاش: الحركة التبشيرية في الجزائر 1830\_1871، دار حلب، الجزائر، 2009، ص 138



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

بذلك إلا الذين لا يرون الأشياء إلا عبر منظار خيالهم... لا ندري و لا يدري أحد ما إذا كان القبائل سيتحولون يوما إلى ديننا ،ربّما سيصلون يوما إلى اللامبالاة الدينية<sup>23</sup>. لكن بعد تفاؤله الزائد أتى الباحث لمواصلة كلامه بأنّ هذا اليوم بعيد جدا ،و قد لا يراه جيله في ذلك الوقت ، فاعترف بأنّ الدعوة إلى المسيحية ببلاد القبائل ستجد أمامها حاجزا لا يمكن تجاوزه و هذا يتجلى في التركيبية المتماسكة للمجتمع القبائلي و طبيعة العلاقات بين الأفراد ،بمجرد تفكير من الفرد في الارتداد عن الإسلام سيضطر لمواجهة قرية بأكملها حيث سيتم عزله أو نفيه بين أهاليه طوعا أو كرها من المنطقة .

و لقد ذكر الشيخ أبي يعلى الزواوي في مؤلفه حول تاريخ الزواوة ،حرص منطقة القبائل على الجانب الديني منذ القدم ،"من محامدهم الإذعان للشرائع المنزلة و القوانين الوضعية الامتثال لأوامر الله من الأحكام الفقهية ،و الانقياد إلى التحاكم، إذ قال أحدهم لأحد :تعالى إلى النبي \_يعني إلى شريعة النبي \_ ينقاد حالا و لا يتخلف ،و إنّما ولّاهم في العهد الأخير أضلوهم و أفسدوا آدابهم و ملكاتهم ،و أساءوا التصرف فيهم، ....و كما امتازوا بانقيادهم للعلماء و الشرفاء و المرابطين و الصّالحاء ،باحترامهم و خدمتهم ، ويلتزمون بتقديم العطايا من أرزاقهم و تخصيصات من أموالهم عن طيب نفس رجاء رضائهم

<sup>23</sup> \_أهانوتو و أ ،لوتورنو :المرجع السابق ،الجزء الأول ،ص 530

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

و بركاتهم ....و أنّ الزوايا الكثيرة في بلادهم قيامها و قوامها منهم يخدم ملّتهم ....و أمّا خدمتهم للشرفاء و آل البيت فحدّث و لا حرج ".<sup>24</sup>

لقد كانت منطقة القبائل مركز إشعاع للعلم و المعرفة و منبعاً ثرياً للعلوم الإسلامية، ويرجع ازدهارها لعلمائها الأوائل أمثال: الشيخ عبد الرحمان اليلولي و سيدي منصور، وآخرون ممّن خدموا العلم والمعرفة، وقد اهتمّ سكّان المنطقة ببناء المساجد، الأضرحة والزوايا والكتاتيب، واهتموا بدراسة التاريخ الإسلامي، إذ ركزوا في تعليمهم على القرآن الكريم حفظاً وتفسيراً<sup>25</sup>. فقد نبغ عدّة أعلام في مختلف العلوم و خاصة العلوم الإسلامية كالفقه والتصوّف، وكانت مراكز التعليم فيها، هي المساجد والزوايا التي كانت تؤدي دوراً تعليمياً من جهة و دوراً دينياً من جهة أخرى، و كانت مدينة بجاية قديماً هي مصدر النهضة العلمية بدون منازع، و كانت همزة وصل بين الأندلس و الشرق الإسلامي، و كان الأندلسيون يمزّون بها أثناء سفرهم للمشرق العربي قصد نيل المعرفة و الأخذ من علماءها<sup>26</sup> لقد كانت مركز إشعاع علمي صمد لعدّة حقبة زمنية فقد ذكرت بجاية في عدّة كتابات لما قدّمته المنطقة من إرث علمي و خاصة إسلامي للجزائر، كما يعود لها الفضل في ازدهار العلوم الدينية و الثقافية في منطقة القبائل خاصة، فقد لعبت بجاية دوراً رائداً منذ تأسيسها سنة 1067م على يد السلطان الحمّادي الناصر بن علناس، الذي جلب إليها العلماء و الشعراء، أين تحوّلت بجاية في عهده كجامع الزيتونة في تونس، و جامع القرويين في المغرب

<sup>24</sup> الشيخ أبي يعلى الزواوي : المرجع السابق ، ص 60 \_ عن ابن خلدون الجزء السادس ص 136\_137

<sup>25</sup> عمر، باعزیز : الزوايا في الزواوة ، مجلة الشهاب ، ج1، العدد التاسع ، سنة 1933، ص 17

<sup>26</sup> أحمد، طالب الإبراهيمي : من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية، ترجمة حنفي ابن عيسى ، الجزائر 1972 ، ص 7

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

الأقصى، و هذا بسبب تخرّج عدد كبير من العلماء و الذين أسّسوا المدارس و الزوايا والكتاتيب ، وخاصة في آث ورثيلان ،آث عباس ،ثامقرة و وادي الصومام ،آث منقلات ،آث غبري ، أيلولن و أرجوتة ،جرجرة و مشداله<sup>27</sup>.و من العلماء البارزين في المنطقة :

\_أبو مدين شعيب (سيدي بومدين) 1126م\_1197م

\_يحي بن معطى النحوي 1169م \_1231م

\_أبو زكريا يحي بن أبي علي الزواوي توفي عام 1215م

\_منصور بن أحمد بن عبد الحق ناصر الدين المشدالي 1235م\_1335م

\_أبو العباس أحمد الغريبي 1246م\_ 1314

\_يعقوب ابن يوسف المنقلاتي توفي عام 1291

\_عيسى بن مسعود بن منصور بن يحي المنقلاتي ولد سنة 1266م

\_ابراهيم بن القائد الزواوي ولد عام 1343

\_الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي توفي عام 1384م<sup>28</sup>

كما ظهر علماء و مشايخ من العصر الحديث أمثال الشيخ محمد بن أبي القاسم

البوجليلي صاحب الزاوية المعروفة بناحية بوجليل الذي كرّس حياته للتدريس في زاويته خلال

<sup>27</sup> فرّاد ، محمد أرزقي :اطلالة على منطقة القبائل ،دار الأمل ، الجزائر ، 2006 ،ص13  
<sup>28</sup> علي ،بطاش :لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد و ثورة 1871،دار الأمل ، الجزائر 2007،ص 82

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

القرن التاسع عشر ، و التي تميّزت بها منطقة بوجليل لتصبح منارة للإشعاع الثقافي والروحي ، كما نجد في القرن العشرين مشايخ من المنطقة أمثال الشيخ السعيد أحمد الزكري الذي تولّى الإمامة بجامع سيدي رمضان بالعاصمة ، و لقد خَلَفَ مؤلّفات أهمّها : "أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل" سنة 1903م و كذلك الشيخ مولود الحافظي ، و الشيخ أبو يعلى الزواوي ، و الشيخ الرزقي الشرفاوي ، و الشيخ السعيد البهلولي مدرّس بزواوية سيدي موسى<sup>29</sup> . فهذا ما يفسّر أن منطقة القبائل كانت تزخر بإرث ثقافي، و حركات علمية ضمّت نخبة من العلماء و الأئمّة كان لهم الفضل في تمرير العلوم من الأجيال السابقة و كما تشهد دراساتهم بذلك و التي هي الآن مصادر لعدّة أبحاث ، كذلك الانتشار الهائل لأماكن العبادة أسّست كلّها لقراءة و تحفيظ و تفسير القرآن الكريم ، فلا زالت هذه المعاهد على شكل زوايا أدّت أكثر من دور لغاية يومنا .

كما أنّ في الدراسة الأثنوغرافية و الأنتربولوجية التي قام بها "شارل فيررو" و المتعلقة بإفريقيا الشمالية، والتي أخصّها على منطقة القبائل بقسميها المحافظ و المستعرب و الذي يقصد هنا " القبائل الشرقية " قائلا : " قبائل هذه الجهة مسلمون و لكن إسلامهم شكلي، فهم يقبلون من القرآن ما يوافق مصالحهم أو ما يثير نزعة التطيّر عندهم، ولكن العادات والأعراف التي تلقّوها من أسلافهم يمكن أن تلغي النص القرآني، فمثلا يحدث أن يأمر قاض بتطبيق نص الشريعة الإسلامية و يرفع عقيرته بذلك و لكن لا أحد يعيره اهتماما فالجماعة

<sup>29</sup> علي ،بطّاش :المرجع السابق ، ص 28

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

تحكم بموجب العادة (العرف) و من هنا جاء المثل السائر عند هؤلاء القبائل " عند القبائل القاضي يحكم و لكن لجماعة تبطل حكمه"<sup>30</sup>

أمّا من الجانب اللغوي فقد طال الخلاف و لا يزال ليومنا هذا و أعتقد أنّه باق في قضية الإجماع حول لغة الأمازيغ منذ القدم و ما مكوّنتها بصفة عامة و أصل اللهجة القبائلية بصفة خاصة و التي يعتمدونها في منطقة تيزي وزو حاليا و بعض المناطق في القبائل الصغرى.

لقد فسّر العديد من الباحثين في مجال اللغة على أنّ معظم حروف اللغة الأمازيغية مأخوذة مباشرة من اللغة العربية مع إعادة صياغتها و لتكون سلسلة في النطق لتتماشى مع اللهجة القبائلية ، فلقد أتى الشيخ " الحاج محند الطيب " و هو من ترجم القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغة الأمازيغية فقد بيّن مدى تطابق الحروف العربية مع الأمازيغية باستثناء بعضها التي حوّلت حتى تتسجم مع النغمة القبائلية.

ومن أهم الكتابات التي وضحت الصورة في هذا المجال، هي كتابات المعروفة للدكتور عثمان سعدي الشاوي الأمازيغي، والذي أشار فيها أن "الدولة النوميديّة دولة ماسينيسا لم تكن أمازيغية. فلغة هذه الدولة والدول البربرية كانت الكنعانية الفينيقيّة البونيقية، التي كانت

محمد العربي عقّون : الاثنوغرافيا الاستعمارية " شارل فيرو أنموذجا " مقال نشر في انسانيات

N° 28 | 2005, mis en ligne le 06 août 2012, consulté le 09 novembre 2016 <sup>30</sup>

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

اللغة المكتوبة الرسمية في سائر أنحاء المغرب العربي، قبل الإسلام ولمدة سبعة عشر قرناً، محاطة بلهجات شفوية بربرية أمازيغية. كما تختلف الدوناتية عن الكاثوليكية لغوياً وثقافياً، فلغة المذهب الدوناتى الأمازيغى هي الفينيقية أى الكنعانية، فقد تبين أن الدوناتيون يصلون في كنائسهم بالفينيقية.

وجدت بالمغرب الكبير منذ القدم وقبل الإسلام لغة فصحي هي الفينيقية التي تعتبر لغة الحضرة والدواوين والعبادات، و كأنها الرسمية لذلك الزمان، كما كانت محاطة بلهجات أمازيغية شفوية، وكلاهما ينتميان إلى أرومة واحدة هي العروبية، وخير من يوضح هذه المسألة هو المستشرق الفرنسى "باسيه" عندما قال: "إن اللغة البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب. ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة، هذه المدة بالمغرب، سبعة عشر قرناً، وهو أمر عظيم" <sup>31</sup>

لقد تطرق الدكتور أبو القاسم سعد الله في جزئه الخامس من تاريخ الجزائر، لمسألة اللغة البربرية، و استعمال عدّة مصطلحات كالقبائلية، الزواوية، الأمازيغية للدلالة عن نفس المعنى، و قد تساءل ما الهدف من التغيير في المصطلح، و من سمح لغير المختصين في المجال التدخل في قضايا التاريخ و اللغة؟ إذ دعا قبل كل شيء لإنشاء هيئة جزائرية ومغربية للتكفل بالقضية. فالمصطلح الأول "الليبية" أو اللوبية، و هي لغة سكان بلاد المغرب القدماء، كما عرفوا عند المؤرخين اليونانيين و غيرهم، أين ثبت العلماء عن وجود

<sup>31</sup> زهار، حسان: معضلة الأمازيغية في الجزائر.. لغة أم شماعة؟، مقال نشر في العربي 21، ، 15 يونيو 2020 12:10  
نشر المقال بسبب الجدال بشأن دسترة اللغة الأمازيغية.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

هذه اللّغة إلاّ أنّهم عجزوا عن فك و تحليل كتاباتها و هي قليلة و منها "التيفينيقية" \_ أو التيفيناغ" التي وجدت في أقصى الجنوب ، والتي لها علاقة واضحة بالتيفينيقية و الدليل في التسمية ، كما سميت عند البعض بـ "التمشقية" أو " التماشق" ، إذ وجدت بها بعض الكتابات بنواحي الهقّار ، و قد عرفت بقلة حروفها و تشابهها بالحروف الفينيقية .<sup>32</sup> ففي سنة 1856 قام الفرنسي جيسلان بإعداد تقرير مفصّل حول اللّهجات في الجزائر و لا سيما البربرية ، وذلك بطلب من وزير الحرب الفرنسي الذي أشرفت عنه لجنة من علماء الاستشراف ، والذين علّقوا و قدموا تقريراً حول الدراسة ، و منهم "هانوتو" الذي ألف قاموساً سماه (نحو اللّغة التمشقية) مع مجموعة من القصص و الحكايات متضمّناً صوراً لحروف التيفينيقية الباقية .

كما ذهب "**Augène Daumas**" إلى التفصيل في تصنيف اللّهجات التي رأى أنّها تنحدر من لغة واحدة و إنّما تقاطعت مع عدّة عوامل أدّت إلى ظهور فروقات عليها ، وأهمها الصدام مع العربية كحدث غبّر من اللّغة البربرية في شمال إفريقيا و التي تفرّعت لـ :

\_الزناتية : و هي اللهجة المعتمدة عند القبائل البربرية التي تقع في غرب الجزائر ، أي الممتدة من العاصمة لغاية الحدود المغربية .

\_الشلحية : وهي اللهجة المعتمدة عند القبائل البربرية في المغرب .

<sup>32</sup> \_ سعد الله ، أبو القاسم : المرجع السابق ، ص 218.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

\_الشاوية : و التي تُعتمد عند القبائل البربرية المختلطة مع العرب ، و الذين تمازجت عاداتهم بفعل الترابط بينهم ، و كثيرهم يعيشون في الخيم و يسترزقون من تربية المواشي ويمارسون الفروسية ، فتعتبر لغتهم مزيج واضح بين الامازيغية و العربية ، و كما توجد عدة كلمات عربية تم تعديلها لتتلاءم مع اللسان الامازيغي .

\_الزاوية : و هي اللهجة التي تُعتمد في المنطقة الممتدة من "دلس" لغاية "بون" وبعض القبائل في الشرق الجبلي فتقريبا هي اللهجة التي بقيت لم تُعدّل رغم التقاطع مع العرب في الجانب التجاري، و يُعبر عنها أنها اللغة الوطنية<sup>33</sup>،...إلا أنّ الأبجدية البربرية الحقيقية لم يعد لها وجود على مستوى مناطق القبائل ، كما يُنفي دumas وجود كتابات باللغة البربرية عدا المخطوطات التي أنجزت من قبل " الطلبة" ، و أكثر كتاباتهم اختفت مباشرة بعد الاحتلال الاسباني لـجاية 1510م<sup>34</sup>

فيعد "روني باسييه" René Basset (1855\_1924) أول من أضفى طابعا نسقيا على الدراسات الأمازيغية، و الذي نشر العديد من الأعمال حول اللغة الأمازيغية و أدبها الشفهي، و الذي قام بجمع و شرح القصص و الحكايات الخرافية، الأغاني و الألغاز. و كما اهتم بدراسة الدين عند الأمازيغ بصفة عامة، إذ أتى في النهاية لابرار عدم التطابق بين وحدة اللسان عند الأمازيغ، و بين التنوع الذي ساد ديانتهم في الماضي " يحتلّ الأمازيغ، و لا يزالون ، الشمال الإفريقي من البحر الأبيض المتوسط حتى السودان ، و من البحر الأطلسي

<sup>33</sup> \_Eugène Dumas : La Kabylie traditions ancestrales ,Inédit ,Ed , Lumières Libres , béjaia 2010, p21\_22.

<sup>34</sup> \_ibid, p 20.



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

حتى مصر. فهم يشكّلون وحدة لسانية ...، فلئن كانت اللغة هي التي أنتجت الوحدة فالأمر بخلاف ذلك في الدين ..<sup>35</sup>. وفي هذا السياق نشرت مؤخرًا الدكتوراه " شنعة خديجة" كتابها الذي جسّدته من خلال رسالة دوكتوراه ، و الذي تناولت فيه إشكالية الإسلام و تعريب الأمازيغ ، هذه الدراسة المعمّقة الذي أتى في فصلها الثاني مجموعة من العوامل التي ساعدت على تعريب الامازيغ من خلال اعتناقهم للإسلام ، و اعتبرت أن العوامل الذاتية للفرد الأمازيغي هي من ساعدت على تعريبه ، بمعنى أن الأمازيغ عربوا أنفسهم ، أي أنهم فقهوا الإسلام و بالتالي لزم عليهم التفقه في العربية ، و كما أن هذه العوامل المساعدة نابعة من خصوصية المجتمع و طبيعته، كما أن الباحثة عبّرت على اللّغة الأمازيغية على أنها اللّغة الأم الجامعة للهجات البربرية، واللّهجات شيء طبيعي كما في اللّغات الأخرى و حتى العربية ، و التي يعود سببها إلى كثرة الاختلاط الناتج عن اتصال الامازيغ القدامى بأجناس أخرى وهذا التأثير أدّى إلى الانصهار الذي أصبح عائق يحيل دون تصنيف الامازيغية كلغة<sup>36</sup>

و لكن بعد هذه الحرب الفكرية و الأبحاث التي أُقيمت مازالت تُقام في معضلة اللّغة الامازيغية ، و التساؤلات العديدة التي طُرحت في بحوث " تعريب الامازيغ " هل الأمازيغية لغة" ما هي أركانها و ما مدى صحة تاريخها في شمال إفريقيا ؟ كلها أسئلة تم تناولها من

<sup>35</sup> رشيق ،حسن :القریب و البعيد، قرن من الأنتروبولوجيا بالمغرب ،المركز الثقافي للكتاب،الدار البيضاء، ط1،2018، ص 170  
انظر للمزيد :

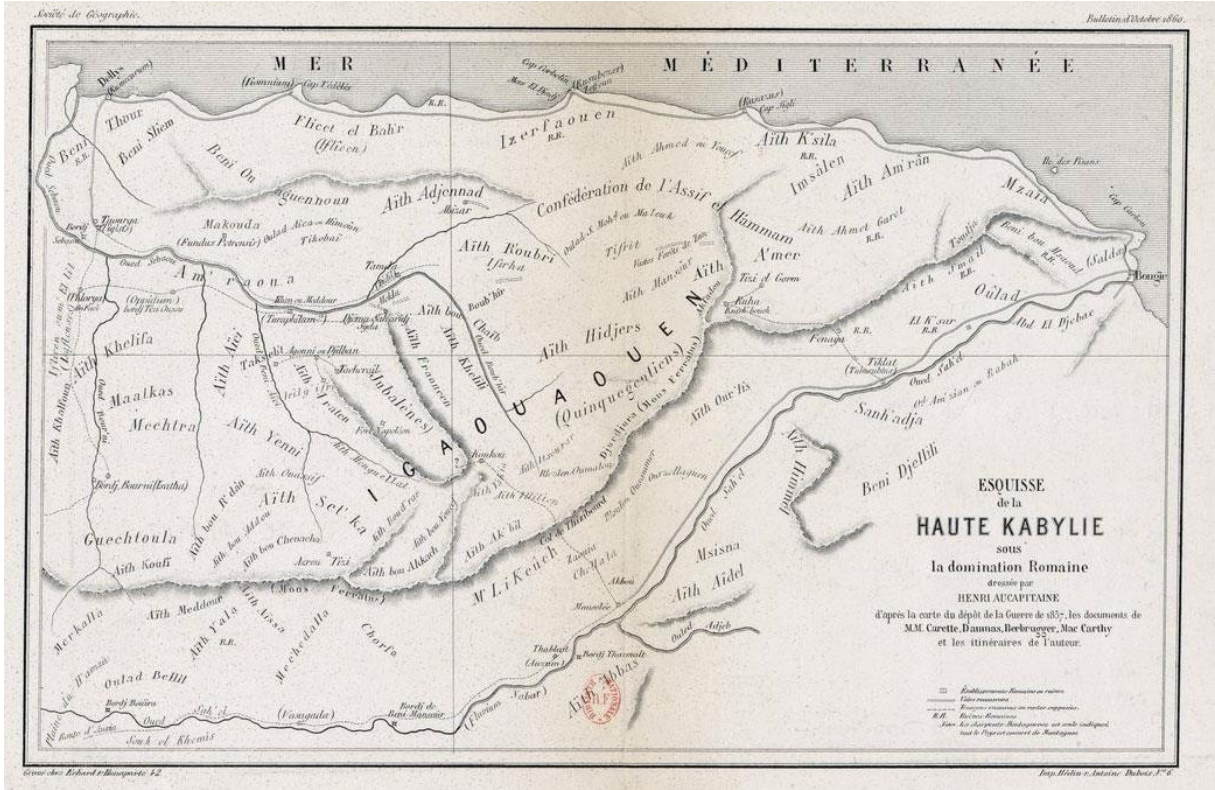
René Basset, « Recherches sur la religion des berbères » Revue de l'histoire des religions ,Paris ,Ernest Leroux,1909, p1

<sup>36</sup> \_ شنعة خديجة : المرجع السابق ،ص24.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

الناحية العلمية تارة و من الناحية الإيديولوجية تارة أخرى، إذن من هذا كله نقول: هل حقا تم تعريب الأمازيغ؟ و هل عُرِب اللّسان فقط؟ إذن بماذا نفسّر تواجد اللّغة و الثقافة الامازيغية في بيوتنا، و اعتمادها في عدّة ولايات؟ و بماذا نفسّر ثنائية التصادم التي شهدتها الجزائر مؤخرا بعد رفض منطقة القبائل تسمية شوارعها بأسماء عربية و كذلك لائحات المدارس والمراكز وغيرها، فقد قاموا بإتلافها نهائيا واستبدالها بلائحات كتبت بالامازيغية أو التيفيناغ. و في المقابل الحادثة المعاكسة التي شهدتها بعض المدارس أين تمّ رفض أولياء التلاميذ تدريس أولادهم اللّغة الامازيغية، و ذلك بإعادة إرجاع الكتب المدرسية الامازيغية ورميها أمام المدارس، بعدما فُرضت في المنظومة التعليمية كشكل من إعادة تمزيغ الجزائر. إذن أين يكمن الخلل؟ و هل هذه القرارات التي شهدناه من طرف الدولة عبارة عن حلول ترقيعية لإسكات الجانبيين؟

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل



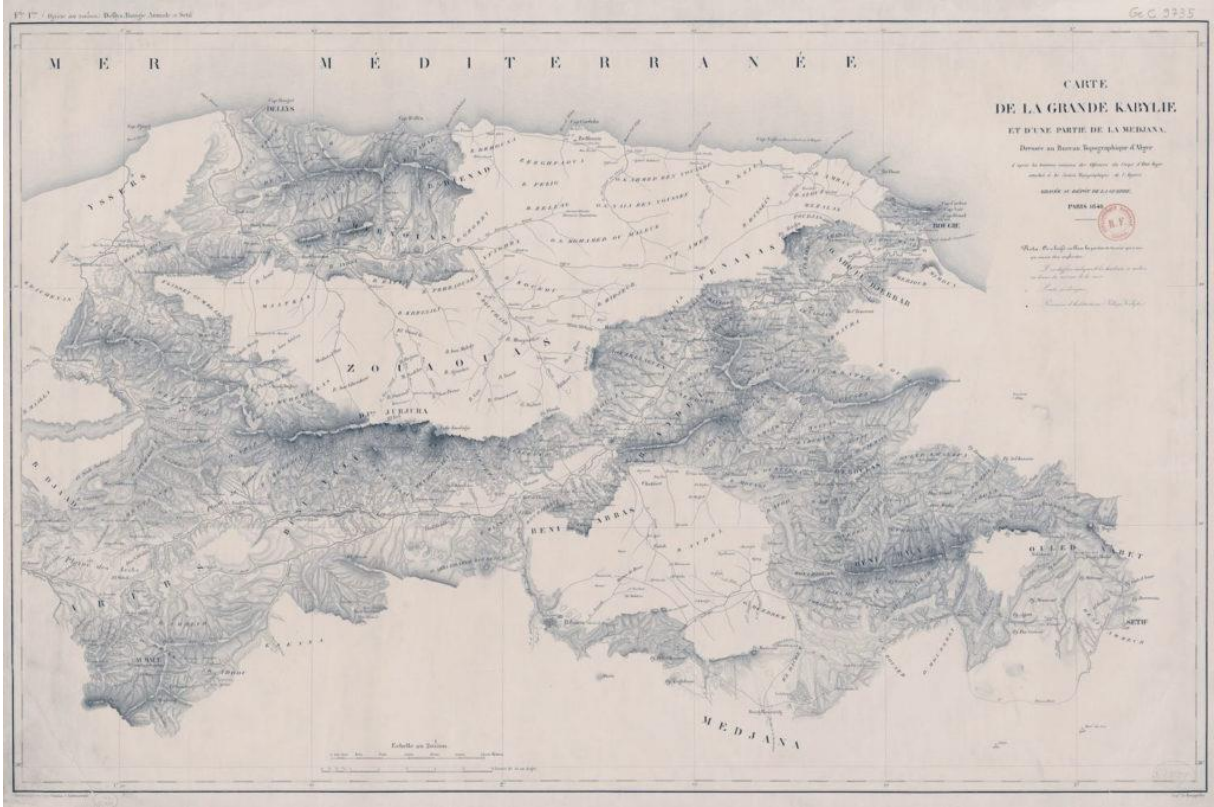
الصورة رقم 3 الخريطة التاريخية لمنطقة القبائل.

Carte de la Kabylie “[Esquisse de la Haute Kabylie](#)” par Henri Aucapitaine publiée dans le Bulletin de la Société de Géographie (Paris, octobre 1860)

تمثل الخريطة منطقة القبائل في الحقبة الاستعمارية ، بعد التقسيم الذي قام به الفرنسيين

عام 1871 ، أين تم ترسيم الحدود بين قبائل الشرق و قبائل الغرب .

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل



الصورة رقم 4: خريطة توضيحية لحدود قبائل جرجرة و قبائل البابور و ما يفصل بينهما.

المصدر : Carte de la Kabylie 1848 Bureau Topographique d'Alger

توضح الخريطة ثلاث مناطق كبرى تقسم القبائل جغرافيا و هم : قبائل جرجرة الواقعين وراء جبل جرجرة (تيزي وزو جاليا) و قبائل البابور ، ثم أبواب الحديد الواقعة تحت جبال الببيان (التابعة حاليا لولاية برج بوعريريج عن طريق منطقة المهير) و هو الحد الفاصل بين المنطقتين (جرجرة و البابور) .

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

### 3\_ الانتماء الإداري و السياسي لمنطقة القبائل:

لقد عرفت منطقة القبائل عدة انتماءات إدارية و سياسية على مرّ الزمن ،" فالانتماء الأول كان للدولة الفاطمية، التي دعمت بالزواوة وكتامة وجيوشها، وبهم فتحت مصر، وأسست القاهرة و القلعة و بجاية"<sup>37</sup>، من بعد ذلك كان انتماؤهم سياسيا للدولة البديلة للعبيدية (الحمّادية)، لاسيما في عهد البجائي، و تكرر مرّة أخرى اعتماد الحماديين على الزواوة وكتامة<sup>38</sup> إذ تبين في عدّة كتابات أخرى أنّ منطقة القبائل و خاصة حوض جرجرة التي كانت حزام أمن و صدام بين الدويلات التي تعاقبت، من الأدارسة و المرابطين والحفصيين، الذين يتخذون هذه القاعدة لامتداد نفوذهم ،و على امتداد أزيد من ثلاثة قرون تبعت الزواوة السلطان الحفصي ببجاية، فقد كانت قاعدة أمن و ارتكاز في دفاعها وهجومها، كما تحتفظ المنطقة بمعالم من التاريخ الحفصي، في نقاط مراقبة المرور والمسالك الآمنة، وحتى القبائل المتأرجحة الولاء كبني جنّاد الذين مكّنوا بني زيان من تأسيس ثكنة ، دائمة لعساكرهم، في تقصبت ما بين تيقزيرت و أزفون<sup>39</sup>.

كما أنّ منطقة القبائل كانت تابعة في العهد الروماني لنوميديا ، وحاكمها ماسينييسا الذي كان يتمتّع بالاستقلال الداخلي ،و بعد ثورة يوغرطة فقد حوّل هذا الأخير حكمها إلى موريطانيا القيصرية أي " شرشال حاليا" بدلا من نوميديا و التي أصبحت تحت حكم مباشر

<sup>37</sup> أبو عبد الله محمد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبّيد و سيرتهم ، م و ك ، 1984، ص37

<sup>38</sup> ابن خلدون : الجزء 7 ، ص 315

<sup>39</sup> أحمد ساحي : المرجع السابق، ص 29

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

من روما بدلا من الاستقلال الداخلي، أما في العهد الإسلامي فإن بلاد القبائل كانت جزء من قبيلة كتامة الممتدة من دلس إلى القالة . وبعد تداول الدولة الفاطمية ثم بني زيري وانتقال الحمّاديين من القلعة إلى بجاية ، بقيت بلاد القبائل تابعة لحكم بجاية في عهد الحمّاديين ثم الموحدّين و الحفصيين ، ففي أواخر العهد الحفصي احتل الإسبان بجاية وذلك في 917هـ الموافق لـ 1510 م ، فهنا بدأت بلاد القبائل بانقسامها إلى إمارتان و هما القبائل الصغرى التي كانت تحت حكم آل المقراني أين أخذت بني عباس ثم مجانة كقاعدة لها، أما الإمارة الثانية التي سمّيت بالقبائل الكبرى والتي قاعدتها جبل كوكو فقد كانت تحت حكم آل ابن القاضي<sup>40</sup> .

كل التنظيمات السياسية و الإدارية تخضع للبيئة الجغرافية و البشرية للمنطقة، و التي تمتد على طول سلسلة جبلية و مناطق وعرة و أغلبها معزولة فرغم خضوعهم لبعض الأنظمة و التي غالبا ما وصفت بالتبعية الإدارية، إلا أنّ الزواوة لم تجرّد من تنظيمها الخاص بها و الضارب لعدة قرون ، لطالما بقيت السلطة الفعّالة عندهم ، هي القبيلة والعرش ثم القرية ، وعلى مستوى أوسع يتوّج بالتنظيم الاتحادي ، ولقد كان لبنيتها الجغرافية دور كبير في الحفاظ على تراثها القديم و عادات و تقاليد و التي بدورها أفرزت ثقافة العرف والقانون المحدّد بجغرافية القبيلة كله ينصب في الحاجة إلى الأمن الغذائي و الروحي و حماية

<sup>40</sup> \_ بوعزيز يحيى : الثورة في الولاية الثالثة 1962\_1954، ط2 ، دار الأمة، الجزائر 2010، ص 216.



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

المكاسب رغم تواضع ممتلكاتهم ، فهي تعتبر مكسب في وسط جغرافي شحيح ، يحسب لحة قمح بألف حساب .

لقد أسفر هذا الوضع عن عدم الاستقرار الاقتصادي، فقد اكتفوا بأنفسهم و مواردهم الطبيعية القليلة و الموسمية ، التشجير و تربية الحيوانات و بعض الزراعات ، التي تنحصر في الاكتفاء الذاتي .

إذا أتينا للحديث عن الانتماء السياسي و الإداري لمنطقة القبائل فنتساءل أولاً: هل الفراغ السياسي في هذه المنطقة هو من أسفر عن نجاح النمط التقليدي القبلي ؟ أم صلابة النمط التقليدي القبلي هو من أقصى و رفض أي انتماء سياسي ؟ و لحل هذه المعادلة نرجع قليلا للأوضاع السياسية في منطقة القبائل، و مدى الاعتراف بالقبلية كنظام، فإذا رجعنا لفترة الحزب الواحد الذي سادت فيها الخطابات الأيديولوجية المتعلقة بالقبائل في الجزائر الازدواجية، أين رُفض الواقع القبلي و نُفي كل تاريخ قبلي للشعب الجزائري ، فإنّ القيم الاجتماعية المنسوبة إلى التنظيم القبلي كانت محل تهمين ، فالجزائر القبلية بدعة استعمارية على حد تعبير الرئيس هواري بومدين في خطاب شعبي سنة 1968 "لقد حاول الاستعمار الفرنسي و عملاءه نفي وجود الشعب الجزائري من دون جدوى ، و ذهب الى حد تقديمه للعالم على أنه فسيفساء من قبائل و عشائر متناحرة لا رابط بينها . باءت هذه المحاولة بالفشل ، كما هزم الاستعمار الذي لم يتمكن على مدة 132 سنة من فهم واقع هذا الشعب و قيمه الأخلاقية ، و تجاهل الحقائق التاريخية البديهية التي تقيم الدليل على

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

وحدة الشعب الجزائري التي صقلتها المعارك و التضحيات المشتركة عبر القرون (تيزي وزو 24 أكتوبر 1968)<sup>41</sup> يظهر هذا الخطاب رغبة الدولة منذ القدم في رسم صورة موحدة للشعب الجزائري ،بعد رفض فكرة أنّ الدولة عبارة عن قبائل متفرقة ، و لا يمكن أن تقدّم صورة أخرى للجزائر غير البلد الواحد المترابط ، لأنّ النظام القبلي كمنظومة اجتماعية يسودها التضامن و المساواة ، طمست مبادئه من طرف الاستعمار فشبهه بالنظام الإقطاعي في ذلك الوقت ، لهذا ظلّت المسألة القبلية من الطابوهات إن لم نقل "المحرّمات" طوال فترة الحزب الواحد ،"فالإيديولوجية الاشتراكية كانت تطمح إلى تقديم صورة مثالية للجزائر لا تشوبها أي شائبة قبلية"<sup>42</sup> ،استمرّت الدولة في محاولاتها لضم المجتمع القبائلي بعدما عزلته السياسة الاستعمارية ، و جهدت على أن يستقل في حكمه و ينفصل تماما على جميع الممارسات السياسية للدولة .

لقد أوجد المجتمع القبائلي عدّة أساليب دفاعية على جميع الأصعدة لسد الفراغ السياسي والإداري الذي فرضته الأوضاع و قد كانت لسياسة الصف دور مهم في تسيير الأوضاع في المنطقة، فقد عرفت انتشارا واسعا في المنطقة. فالصف عبارة عن تجمع عدّة قرى في شكل عرش(يتم التفصيل فيه لاحقا) والتي جمعتها مصالح مشتركة، غرضها الدفاع عن

<sup>41</sup> من citations du président Boumediène ,sélectionnées par Khalfa Mameri (Alger :société nationale d'édition et de diffusion ; مقال

يزيد بن هونات :القبيلة كإفك سياسي في الجزائر ، مجلة عمران ،ص 41، العدد 15/4 ، سنة 2016.

<sup>42</sup> \_Yazid Ben Hounet « Gérer la tribu ? Le traitement du fait tribale dans L'Algérie indépendante(1962\_1989) ; cahier d'études africaines, no 191(2008) , pp 487 \_ 512 .



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

مصالحهم و التصدي للخطر الخارجي ، فقد أتى تحالفهم دون أي ضغط سياسي أو انتماء أيديولوجي ولا اتجاه ديني معيّن .

" قبل الاحتلال الفرنسي كانت القبائل غير مستقلة استقلالية تامة و من أجل الحفاظ عن نسيجها الاجتماعي الخاص، قامت بنسج منهج دفاعي لها و هذا من أجل الحفاظ على أمنها و استقرارها"<sup>43</sup> من هنا بدأت سياسة الصفوف التي أنشأتها العروش لأغراض دفاعية من الدرجة الأولى ، كما تنقسم هذه الصفوف إلى نوعين "الصف نوادا" (السفلي) و "الصف أوفلا" (العلوي) ، ولكلّ صف أهداف و مصالح موحّدة ، يتقاسمها جميع أفرادها مهما كانت صفته و انتماءه لقرية ما . لقد كان الدفاع عن مصالح الصف شرساً من طرف المنتمون له و حتّى أنّهم يتبعون سياسة نصره بعضهم و لو ظالمين ، و قد في عُرف في بعض المناطق انقسام العائلة الكبيرة أو القرية الواحدة إلى صفين ممّا أدى إلى نشوب عدّة صراعات فيما بينهم .

إلا أنّ الصفين يتلاحمان في حالة الخطر الخارجي الذي يهدّد منطقة القبائل كاملة، و أهمّ مرحلة كانت في 1838\_1857 في تحالف صفّي وادي ساحل ضد الاحتلال الفرنسي، أين عادت الصفوف لحالتها الطبيعية بعد نهاية المقامة ،. " فالصف القبائلي ليس لا يمثّل سوى جمعية تعاون متبادل في الدفاع و في الهجوم ، و في كل صروف الحياة"<sup>44</sup> وهذا

<sup>43</sup> \_Tassadith ,Yacine : **Maillot \_imcheddalen en 1950** ,Essai de sociologie et andré nousché .édition TIRA d'histoire ,études historiques , p107 .

<sup>44</sup> \_أهانوتو و أ لوتورنو :المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص13.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

ما يبرز في مقولة: "أنا ضد أخي ، أنا و أخي ضد ابن عمي ، أنا و أخي و ابن عمي ضد البراني " لقد ظلّت هذه المقولة متداولة ليومنا هذا خاصة في حالة النزاعات الداخلية .

إنّ أبرز ما يمكن تسجيله بما يسمى بأهم أحداث سياسية في منطقة القبائل ، هي الواقع الحساس الذي تمرّ به المنطقة في الآونة الأخيرة أي منذ بداية " الحراك الشعبي " كأهم حدث سياسي في الجزائر بداية سنة 2019 ، و الذي ناد بالتغيير الشامل على مستوى الدولة و مؤسّساتها . لم تسلم منطقة القبائل أيضا من هذه الأحداث ، فرغم خروجها للشوارع ومطالبتها بتغيير النظام إلاّ أنها لم تسلم من أيدي الاتهام التي أسندت الفساد لهذه المنطقة بسبب أنّ معظم الموقوفين في جرائم الفساد ينحدرون من المنطقة ، أو ذو أصول قبائلية ، لكن هذا ما أنكره القبائليون على أنّ هؤلاء يمثلون أنفسهم و يُعتبرون نقطة سوداء في تاريخ منطقة القبائل . هذا ما جعل منطقة القبائل تمرّ بصراع مزدوج ، مع الدولة من جهة و مع الناقدين الحاقدين من جهة أخرى ، خصوصا بعدما تصادفت هذه الفترة بخطابات مترشحي الانتخابات الرئاسية التي نادت بدعمها للمنطقة و كل ما يتعلّق بتراثها لاسيما ترسيم اللّغة الأمازيغية كلغة وطنية إجبارية . ممّا زاد انقسام الشعب الجزائري بين مؤيّد و معارض لهذه القرارات ، لدرجة أنّ الحراك أخذ مسار آخر و انحرف عن مطالبه التي دعت إلى تغيير النظام ، فأصبح يتّهمه بالانحياز ، رغم أنّنا نراه مجرد سياسة من سياسات الدّولة ، فلولا ذلك لما تمّ اعتقال حاملي الرّاية الأمازيغية أثناء المسيرات الشعبية !!

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

لقد عُرفت منطقة القبائل بتمردّها الانتخابي كحدث سياسي بارز، إلا أن المنطقة أصبحت الهاجس الأكبر للسلطة عند كل استحقاق انتخابي، و هذا بسبب القطيعة السياسية التي فرضتها الظروف التاريخية و كان أهمّها مباشرة بعد الاستقلال سنة 1963، و التي اعتبرت بمثابة حرب داخلية بين حزب جبهة التحرير الوطني الذي يمثّل "السلطة" في ذلك الوقت، و حزب القوى الاشتراكية بزعامة حسين آيت أحمد الذي شكّل جيش من أنصار الحرية و الديمقراطية، و التي دامت تقريبا سنتين أين أسفرت عن ضحايا من المنطقة. لايزال ملف حرب 1963 يطرح كل مرّة في البرلمان من أجل الاعتراف بالقضية و تعويض ضحايا الحرب، لكن قوبل المطلب بالرفض و النّقد في كل مرّة. كما سجّلت سنة 1980 محطة تاريخية هامة من تاريخ الجزائر الحديث، و الذي عرف بالاحتجاجات بعد منع السلطات الجزائرية تنظيم محاضرة كان مقررا أن يلقيها الكاتب الأمازيغي "مولود معمري" بجامعة تيزي وزو في مارس 1980، فقد كانت هذه المحاضرة بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، أين خرج القبائليون في مسيرة و إضراب شامل في تيزي وزو منادون بالاعتراف بالثقافة الأمازيغية، و قد طالحت الاحتجاجات حتى عاصمة الدولة، و التي اعتبرت كأول حركة احتجاجية شعبية عرفتها الجزائر منذ الاستقلال .

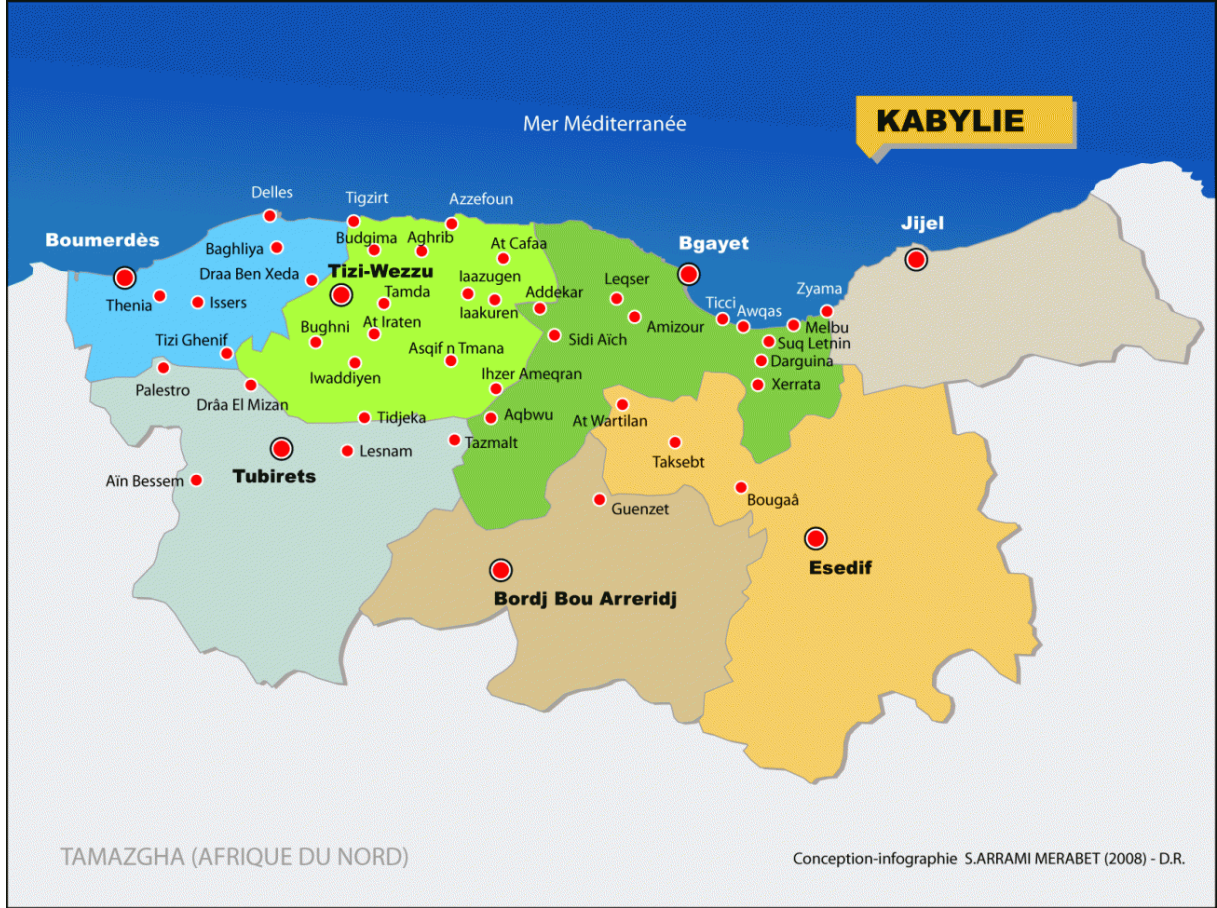
ألقت الاحتجاجات الضوء على المسألة الأمازيغية، فرفضت اللّغة العربية أين تمّ غلق المدارس و إتلاف جميع اللّوحات و اللّافئات المكتوبة باللّغة العربية، في نفس الوقت تم إنزال أمني كثيف لعزل المدينة. لتتوسّع دائرة الاحتجاج بعد أن سجّلت خسائر بشرية و جرحى

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

بالآلاف لتعدّ كحرب داخلية بين الدولة من جهة و عدّة ولايات ناطقة بالأمازيغية من جهة أخرى. لتكسب بعد ذلك بعدا دوليا فسمّي بالربيع الأمازيغي و الذي أخرج القضية الأمازيغية للعالمية و نزع الحظر عنها بعدما كانت من طابوهات ما بعد الاستقلال. فقد أسفر إضراب شامل و مفتوح شهدته المنطقة في عهد الرئيس ليامين زروال، عن تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية في 27 ماي 1995<sup>45</sup>. لتتواصل منطقة القبائل في تسجيل أحداث سياسية متتالية، لتعود الاحتجاجات سنتي 2001، 2003 مسّت مختلف الولايات و التي بدورها سجّلت خسائر مادية و بشرية مع آلاف الجرحى، لتزيد الهوة بين الدولة و منطقة القبائل التي سحبت ثقنها كاملة من مؤسّسات الدولة و أصبحت تعارض عن مختلف القرارات والأحداث السياسية و أهمّها الانتخابات التي بقيت كأهمّ حدث تتصدّى له المنطقة ليومنا هذا، رغم مشاركة حزبين دفاعيين هما " جبهة القوى الاشتراكية و التجمّع من أجل الثقافة والديمقراطية، إلاّ أنه تتمّ تسجيل أدنى نسبة المشاركة في كل من تيزي وزو و بجاية على المستوى الوطني .

<sup>45</sup> مقال نشر حول الأحداث السياسية في الجزائر 11 :45 a 16/03/2016 le 16/03/2016 \_aldjazeera .net

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل



الصورة رقم 5: الخريطة الإدارية لمنطقة القبائل ،

المصدر: الموقع الإلكتروني kabyle.com

مناطق التجمع السكاني بنسب عالية

لقد نشر الموقع ، التقسيم الإداري لمنطقة القبائل في سنة 2008. أين يظهر أكبر مراكز التجمع السكاني للقبائل و الذي يشمل 7 مناطق كبرى و هي : تيزي وزو ، بجاية، بومرداس البويرة ، جيجل ، سطيف و برج بوعرييج.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

### 2\_ وصف البيئة الايكولوجية لمنطقة القبائل:

إنّ البحث في البيئة الإيكولوجية لمنطقة القبائل يتطلب منا التطرّق لكل مميزات المنطقة الواسعة و ذلك من مرتفعات جرجرة الممتدة بالجزء الشرقي في سلسلة مستمرة يشكل طرفاها من الغرب ، هضبة شمال مينيرفيل(الثنية) و من الشرق قورايا(بجاية) مشكلا قوس كبير بانحناءات غير منتظمة يتجه تجويفها نحو البحر ، و تنخفض باتجاه الشمال مشكلة شبكة واسعة من التلال تفصل بينها عدد من الوديان لتجتمع هذه الخصائص فتشكل الكتلة الضخمة للقبائل، فامتداد جبال جرجرة نحو الشمال الشرقي تنتشر كسلسلة من الفروع تجمعها سلسلة أكفادوا ، الممتدة عبر التلال لغاية البحر موازاة مع سلسلة شبه جبلية " سلسلة الساحل" و التي تمتد من دلس لبجاية ، كما يمتد الضلع الصخري الرئيسي بغرب جرجرة وهي سلسلة متواصلة ليلتصق من خلال جبل بوزقزة بجبال الأطلس في متيجة من جهة ، لينخفض تدريجيا بمنطقة التلال و الجبال قليلة الارتفاع لتسمى المنطقة هذه بالقبائل السفلى<sup>46</sup>، لقد سمحت هذه الخطوط الجبلية الكبيرة بتقسيم واضح المعالم لمنطقة القبائل لأربعة مناطق تحمل كل واحدة خصائص طبيعية مختلفة :

\_ المنطقة الساحلية و الشرقية و الغربية لكل اتجاهاتها الطبيعية و خصوصياتها التضاريسية.

<sup>46</sup> أ هانوتو و أ لوتورنو : المرجع السابق ، ص 26\_27.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

منطقة الوسط : التي تضم جرجرة و كل الكتلة الجبلية القبائلية التي تحدها شمالا ومن الشرق سهل سيباو و من الغرب و الجنوب منخفض ذراع الميزان و هي لب بلاد القبائل، و التي نسلط عليها الضوء في دراستنا . لكن الجدير بالذكر أن هذا التقسيم غير وارد في كثير من البحوث ، فرما فقط في البحوث الجيولوجيا ، باعتبار الباحثين في علم الاجتماع التاريخ و الانتروبولوجيا يكتفون بتقسيمها الجزء من الجزائر إلى منطقتين واضحتين هما " القبائل الصغرى " و " القبائل الكبرى " لاعتبارات إدارية و اجتماعية لغوية و كذلك استنادا لعدة عوامل تاريخية .

### منطقة القبائل الكبرى\_ تيزي وزو \_ : تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا الى

جبال "البيبان" لغاية هضاب سطيف جنوبا ،ثم من واد يسر غربا الى واد أغريون و جبال البابور شرقا<sup>47</sup> و هي المنطقة التي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 50 كلم ،و تبدأ من حدود منطقة ثنية التابعة لولاية بومرداس غربا الى غاية حدود بجاية شرقا و من البحر الأبيض المتوسط شمالا الى منطقة الصومام جنوبا، بطول 200 كلم و عرض 100 كلم. مركزها "تيزي وزو" و التي تعتبر عاصمة القبائل الكبرى . رغم هذه الحدود التي ذكرت إلا أن الباحثين اختلفوا ما إذا كانت هذه هي الحدود الحقيقية لمنطقة القبائل ،"فتجادل المؤرخون حول موقع بلاد الزواوة و على العموم فإن الحدود التي وقف عندها معظم المهتمين بموضوع منطقة القبائل فهي تمتد من دلس غربا الى بجاية شرقا فهي تتكوّن من كتلتين

<sup>47</sup> يحيى بوعزيز: اعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، د ط ، الجزء 1، دار المغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1995،ص20



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

جبلتين أساسيتين يبدأ علوهما من 1500م الى 2308 م و هما كتلة جبال جرجرة جنوبا و حوض سيباو شمالا ليشكلا ما يعرف بمنطقة القبائل<sup>48</sup>. أما أبي يعلى الزواوي فقد وصف هذه المنطقة "...فألزاوة قبائل كثيرة مشهورة ، و مواطنهم و مساكنهم بشمال افريقية يجعلهم البحر الأبيض المتوسط الممتد من الخليج مدينة الجزائر إلى غاية بجاية (إحدى عواصمهم) و إلى جبل نصف دائرة ،فهؤلاء هم المعروفون و المشهورون بالزاوة"<sup>49</sup>.

لقد أتى في كتاب " القبائل و الاستعمار الجزائري" جزء مهم تناول فيه الباحث "هنري بارون أوكابيتان" منطقة القبائل و حدودها الجغرافية " منطقة القبائل إن صحّ التعبير فهي كل ما هو من أعالي جرجرة ،واقع بين واد الساحل من الشرق و منطقة يسر غربا ، ويحدّها البحر المتوسط شمالا ، فقد تشمل على مساحة مهمّة تقدّر ب930000 هكتار منها 550000 هكتار أراضي زراعية صالحة ،و الباقي تلال و منحدرات ..."<sup>50</sup>

الشائع عن تسمية "تيزي وزو" أنها كلمة مقسمة إلى قسمين وهما: "تيزي" وهي الهضبة بالأمازيغية أما "أززو" فهو نبات ذو أزهار بلون أصفر. و تعتبر تيزي وزو أكبر منطقة يستقر فيها القبائل الأمازيغ لذلك فهي تدعى منطقة القبائل الكبرى حيث أن اللغة التي يتكلم بها السكان هي اللغة القبائلية. وتنقسم الولاية إداريا إلى 21 دائرة و 67 بلدية. فيغلب الطابع

قاسيمي ،زيدين:قيادة سيباو(تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي) د ط ،دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع 2009، ص 23.

<sup>49</sup> \_أبي يعلى الزواوي : المرجع السابق ، ص42.

<sup>50</sup> \_Le Baron Henri Aucapitaine : **Les kabyles et la colonisation de L'Algérie** , challamel ainé , Libraire\_commissionnaire 30 , rue des Boulangers, Paris,1864, p 23.



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

الفلاحي والتجاري على نشاطها ويعيش السكان في المناطق الريفية فيها على شكل قرى يصل عددها لأكثر من 1400 قرية.

لقد قيّم الجانب الديموغرافي من طرف "دوماس و كاريت" نحو 350000

نسمة و الذي تزيد ل 435000 نسمة، قسّمت على 2800 قرية، و تعتبر هذه النسبة أعلى من المعدّل الطبيعي للسكان في فرنسا<sup>51</sup>، لا نعرف على ماذا اعتمد الباحثين في حساب اجمالي عدد سكان منطقة القبائل في تلك المرحلة من سنة 1864، ثم قارنه بعدد سكان فرنسا على أنّه عالي بالنسبة للمتوسط الطبيعي، فهذا بحسب رأي لا يمكن، فمنطقة القبائل عرفت بقلّة عدد سكّانها خاصة في تلك المرحلة من القرن الثامن عشر، و كما أنّ قرى منطقة القبائل عرفت بتباعدها و انتشارها العشوائي في الجبال و هناك من يصعب حتى الوصول إليها، لدرجة أنّ عائلات بأكملها عاشت لمدّة سنوات في مناطق لا يتصوّر العقل أنّها تحتوي على الجنس البشري، و كما أنّنا أتى في حديثنا مع بعض كبار القرى حول العائلات التي تواجدت بالمنطقة قديما و في مرحلة الاستعمار، ليؤكّدوا لنا أنّهم قلّة، وموزعون على عدّة مناطق، و في مقابلات عدّة في بعض القرى الصغيرة التي لا يتجاوز عددها 200 شخص أكّدوا لنا أنّهم من السكان الأصليين و هذا ما كانت عليه القرية لعدّة سنوات ماضية.

<sup>51</sup> \_ Ibid , p 24.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

### 3\_المورفولوجيا الإجتماعية لمنطقة تيزي وزو:

لا يمكن الحديث عن أي ظاهرة اجتماعية أو ممارسة في مجتمع ما دون استحضار طبيعة هذا المجتمع و نوعية التجمعات الإنسانية فيه، فالمجتمع هو من يكيّف بنية هذه الظاهرة و دلالتها و وظيفتها، و هو " نفسه المجتمع من يؤثر في ملامح و صورة الظواهر الاجتماعية سواء الداخلية أو الخارجية. فالمورفولوجيا الاجتماعية هي تلك البنية و الشكل والصورة الخارجية للمجتمع. فدراسة توزيع السكان و كيفية تمركزهم مهم لمعرفة نوع الظواهر و تفسيرها، فالمورفولوجيا الاجتماعية هي مجمل الظروف المادية الأساسية التي تبنى عليها الحياة الاجتماعية، و هي التي تتحكم في قيم المجتمع و تصرفاته و أفعاله<sup>52</sup>.

يعود تعبير المورفولوجيا الاجتماعية الى دوركهايم، أين كان يفتح تحت هذا العنوان لائحة جديدة منذ صدور الكراس الثاني من مؤلف (السنة السوسيولوجية) إذ يقول: "تستند الحياة الاجتماعية إلى أساس يتحدد في شكله كما في مقداره. و يتكون من مجموع الأفراد الذين يؤلفون المجتمع، و الشكل الذي ينتظمون به على الأرض، و طبيعة شكل العلاقات الجماعية من كل نوع. و تبعا لضخامة عدد السكان، و لتمركزهم في المدن أو تفرقهم في الريف، و لطريقة بناء المدن و البيوت، و مدى اتساع ساحة المجتمع....تبعا لكل ذلك يتنوع الأساس الاجتماعي"<sup>53</sup>. و كما أنّ المورفولوجيا عند مارسال م « **Marcel Mauss** » هي دراسة بناء المجتمع من حيث مظهره المادي الخارجي، وذلك من خلال تكوين و توزيع السكان

<sup>52</sup> مقال : جميل حمداوي نشر في : 03\_09\_2015\_www.aluka.net

<sup>53</sup> هالباوك، موريس: المورفولوجيا الاجتماعية، منشورات عويدات، بيروت\_باريس، الطبعة الأولى، 1986، ص13

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

و ثقافتهم و حركة تنقلاتهم وهجرتهم الداخلية والخارجية من الريف إلى المدن ،وموقع بلادهم وضيقتها أو سعتها ...<sup>54</sup>

لقد سبق ابن خلدون في كتابه "المقدمة" إميل دوركهايم « Emil Durkheim إلى الاهتمام بالمورفولوجيا الاجتماعية من خلال دراسته للمجتمع القروي ،أين ربط أحوال الناس بالمناخ و تغيرات طبيعة الجو،بل كانت له آراء وجيهة في علم الاجتماع السياسي ،بالإضافة الى ذلك فقد ركّز ابن خلدون في الباب الرابع المخصص لنشأة المدن والأمصار و مواطن التجمع السكاني، على شعبة سماها دوركهايم بالمورفولوجيا الاجتماعية أو علم البنية الاجتماعية، لكن ابن خلدون كان أكثر دقة من خلال دراسته للمورفولوجيا البدوية والحضرية من جهة والجغرافيا البشرية و المناخية من جهة ثانية والساكنة الديموغرافية من جهة ثالثة<sup>55</sup>. فهنا نأتي لاستنتاج علاقة البيئة بالتنظيم الاجتماعي الذي يظهر بقوة في المجتمعات الريفية والجبليّة،و من خلال دراستنا للمجتمع القبائلي و بالتحديد منطقة تيزي وزو الجبلية فنظامها الاجتماعي لم يتشكل عبث بل استجاب للبيئة الجبلية في كل صفاتها،و كأن التشكيلات السكانية التي سوف نراها لاحقا عبارة عن ردّة فعل و ميكانيزم دفاعي لكل التهديدات الطبيعية التي قد تلحق بسكان هذه المنطقة.و كذا دور البيئة في تسيير علاقات الترابط بين سكان المنطقة الواحدة .

<sup>54</sup> بدوي،أحمد زكي :معجم مصطلحات الرعاية و التنمية الاجتماعية ،دار الكتاب المصري ،القاهرة و دار الكتاب اللبناني ،بيروت،ط1،1987،ص240

<sup>55</sup> \_عيد الواحد وفي ،علي :علم الاجتماع ،نهضة مصر ،القاهرة ،د\_ت ، ص73

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

فهذه المورفولوجيا الاجتماعية التي بنى من خلال النظام القبلي من جهة و الذي يضم التاريخ القبلي للقبائل الأمازيغية ، وكيف للقبيلة أن تكون ذلك الوعاء الذي يحتوي على ذلك الكمّ الهائل من التاريخ و العادات، الطقوس و الممارسات، و من جهة أخرى تحقيق مورفولوجيا متناسقة من خلال التطرق للنظام الاجتماعي و الذي يحتوي جميع العلاقات والروابط الاجتماعية التي من شأنها تنظيم حياة الأفراد داخل القبيلة.

### 1\_3 \_ النظام القبلي في منطقة القبائل :

إنّ الدّارسين لتاريخ منطقة القبائل، بحثوا عمّا إذا كان النظام الاجتماعي القبائلي في مكّوناته التاريخية تشبه مكّونات النظام الاجتماعي للجماعات العربية، و هذا من خلال دراسة جوانب من النظام الاجتماعي العام. فالمجتمع البربري ككل كما عُرّف من خلال تاريخه الطويل على أنّه نظام قبلي، و ما يميّزه " القبيلة " كوحدة اجتماعية لها مكانة مميّزة، تقوم باحتواء جميع مظاهر الحياة داخل المجتمع القبلي.

رأينا أنّ من الضروري التطرّق و لو بشكل وجيز إلى مسار القبيلة، و كيف نالت حظها من قبل الباحثين ، و ما هي أهم القبائل التي ذكرت و ما موقعها في الكرونولوجيا التاريخية . إنّ قلة الوثائق حالت دون المعرفة الدقيقة للقبيلة التي عاشت قبل الإسلام ، رغم وجود بعض التصنيفات موجودة في مصادر متفرّقة ، " فالوثائق المصرية ذكرت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد قليلا من القبائل ، مثل الليبو ، السبد ، المشوش ، الأسبت ،

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

القياقش ، الشيبب ، الهسا ، البقن ، و قبلها بزمن طويل بعض القبائل مثل قبائل (التحنو) و(التمحو)<sup>56</sup>. إنَّ الاسم الأكثر تداولاً هو قبائل الليبو الذي ذُكر في أكثر من مصدر. أمَّا الوثائق اليونانية و اللاتينية التي لم تفصل في تصنيف القبائل البربرية بشكل دقيق لكن أتى في بعض البحوث أسماء قبائل مثل (الناسامون و البيسيل) ببرقة و طرابلس و (المكيل و الماكسي) بجهة الساحل التونسي و نفطة و توزر، و( المشاوش و الأوسوس) بالشرق و بالجنوب الشرقي من شط الجزيرة<sup>57</sup>، و النوميديون في الشرق و كما أنه تبين وجود لقبائل المازيس (مازيغ) في نوميديا الغربية ، و قبائل الماسيل في نوميديا الشرقية و الموريون في المغرب الأقصى و الفاروزيون في الجنوب الغربي ، و الجيتوليون في الداخل ، و ذلك بمحاذاة الموريون و النوميديون على حدود الصحراء<sup>58</sup>. كما جاء في عدّة كتابات عن قبائل قاومت الوجود الروماني في بلاد النوميديين ، و كذا القبائل التي عُرفت في النصوص اللاتينية بقبائل الحلف الخماسي و المتواجدة بمنطقة الصومام (حاليا) .

فالقبائل البربرية عريقة في التاريخ الاجتماعي ، بتماسكها ، و تشكلها المبني على النسب و كذا حفاظها على السلالة الواحدة التي تبقى متوارثة على مرّ الزمن مشكّلين نظام قبلي فريد من نوعه.

<sup>56</sup> محمد المختار العرابوي : البربر عرب قدامى ، سلسلة الدراسات في منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ، المغرب ، ط1، سنة 1993، ص 258 .

<sup>57</sup> محمد المختار العرابوي: المرجع السابق، ص 258. للمزيد أنظر أيضا : ابن عبد البر : القصد و الأمم في العريف بأصول و أنساب العرب و العجم ، مكتبة القديسي ، القاهرة ، 1350، ص 26 .

<sup>58</sup> محمد المختار العرابوي : المرجع نفسه ، للمزيد أنظر أيضا : الطبري أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم و الملوك ، دار سويدان ، بيروت ، د\_ت ، ج 1، ص 442.

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

نفهم من النظام القبلي تلك البنية السكانية للقبائل و الظاهرة الاجتماعية القبلية والقروية، فهو المصطلح الأكثر ضبطاً لمدلول البنية الاجتماعية السائدة، خاصة في منطقة تيزي وزو الذي يضم أكبر عدد من القرى للقبائليين. خضعت المنطقة للحكم الحمادي، ثم الموحي و الحفصي فالتركي القاسوي، إذ تتحدد العلاقات مع المنطقة في الولاء والتحالف أكثر منها علاقات إدارية و روابط تكامل بين ولي الأمر و الرعية، تحالف يتوخى الفعالية والتأثير<sup>59</sup>. رغم هذا التنوع في الحكم الذي شهدته المنطقة إلا أنها لم تفلت نظامها و قوانينها و لم تتأثر بُناها التحتية عبر العصور.

لقد حافظت المنطقة على هيئتها التقليدية، فالتركيبة الاجتماعية فيها مختلفة من حيث التسلسل و الترابط بين الوحدات الاجتماعية، أين نجد أن كل وحدة من المجتمع تكمل الوحدة التي تليها، حيث تكونان مرتبطتان وظيفياً، ولقد أوجد هذا التلاحم من أجل تحقيق مصالح دفاعية فرضها الواقع الذي تعيشه المنطقة و الذي عاشته لفترات عدة، فمجموع العائلات يشكل "تخرويث" ثم المجموع يعطي "أذروم" ثم تتشكل "القرية" و التي بمجموعها تشكل عرش، و مجموع "الأعراش" يشكل "ثاقبيلت".

أ\_أخام: العائلة، "ثواشولت": تعتبر العائلة أصغر وحدة في التركيبة الاجتماعية، تطلق أيضاً كلمة "أخام" على العائلة، أي ليس ذلك المبني فقط بل هو على أفرادها و في كثير من الأحيان يعبر عنهم ب "أث وخام" أو "إمولان ن وخام" و التي تعني أصحاب

<sup>59</sup> ساجي، أحمد: المرجع السابق، ص159

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

البيت. تعتبر العائلة العنصر الأول من الاجتماع العام و هي في المجتمع القبائلي هي كغيرها من المجتمعات العربية تتكون من الأب و الأبناء و الأجداد أي تقريبا من ثلاث أجيال ، لكن تتجسد الصورة الحقيقية للعائلة القبائلية عندما نجدها تضم بالإضافة إلى الأبناء و زوجاتهم و أبنائهم ، نجد الأعمام و الخالات و أبناء الأخ و أبناء العم " و كقاعدة عامة يعيش هؤلاء الأفراد حياة مشتركة ، و يعد ذلك موضع تقدير اجتماعي هام جدا، أين تبقى الأملاك في حالة شيوع و تستعمل وارداتها لإعالة و رعاية الجميع دون تمييز<sup>60</sup> كما يتواجد هؤلاء الأفراد تحت سلطة الأكبر سنًا ، غالبا ما يكون الجدّ أو الابن الأكبر إذا كانت العائلة فاقدة للأب و الجدّ ، هنا يأخذ الإبن مكان والده فيحظى باحترام الجميع و له الأحقية في التصرف في أمور الجميع.

إنّ ما يضمن استمرارية العائلة القبائلية بالإضافة إلى التحام أفرادها ، هو ما يتعلق بأعرافهم فيما يخص قضايا الزواج و الميراث و الوصايا و حق الشفعة ، و التي لا تخص المصالح المالية فقط ، بل هي كميكانيزمات الدفاع عن وحدة العائلة و استمراريتها ، فهذا التنظيم القوي للعائلة القبائلية هو نتاج الحاجة للدفاع عن كل أشكال التعسف في استخدام القوة ، و التعدي الذي قد يطال على أفراد العائلة ، فالوضعية الاجتماعية هي من تستدعي ضرورة التصرف و إعطاء الحق للعائلة لحماية نفسها ، بعد عجز السلطة و ضعف القوانين. فحتّى أنّه يوجد من القوانين من تتوقّف فعاليتها في حدود هيبة العائلة.

<sup>60</sup> هانوتو ، أو لوتورنو: المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص 8

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

ب\_ثأخروبث: و المشتقة مباشرة من شجرة "الخروب " في اللغة العربية. و التي لها جذع واحد و هو الجد المؤسس، أمّا فروعها الكثيفة فهي بمثابة العائلات المنحدرة من الجذع الرئيسي ، و هي التي تأتي مباشرة بعد العائلة في البنية الاجتماعية و التي تحمل نفس الاسم العائلي غالبا ما يكون اسم الجدّ المؤسس<sup>61</sup> ، و هو الذي يشرف على جميع قضايا الخروبة كحفظ النظام و حل المشاكل العائلية و كذا المشاكل الخاصة، فتعود له جميع العائلات في أمور الزواج و الطلاق ،كما يتم استشارته في قضية استقبال الزوّار و إكرام الضيوف باسم الخروبة ،وكما أنّه يسيّر المواسم الفلاحية بتقسيم المهام على الأفراد<sup>62</sup>. تعمل جميع العائلات في الخروبة الواحد على تأدية دورها على أحسن وجه محاولة منها تقديم الأفضل كي لا يتم معانتها ،أو تحميلها مسؤولية فساد أو ضعف الخروبة أمام مثيلاتها، فيقال عندنا مثل:

**nettara ije3vouven nagh s ifassen nagh** لطالما بقي هذا المثل يؤدي نفس

المعنى و هو كمن يردّ أحشاه التي وقعت من بطنه بيديه ، فلا يحقّ لأفراد العائلة أن ينشروا أسرارهم أو يعلنوا عن نقاط ضعفهم ، بل يناقشوا مشاكلهم فيما بينهم دون تدخّل كبير الخروبة ،فكثيرا ما تعاني العائلة القبائلية بالنفور إذا ما أخطأت أو طالها شيء من العار، فهنا يتم عزلها عن باقي العائلات الأخرى في نفس الخروبة لكن دون إعلان الأمر لباقي

حمدان،مالية: ميراث المرأة القبائلية بين التحدّي للأعراف و الحاجة المادية ،رسالة ماجستير ،تخصص علم الاجتماع الريفي ،جامعة الجزائر،2009\_2010،ص 51

<sup>62</sup> \_توفيق المدني ،أحمد: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، د ط، ت ،ص، 107



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

الخروبات ، و في هذه الأثناء يتم سرّاً عقد جلسات صلح لإيجاد حلول للمشكلة و إنقاذ العائلة من العزل النهائي وهذا حفاظا عن سمعة ثخروبث ، واستمرار تماسكها .

ج\_أدروم: يتشكل من مجموعة من ثخربا أي عدة "خروبوات" و التي داخلها تتشكل

من عائلة واحدة كبيرة أو عدة عائلات حسب نسب الأفراد المنحدرين من جد واحد والمشكلين لهذه القرية ، و هذا ما يفسّر تلاحم أفراد العائلة الواحدة حول نسبهم الأول و الذي بدوره ينتج نوع من التركيبية مجتمعية أبوية ، كما نجد اسم عائلة الزوج هي نفسها اسم عائلة الزوجة في أغلب الأحيان<sup>63</sup> رغم أن هؤلاء الأفراد لديهم إحساس عميق أن شيء ما يربطهم إلا أنهم يمارسون عادات و أعراف ترمز لخروبة كل واحد منهم.

يجمع بين "ثخربا" علاقات و روابط التقارب، إذ يجمعهم كذلك تاريخ واحد ، ويتقاسمون نفس العادات و الأعراف ، مشكّلين وحدة اجتماعية تعبر عن وجود كتلة رمزية مميزة متفاعلة<sup>64</sup> . فهنا نأتي للقول أنّ كل تجمّع تشكّله عائلات من مختلف الأصول والانحدار لا تسمى "أدروم" حتى لو مارسوا نفس العادات و حتى لو اجتمعوا على نفس الأعراف ، ف "أدروم" يتشكّل فقط حين توفّر شرط الانحدار من الجد الواحد و الذي يتكون فقط من مجموعة " ثخربا" فقد يكون الرابط بين الأفراد خارج نطاق العائلة ليس انحدرهم من جد واحد أو وجود رابط دم بينهم بل يجتمعون حول المنفعة المشتركة، أو علاقات صداقة مبنية

<sup>63</sup> Messailli, abdelkrim :la nuit au bout du tunnel,la kabylie entre histoire,mythes et réalité,ed Amel ,2007,p89

منيرة ،آيت صديق :المرأة الريفية و فعاليتها في توضيف المقدس السحري دراسة انثربولوجية لمنطقة تيزي وزو ،رسالة ماجستير في  
<sup>64</sup>الانثربولوجيا ،جامعة أب بكر بلقايد،الجزائر،2001/2000،ص 42

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

من زمن بعيد، قد تكون المصاهرة و حتى أنّ هذه الفئة تضمن لنفسها حماية فعالية في أوساط المجموعة لدرجة اعتبارهم ينتمون لعائلة ما.

إنّ حدود أذروم تتسع لتشمل كل الوحدات و التشكيلات القروية التي تنتسب إلى صف واحد<sup>65</sup>، في سياق كلامنا اليومي كثيرا ما نلتفظ بكلمة "تصفيث" أي أنّ هذه المجموعة من صف واحد ، ليمثلوا نفس الرأي و لهم اتجاه واحد في الدفاع عن الفكرة نفسها، وحتى عند الأطفال وقت لعبهم حين يتم عزل طفل عن المجموعة، يقال له " أنت لست من صفنا " أي أنّه لا ينتمي لهم، و حتى عندما يشتكي الطفل المعزول يقول " دارو "تصفيث" عليا، معبراً عن إخراجهم من المجموعة.

حسب الدراسات الفرنسية حول منطقة القبائل بما فيها دراسة "إميل ماسكوراى" فإنّ أذروم في هذه المنطقة عبارة عن وحدة سياسية و دفاعية تشكلت بصورة مفاجئة، يعود ظهورها إلى عوامل تاريخية و دفاعية بحتة.<sup>66</sup> و كأنّ العائلة هنا تتميز بالحصانة بصورة مطلقة و أي تهديد قد يمسّ فرد أو عائلة فإنّ باقي "أذروم" يتحرّكون دفاعا عنه.

د\_ثدارث" أو القرية : لقد ذهب "هانوتو" في دراسته للمجتمع القبائلي على أن القرية من الوحدات الاجتماعية للمجتمع القبائلي ، و هي بمثابة المكان الذي تقطنه العائلات مختلفة الألقاب و الأنساب تمثل بنية مستقلة، لها تركيبها الخاصة، إذ تسن القوانين و تغيّرها وتحدّد

<sup>65</sup> \_Emile Maskueray, **Formation des cites chez les populations sédentaires de L'algérie**, Réimpression de l'ouvrage publié en 1886 , présentation par Fanny colonna, Edisud ,Aix\_en \_provence ,1983,p 131

<sup>66</sup> \_Ibid: p 195

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

ما هو لصالح السكّان، و تعاقب المخالفين، و تشكّل وحدة خصوصية ، فبمجرّد دراسة كما لو درست المجتمع القبائلي ككل، و كأنّها الصورة المصغّرة لكل المجتمع ،إذ يتشاركوا في نفس الخصائص و العناصر<sup>67</sup>. و كأنّ القرية هي الوعاء الصغير لكن يحتوي بداخله جميع عناصر المجتمع و عينات من كل الممارسات بشكل مصغّر .

هذه المنطقة الإقليمية التي تتمتع بنوع من السيادة المحلية ذات كثافة محدودة والتي بدورها تتشكل من عدّة "إذرما" (جمع أذروم) إذ يتكوّن من عائلة واحدة أو عدة عائلات يعود نسبها للجد الواحد ،فهنا الانتماء يدور حول نسب الأب،أين يكون جميع الأفراد تابعين له مشكّلين تركيبة أبوية، غير أنّ هناك عائلات تنحدر تحت اسم المرأة لا الرجل و هذا غالبا ما يكون في حالات أسماء عائلات ذات الصبغة النبيلة ،أو المنحدرة من سلالة النبلاء.<sup>68</sup> ، لكم في نفس الوقت نجد أنّ معظم العائلات أصلها من مكان آخر،أتت للقرية في زمن معيّن ، ثمّ اندمجت في القرية بفعل المجاورة و المصاهرة لتتشكّل أجيالا مشتركة مع عائلات عريقة في القرية فغالبا ما نجد أنّ العائلات الأصلية في القرية تبدأ ب " آث " إذا استرجعت للعربية " بني " آث و اعلي،آث مقران نسبة للجد الأكبر. لكن هذا لا يعني أنّ رابطة الزواج ممكنة مع جميع فئات المجتمع و كل العائلات،بل هناك من يمنع الزواج منهم وفق للأعراف و هم: البرّاح، والذي يعتبر المنادي سواء للاجتماعات، أو الجنائز، أو كان دوره في زمن الحرب التنبيه في حالة الخطر أو السطو، فقد عُرفت هذه المهنة الأقل شأنًا في منطقة القبائل ،

<sup>67</sup> \_أ،هانوتو، و لوتورنو:المرجع السابق،الجزء 2،ص 9

<sup>68</sup> \_Messaili Abdelkrim ,op, cit :p 89

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

وكثيرا ما تنسب للغرباء الذين دخلوا على القرية طالبين اللّجوء أو يد العون. و كذلك فئة الباعة المتجولين، و الخمّاسين الذين يعملون في الحقول بأثمان زهيدة، أو مقابل مقدار معيّن من المحاصيل. و "أكلان" و هم فئة أقلّ شئناً في المجتمع، و هم أفارقة جاءوا على الجمال، بعد المرابطين مباشرة، فهم انحدروا مباشرة من العبيد القدامى، ليستقروا في منطقة القبائل على شكل فئة عمّال فقط، إذ منعوا من حقوقهم و عوملوا باحتقار، فقد استعملوا للأعمال الشاقة و حمل المحاصيل و نقلها و خدمة الأرض فلقد حرمت هذه الفئة إضافة لبقية الفئات المذكور من حق الزواج من نساء المنطقة و ذلك حفاظا على السلالة الشريفة للمرابطين .

هـ\_العرش: (بفتح العين) و الذي بدوره يتشكّل من قريتين أو أكثر و قد اجتمعت عن طريق المصاهرة، و عادة ما تكون عدة زيجات من كلتا القريتين و هذا ما يزيد من توطيد العلاقات بين القريتين إذ يتقاسمون عدة مصالح فيما بينهم، و من جهة أخرى قد تجتمع القرى لتشكّل "عرشا" لمجرد تقاربهما جغرافيا، "و كما أنّ العرش يتكوّن عن طريق النسب أي كلتا القريتين ينحدر أفرادها من جد واحد مثل عرش "آث منجلات" و يتميّز العرش بتنظيماته التي لا تنشط إلاّ عند الحاجة، فقد غير الاستعمار الفرنسي تسمية العرش، لتحلّ محلها تسمية "الدوّار" في الوثائق الرسمية<sup>69</sup>. فالعرش هنا يعتبر همزة وصل بين القرى وأعيانها، إذ يشمل مهامها عقد اجتماعات إذا دعت الضرورة الى ذلك للتشاور في أمور الحرب والسلم بين العروش الأخرى، أو انجاز مشاريع عامة مشتركة، كالأسواق و الزوايا،

نوح، عيد الله: المؤسسات العرفية بمنطقتي القبائل القبائل و وادي ميزاب و مساهمتها في المرافق العامة مقارنة مقاربية انثربولوجية قانونية<sup>69</sup>، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009، ص 210

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

ترميم مقامات أولياء الصالحين و حل الخلافات بين القرى ، و يقوم العرش أيضا بمنح الأمن " العناية " للمسافرين عبر أراضيه<sup>70</sup>. و كما يعدّ أعلى وحدة في البنية الاجتماعية للمجتمع القبائلي ، والذي يجمع مجموعة من القرى تحت تاريخ اجتماعي واحد، و يتقاسمون تفاعلات العادات والأعراف فهي تؤمن بأنّ لها مستقبل واحد، فيعبّر بورديو في دراساته عن العرش بقوله " تجتمع عدة قرى لتشكل القبيلة أو العرش التي تحمل لقب أحد الأسلاف الوهميين، والذي أقام تجمعا في منطقة ما "<sup>71</sup> رغم إشارة بورديو إلى أن العرش له حدود وهمية إلا أنّ كل عرش يختلف عن آخر من حيث عاداته و تقاليده و صياغة أعرافه، وحتى أن القرى المشكّلة لها تبقى تحت حماية عرشها و تقتدي به.

لقد اجتمعت جميع الدراسات و الباحثين عن منطقة القبائل على أنّ السبب الرئيسي لتشكّل العرش هو سبب خارجي ، و هذا ما بيّنه إميل ماسكوراوي ، و الذي يرجع " تكوين العرش إلى عوامل دفاعية و تاريخية ، أدت إلى تنظيم مجموعة من الخطوط الدفاعية، وكذلك إلى تكوين مجموعة من الصفوف بغرض الدفاع و الحماية من الغزوات الأجنبية المتكررة على منطقة القبائل منذ عدة قرون "<sup>72</sup> ، وهذا باق لغاية يومنا هذا إذ كلّما نسمع باجتماع العرش أو عدّة أعراش سنفهم مباشرة أنّ هناك عنصر أجنبي ، أو خطر خارجي في الغالب .

<sup>70</sup> فرّاد ، محمد أرزقي : المجتمع الزواوي في ظلّ العرف و الثقافة الاسلامية (1949\_1949)، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2011، ص 100

<sup>71</sup> Bourdieu , pierre : *Sociologie de l'Algérie* , ED P\_U\_F / Paris 1971 , p 12

<sup>72</sup> MASQUERAY , Emil : *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie , Kabyles de Djurdjura, Chaouia ,Bni m'Zab* , ED Ernest le Roux , Paris 1866 , p 106

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

أما في بعض الأحيان فالعرش إذا اجتمع ليس سوى لأمر بالغ الأهمية قد تكون تاجماعت القرية سواء عاجزة أو أن الأمر فوق طاقتها، أو أن القضية تهم أكثر من قرية. فقد توارث الأجيال في منطقة البويرة قصة عن قريتين طالتهما الحرب في زمن معين لأسباب بسيطة و كان أبرزها طرق العبور الذي يفصل القريتين و هما ( ابهلال وتاكربوست) فبقيت القريتين في صراع لعدة سنوات، كما قطعت جميع العلاقات و حتى النسب والمصاهرة ، فقد ألغيت علاقات عدة منهم من حرّم زوجته من أهلها الذين هم من القرية الثانية، و منهم من وصل به الأمر بالطلاق ، وعائلات أخرى دخلت في نزاعات دامت ليومنا هذا لغاية تدخل أعراش عدة مناطق مجاورة و الذين بادروا بجلسات واجتماعات صلح من أجل البحث في سبيل إنهاء العداوة بين القريتين.

فالعرش يبقى غائب في حالات السلم أين تكتفي القرية في تسيير أمور ساكنيها ،يلجأ إلى العرش حصرا في حالات المخاطر و الطوارئ و هذا ما حدث في سنة 2001 ،أين ظهر مصطلح "العروش" (وهي اتحاد جميعها ) بقوة و هذا لتدخله لفك أزمة منطقة القبائل و الحد من الإنزلاقات التي حصلت في ذلك الوقت إذ كانت الناطق الرسمي بين القرى والجهات الرسمية (الدولة) .

**و\_ثاقبيلت:** الكنفدرالية و هو اتحاد يجمع مجموعة من العروش المتحالفة و المقيمة في إقليم جغرافي مشترك، فالكونفدرالية تشكّل ما يسمى منطقة القبائل أي اتحاد الكونفدراليات القبائلية، فيرأسها أمين أمناء يتم انتخابه من طرف أمناء الأعراش ،و يبقى لمدة معينة.فقد

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

أطلق عليه أيضا اسم "لمزور" أو "أمقران" أو "لامين ن ثاقبيلت" ،من أجل رئاسة الإجماعات الطارئة أو التهديدات الخارجية ، أو إحياء عادة، أو من أجل سن قانون جديد، ينسجم و التحوّلات الجديدة في المجتمع القبائلي. أين ظهر أكثر دور الكنفدرالية سنة 1740 عند "آث ايراثن " في اجتماعها عند "تيزرا أوقمون" من أجل إرساء قانون حماية أرض منطقة القبائل .



1\_رسم بياني توضيحي للتركيبية الاجتماعية للمجتمع القبائلي .

### 3\_2\_النظام الاجتماعي لمنطقة تيزي وزو:

لقد ساهمت البنية الاجتماعية للمجتمع القبائلي في بلورة نظام اجتماعي متميّز

و ذلك بمراعاته لأدق التفاصيل في تركيباته الداخلية و التي تظهر من خلال العلاقات

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

والمعاملات بين الأفراد فقد بيّن ذلك بورديو حين قال " يقابل النقص في التقنيات إتقان مبالغ في الجانب الاجتماعي ، فعوض الضعف في التسوية مع المحيط الطبيعي ، بجودة النظام الإنساني ، و كأنّ الإنسان من أجل تحاشي ضعفه أمام الأشياء لم يجد ملجأ سوى التجمّع مع الناس في علاقات إنسانية <sup>73</sup> فالفرد القبائلي يعوّض خطر و قسوة الطبيعة الوعرة المحيطة به و عزلته في مناطق أغلبها بذلك الشعور بالانتماء لمجموعة معينة ، و التي هي البنية الاجتماعية و التي أوجدتها ظروفه ، ليفرض نوع من الاندماج الاجتماعي، فكل هذه البنيات تسعى للحفاظ على النسق الاجتماعي و البنيوي الذي يتوارثه الأجيال .

"إنّ المجتمع القبائلي أو البربري بصفة عامة مهما كان موقعه، فهو لا يقوم على نموذج معلوم، فقد عرفوا على مرّ القرون النموذج الشبيه بالجمهورية القروية و هو الأكثر تميّزا و شيوعا. فلا يمكن إنكار الطابع القروي لهذه المجتمعات... فالقوية القبائلية، المعروف تنظيمها أكثر من تنظيم سواها ، ليست في حد ذاتها سوى فخذة من القبيلة يُجعل لها من في العادة نسب مصطنع <sup>74</sup>

من خلال فهمنا للنظام الاجتماعي فهو ذلك الترابط في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد و الجماعات و الذي يظهر لنا من خلال البناء الاجتماعي المعرض بصورة دائمة للتغير ، فهو ينمو و يتجدد مع اختلاف الظروف و تباينها ، فالبناء الاجتماعي يحدد من خلال التغير الاجتماعي و الوظيفة الاجتماعية و العملية الاجتماعية " من حيث البناء

<sup>73</sup> \_Bourdieu , pierre : Op , cit, p 11

<sup>74</sup> \_غابرييل ، كامب: البربر ذاكرة و هوية ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، افريقيا الشرق ، المغرب، سنة 2010، ص353



## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

فان النظام يشير الى العلاقات الإنسانية التي تضم المكانات المختلفة أو المراكز و مواقع العمل في نمط له مغزى<sup>75</sup> ثم الوظيفة الاجتماعية نفهم منها، ذلك التقسيم و التوزيع للعمل و المسؤوليات و تحديد مواقع عمل المشتغلين ، و من هنا تتحدد الأدوار التي يتبناها الأفراد في المجتمع ، " أما من حيث العملية الاجتماعية فان النظام الاجتماعي يمكن أن يرى في المجهود المتصل \_ الناجح و غير الناجح \_ لتكييف العلاقات و الوظائف الاجتماعية لحاجات الجماعة المتغيرة ، و لضغوط البيئة الطبيعية و الاجتماعية<sup>76</sup>

من هنا نأتي للقول أن التغيرات و السلوكات في النظام الاجتماعي ليس مجموع الأفعال و الممارسات الناتجة عن جهة معينة ، وإنما ذلك التفاعل النابع عن تلك الأفعال وهذا ما يتبين لنا من خلال تركيبة المجتمع القبائلي ، الذي تتصل تجهيزاته و مؤسساته ببعضها البعض في شكل بناء كلي من أجل تأدية وظيفة تنظيم الحياة اليومية في المنطقة ، و هذا من خلال تقسيم الأدوار على جميع فئات أفراد المجتمع.

<sup>75</sup> محمد مصطفى الشعبي، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، 32 عبد الخالق ثروت، القاهرة، 1974، ص51

<sup>76</sup> محمد مصطفى الشعبي، نفس المرجع، ص 51

## الفصل الأول: المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل

### خلاصة:

من خلال ما رأيناه في الفصل، عرفنا أن النظام الاجتماعي و القبلي لمنطقة القبائل هو من ساهم في خلق تنظيم عشائري، من خلال التكتل السكاني الخاص بهذه المنطقة والمتمركز في مساحات صغيرة، مما سمح بتشكيل نسيج مترابط من السكان، و كذا دور المرفولوجيا الاجتماعية في ضبط سلوك و ممارسات الأفراد، وكذلك فهمنا كيف ساهمت خاصية الاستقرار المكاني لدى الشعوب الأمازيغية في بناء أنظمة خاصة بها كانت بحاجة لها من أجل تنظيم حياتها اليومية، بعدما عرفت بقلّة ثقّلها، و انعزالها عن باقي النسيج الحضري أين عوّضت هذا العزل الاجتماعي بأهم التنظيمات المتواجدة فيها وهي "تاجماعت" التي لعبت دور السلطة الحاكمة في القرى القبائلية و التي أخذت على عاتقها مسؤولية موازية للدولة الحديثة بكل معاييرها .

كما رأينا الترابط الوطيد بين الوحدات الاجتماعية في منطقة القبائل انطلاقا من النواة "الأسرة" التي تعتبر البذرة الأساسية التي تمد للقرية شكلها الاجتماعي و كيف تساهم في تنشئة الفرد على أهم الممارسات و إعطاء المعنى الحقيقي لمصطلحات " السلطة " الدور الاجتماعي " العقاب و الثواب".

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

### تمهيد

نأتي في هذا الفصل إلى تحديد مفاهيم العشائرية، و نزع اللبس على أهم المصطلحات المرتبطة بها، و ما علاقة المصطلحات فيما بعضها و علاقتها بمصطلح " القبائل " Les « Kabyles كما أننا سنتطرق إلى أهمية وصف النظام القضائي العشائري، و كيف عُرِّفت القوانين العرفية في عدّة مناطق من الوطن العربي، و كيف يمكن أن لنظام تشترك فيه عدّة بلدان رغم الاختلاف الجغرافي أن ينجح في فرض وجوده؟ و هل يتم ممارسة النظام العشائري بنفس الصيغة ؟ وكيف لقوانينه أن تكون قوّة مؤثّرة على الأفراد و الجماعات.

كما سنعرف كيف تشكّل النظام العشائري في منطقة القبائل الجزائرية، و ما أهم

المميزات التي تشترك فيها جميع القوانين العرفية منذ عدّة قرون .

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

### 1\_العشائرية في مفهومها :

كلّما ذُكر مصطلح "العشيرة"، "العشائرية" إلّا و لاقى هجوما و اتهاما، تحمّله مسؤولية الخلل الواقع في المجتمع، لدرجة أنّهم أسندوا إليها تخلف المجتمعات، و قلّوا من احترام "العشيرة" كمؤسسة اجتماعية محترمة حافظت و لازالت تحافظ على تماسك المجتمع، بفضل صرامتها، فقد حرصت على أن تكون قوانينها تخدم العدل في المجتمع و ليس العكس كما يدّعي الذي لم يتعمّق في البحث النظيف في مفهوم العشائرية و أصولها .

لطالما عانت المجتمعات العربية من سوء فهم للمصطلحات و سوء استخدامها وحتى عند الطبقة الباحثة، فنجد جميع أنواع الإقصاء للبحوث التي تتطرّق للعشائرية، القبليّة، القبيلة"، ففي الجزائر عرفت هذه المواضيع على أنّها "مواضيع إحياء الفتنة " باعتبارهم يربطون كل ما هو عشائري "بالجهوية" و كأنّها تخص منطقة مشحونة بأفكار مرتبطة بمرحلة الاستعمار، مدّعين أن العشيرة مصطلح معاد و مخالف للدولة الحديثة، وقوانينها تعرقل التطوّر بما تحمله من تخلف في كيفية الاحتكام في الخصوم و طريقة تطبيق الأحكام. كما أنّ هذه البحوث وضعت تعسفيا في خانة الدراسات التي تشجّع الأبحاث الكولونيالية، و ذلك باعتبارهم أكثر من كتّب فيها، و أنّ أهم الدراسات و أعمقها تمّت في المرحلة الاستعمارية بغض النظر عن أهدافها.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

بعد الأوضاع التي تعيشها الجزائر مؤخرا، من إحياء بعض المناطق لرغبتها في الدفاع عن كل ما هو تقليدي في تاريخها، وهذا ما سبب احتقان لسنوات ومرور المجتمع الجزائري بفترات أزمة سببها خطابات إيديولوجية ترفض الواقع القبلي لبعض المناطق و تنفي التاريخ القبلي للمجتمع الجزائري، مختبئين وراء فكرة تكوين و بناء دولة موحدة و قواعد مؤسساتية تخدم الديمقراطية بوسائل أكثر عصرنة. لهذا عملنا على أن نتناول موضوع العشائرية من وجهة أنثربولوجية علمية ميدانية، محاولين الاستغناء عن كل فكرة جهوية قد تؤثر على مصداقية البحث.

إنّ مفهوم العشائرية من المفاهيم التي عرفت عدّة توظيفات في دراسة مجتمعات مختلفة في مواطن جغرافية عدة، سواء في تاريخها أو نمط حياتها و تنظيمها الاجتماعي، "العشيرة تضمن وحدة المجتمع، حيث تشكل البنية الأولى من بنیان المجتمع العام، و لم ولن تكون بمفهومها الصحيح عقبة أمام دولة المؤسسات. كما لم تصدر يوما ما هو سلبي للمجتمع، أي أنّ العادات العشائرية الموجودة لدينا، و الموجودة أيضا على كل الأراضي العربية لا تعرقل سير التقاضي بين الناس، بل تساعد و تدفع باتجاه إحقاق الحقوق لأصحابها، هدفها ألاّ يعلو صوت الباطل على صوت العقل و لا يتصرّف ولي الدم، حسب عواطفه"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> \_محمد حسن ، التل : في مفهوم العشائرية ، مقال نشر عن وكالة عمون الاخبارية ، 2010/04/19 ، س 03:53 .  
عن الرابط : <https://www.ammonnews.net/article/58763>

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

يرى د . محمد الخطيب العشيرة في كتابه الاثنولوجيا " دراسة عن المجتمعات البدائية " على أنّها وحدة اجتماعية تعتبر امتدادا للأسرة وتتميز بتسلسل قرابي معين يتفق مع نظام سكني خاص ولذلك فإن العشيرة هي وحدة مكانية ويعتقد أفراد العشيرة الواحدة في وجود جدّ واحد مشترك قام بتأسيس العشيرة وأحيانا يكون ذلك الجد شخصية أسطورية<sup>2</sup>، كما يضيف د. محمد أحمد غنيم في كتابه الضبط الاجتماعي والقانون العرفي " دراسة في الاثنوبولوجيا تعريفاً عن العشيرة، على أنّها مجتمع تتعدد فيه الزمر الاجتماعية، ولكنه لازال يحتفظ بوحده وتجانسه وعدم قبوله للانقسام إلى عدة مجتمعات، تتمايز على الرغم من أنّها تتكون من الأسر الصغيرة التي لا تكون أقساما سياسية متميزة، و لقد أتى تعريفه نقلا عن أفكار دوركهايم<sup>3</sup>.

كما رأينا أنّه من المهم التطرّق ولو بشكل وجيز لبعض المصطلحات المرتبطة بالعشائرية، حيث يتم الخلط غالبا فيها ونجدها تستعمل في غير محلّها، "القبيلة" القبلية" العشيرة " و هناك ما يتقارب لها من مصطلحات أخرى "الفخذ، البطن، العمارة... " لكن نجد أنّ هذه تكفي لتوضيح إطار الدراسة و نزع اللبس الذي يعتلي هذا النوع من الدراسات.

فيمكن لنا إيجاد الاختلاف بين القبيلة والعشيرة من خلال التعرّف على مفهوم كل منهما؛ فالقبيلة التي جمعها "قبائل"، تعني الجماعة من الأشخاص الذين ينتسبون إلى أب

<sup>2</sup> محمد الخطيب : الاثنولوجيا ، دراسة عن المجتمعات البدائية ، دار علاء الدين للنشر ، سوريا ، سنة 2009، الطبعة 2  
<sup>3</sup> محمد أحمد ، غنيم : الضبط الاجتماعي و القانون العرفي...دراسة في الاثنوبولوجيا الاجتماعية ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر،

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

واحد، أو جد واحد، أما العشيرة والتي جمعها "عشائر" فهي تعني عند قول عشيرة الرجل بني أبيه، وأقاربه، وقبيلته، حيث أنزل الله سبحانه وتعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)<sup>4</sup>، أي أن الله عزّ و جلّ يقول لنبيه (ص) أن ينذر أقربائه و يحذّرهم من العذاب الذي سينزل بهم جراء كفرهم.

### 1\_1\_ القبيلة : كثيرا ما ارتبط مفهوم القبيلة في الدراسات بالبادية و الصحراء، و كل

ما هو إرث قديم لتتصهر كليا في الحياة المعاصرة و تختفي تقريبا من الاستعمال لتأتي مكانها "الدولة" كمفهوم أكثر عصرية و تأقلماً مع كل ما هو جديد، فقد نجد "القبيلة" مقتصرة فقط عند باحثي الأنثروبولوجيا. فكما قلنا سابقا على أنّ القبيلة مجموعة من الأفراد يتشاركون نسب واحد، أي على الغالب منحدرين من أب أو جد واحد، يتقاسمون نفس المجال، و يتشاركون في إقليم يعتبرونه وطناً فيعرفون بارتباطهم بالأرض و يعتبرونه جزء لا يتجزأ من انتماءهم، فإذا أتينا لإسقاط هذا المفهوم على ما عاشته الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي لما عانتها المناطق الجبلية و خاصة منطقة القبائل التي تمسّكت بأرضها رغم جميع المضايقات والضغطات، فقد عان السكان معاناة شديدة مقابل التمسك و البقاء على أرضهم والتي اعتبروها مصدر حياتهم و بقاءهم. فقد كان الفرد القبائلي في جبال جرجرة يخدم أرضه على أنّها جزء من روحه لدرجة أنه عرف في القديم أنّ من يفرط في أرضه كمن فرط في

<sup>4</sup> سورة الشعراء : آية 214

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

أهله (و يقصد بالأهل هنا " الزوجة" ) و من سمح لغريب أن يأخذ أرضه أو يتمادى عليها كمن دخل منزل أحدهم و كسر حرمة، و هذا المعروف والثابت لغاية يومنا هذا.

لقد ورد في لسان العرب التحديد اللغوي للقبيلة: القبيلة واحدة " قبائل الرأس" و هي القطع المشعوب بعضها لبعض ،تصل بها الشؤون، و بها سميت قبائل العرب الواحدة قبيلة، و قبائل الشجرة: أغصانها و كل قطعة من الجذع قبيلة، و القبيلة صخرة تكون على رأس البئر...، و عن ابن الأعرابي هي القبيلة والمنزعة، و عقاب البئر حيث يقدم الساقى والقبيلة أيضا من الناس الذين من أب واحد<sup>5</sup>

لذا نجد عند علماء الاجتماع أن شرطى القبيلة و دوامها هما: الاستقرار المكاني والعاطفة الجماعية التي نعتبرها بشكل ما " العصبية" أو التضامن المشترك، فلا يمكن أن نسمي تجمع ما قبيلة ما لم يكن لهم ارتباط بمكان يعتبر وعاء يحمل جميع مقوماتهم، ليكون جزء لا يتجزأ من مكوناتهم كجزء ثابت، والعاطفة الجماعية هي جميع سلوك الحفاظ على هذا المكون المكاني، فدفاعهم المشترك عن هذا المكان، يسمي بصورة ما "بالعصبية" والتي تحمل في طياتها جميع أصناف التضامن المشترك.

فالقبيلة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا جزء لا يتجزأ من المشهد الاجتماعي والسياسي الحديث، شأنها شأن الجماعات العرقية واللغوية والشبكات المتماسكة في الأوساط

<sup>5</sup> منصور مرقومة: القبيلة و السلطة و المجتمع في الجزائر، بحث انثربولوجي في المجال التيهرتي، دكتوراه علوم، سنة 2010، جامعة وهران، الجزائر، ص 64



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

الحضرية و القرى الريفية. في مقالة استشرافية صدرت سنة 1953 حول ماهية "القبيلة" في شمال أفريقيا، استحضر جاك بيرك تساؤل إرنست رينان في القرن التاسع عشر عن ماهية الوطن، فقد ركّز بيرك على التمييز بين طرحه والرأي الذي لا يزال سائدا في عصر تلاشي الهيمنة الاستعمارية الذي جرّد سكان شمال أفريقيا من هوياتهم الأصلية الاجتماعية المعقدة، و قد نتج عن هذا الرأي صرف الأنظار عن مرونة الهويات القبلية و مدى قابليتها للتأقلم مع الظروف المستجدة.<sup>6</sup>

### 1\_2\_ القبيلة: « Tribu » و علاقته بـ « Les kabyles » « القبائل »

يعود أصل مصطلح "القبائل" لاشتقاقه المباشر من كلمة " القبيلة" العربية، فهو لا يحمل مدلولاً عرقياً، فيسمى المنسوب إلى "القبائل" بـ " القبائلي" و ليس " القبلي" بل كان يُقصد به سكان الأرياف، فقد استعمله في هذا المعنى كلّ من سكان مدن قسنطينة و عنابة و الجزائر الذين أطلقوه على سكان الجبال القريبة من مدنهم، فهي تسمية أطلقها العثمانيون على المناطق الجبلية الحصينة الواقعة في شرق مدينة الجزائر ، ثم أصبحت أكثر استعمالاً بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث ذكر الجنرال دوماس و فابار، أن الكلمة لم تطلق على السكان الجبليين لشمال إفريقيا إلا بعد الفتح الإسلامي لها. أما الأبحاث في اللغة العربية فقد أتت على هذا الشرح:

<sup>6</sup> ديل أكليمان : الانتماء القبلي في وقتنا الراهن ، التداعيات و التحولات ، مجلّة عُمران ، العدد5/19 ، سنة 2017، ص 58.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

القبيلة (Kabyla)، قبل (Kabel)، بكسر الباء / قبل بتسكين الباء<sup>7</sup> (kobel)، فإذا كان المعنى الأول يدل على منطقة القبائل التي هي عبارة عن مجموعة عشائر (قبائل)، فالثاني يشير إلى قبول سكان المنطقة للإسلام، بينما يدل المعنى الثالث على تواجد سكان المنطقة في شمال إفريقيا قبل توافد المسلمين عليها.

اختلفت الدراسات التي تناولت القبيلة من عدة جوانب فمنها من درسها من ناحية الانتماء و النسب و اكتفى بإعطاء تعريفات محددة، و منها من تطرّق إلى مفهوم القبيلة من الناحية الجغرافيا، أي أن الحدود الجغرافيا هي من تشكّل عوالم القبيلة. و سنقوم بإعطاء فكرة شاملة من خلال دراستنا عن مفهوم القبيلة و المرتبط مباشرة بمفهوم القبائل (les kabyles). و هذا من خلال المفهوم و التنظيم في آن واحد من خلال ما تناوله "بول باسكون" على أن القبيلة جمعية سياسية مبنية على عوامل اقتصادية\_جغرافية: أي علاقة الإنسان بالأرض والطاقة البشرية و الثروة الطبيعية لفضاء ما في مستوى تكنولوجي معين<sup>8</sup>.

### 1\_3\_ القبيلة «Tribalisme»: دائما ما يكون هذا المصطلح تابعا "للقبيلة"، و الذي

يمثل ذلك الشعور بالانتماء لجماعة ما دون غيرها، إلا أن القبيلة عرفت بإقصائها من البحوث الأنثروبولوجية التي تدرس العشائرية و القبيلة، لأنها تحمل نوع من العصبية السلبية الناجمة عن الشعور بالتفوق عن باقي المجموعات البشرية، و هذا ما حدث في أغلب

<sup>7</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان، دت ، ص541.  
<sup>8</sup> أونيا محمد: التصور الانقسامي للمجتمع القروي بشمال المغرب " ملاحظات حول أعمال رايمون جاموس و دافيد هارت \_ مجلة أمل \_ العدد 12 ، 1997، ص70.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

البلدان العربية، فيمكن أن نقول أنّ المعنى الحقيقي للقبيلة اختفى ليحلّ محله القبلية بكل صورها السلبية، ليس فقط ذلك الشعور بالدفاع عن الخطر الخارجي و الحفاظ على التماسك بل ارتدت هذه الدوافع قشرة العدوانية و الأثانية، و هذا ما شجع النزاعات و الحروب الأهلية التي يشهدها العالم العربي بالخصوص.

يحيل هذا المصطلح في مفهومه الأوّلي على حالة شعورية لدى الجماعة حول نفسها، يملئها الإحساس بالانتماء و الهوية الاجتماعية و الثقافية، فهو يعبر عن ذلك الواقع المركّب، ثقافي، سياسي و ايديولوجي... فالقبيلة ليست سوى مدلول من مخلفات الحقبة الاستعمارية و مدلول من أشكال اجتماعية أولية... فقد ظهرت في الفترة الاستعمارية و ما بعدها عدّة أشكال و أنواع من القبليات "جمع قبيلة" التي لم تكن تكريسا للمفهوم السابق، بل لمفهوم تحدده التناقضات الاجتماعية الجديدة و التي وجدت المجتمعات الإثنية نفسها في مواجهتها، الشكل الثاني للقبلية يصبح شكلا جديدا للتعبير السياسي و الاجتماعي، و لا يحيل في تفسيره للماضي ما قبل استعماري و لكن إلى الدولة الوطنية، فالقبلية يمكن أن تأخذ منحى ما فوق قبلي في إطار وطني<sup>9</sup>. هذا ما يُشكل الهوية القبلية التي تعتبر شأنها شأن الأسس الأخرى للهوية الاجتماعية، فهي لم تولد من فراغ، و نذكر هنا القرابية، الجنسية، القومية و الوطنية فهي كلّها تبنى و تقوى و تتغير بتغير الأحوال الاجتماعية والسياسية.

<sup>9</sup> \_ المرجع نفسه: ص 73

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

يمكن أن نجزم أنّ الدول العربية عجزت في إقرار ازدواجية التنظيم، بإدخال نوع من التنظيم التقليدي على مؤسّساتها العصرية، فربّما حاول البعض لكن لا يمكن سوى للعصبية القبلية أن تظهر في هذه التنظيمات ممّا يسبّب نوع من الاحتكار، والتحالفات الطائفية، ممّا يسمح بظهور قوي لمفهوم "القبلية". إنّ هذا الفشل في التسيير الحديث بالموازاة مع القوانين العرفية النابعة عن التنظيم القبلي، راجع إلى أنّ هذه الأخيرة أقدم وجودا من قوانين المؤسسات الحديثة، و بذلك أكثر صلابة، و أكثر ترسخا في ذهنيات الفرد، فأبسط مثال نستحضره هنا، لو سألنا أي شخص عن القوانين الجديدة و الدساتير المعتمدة في بلاده لما تذكّر أي منها في الغالب، لكن لو كان الحديث عن القوانين التقليدية و بعض العقوبات العرفية لفصل فيها تفصيلا. و على أنّ المؤسسات الحديثة "الدخيلة" أنت لتحمي التواجد التقليدي للنظام العرفي. إذن المشكلة أعمق من أن تدّعي بعض المناطق عبر الوطن العربي على تقبّلها ازدواجية الحكم، هذا إن حصل فهو بشكل سطحي لا غير.

### 4\_1 \_ العشيرة Clan : هي وحدة اجتماعية تعتبر امتداد للأسرة و تتميز بتسلسل

قرابي معين يتفق مع نظام سكني خاص و لذلك فإن العشيرة هي وحدة مكانية يعتقد أفرادها بوجود جد واحد مشترك قام بتأسيس العشيرة و غالبا ما يكون ذلك الجد شخصية أسطورية، أمّا في المعجم اللغوي تعني كلمة العشيرة آل بيت الرّجل و تشمل أبناؤه و أخوانه و أعمامه و أجداده، أي الأصول و الفروع فقط . فالعشيرة هي مجموعة الأفراد الذين ينحدرون من أصول واحدة ، فقد تضم العشيرة أيضا أحلّفا أو أفرادا يدخلون فيها ، فيقال عنهم إنهم منها

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

بالولاء، و سميت العشيرة كذلك لأنها تعني معايشة أي الاختلاط و المصاحبة ففي المنجد (عاشر معايشة : أي خالطه و صاحبه فمعنى تعاشر القوم أي تصاحبوا و تخالطوا\_ فالعشيرة معناها المخالطة و المصاحبة ، و يقال أيضا معشر الرجل أي أهله<sup>10</sup>

و هناك من صنّف العشيرة على أنّها عدد من الفرق<sup>11</sup> ، فقد وُجِدت هذه الكلمة في عشائر الأردن ، كما أنّها ذات أكثر من أصل ، فكلمة \_عشيرة\_ تطلق على مجموعة تلتقي بالجدّ العاشر من حيث خط الانحدار ، سواء كان هذا الجدّ العام حقيقيا أم مفترضا، ويصف الأردنيون العشيرة بعبارة " سنان و عنان" أي رمح و عنان ، حصان أو فرس ، وذلك إشارة للعلاقة ما بين مفهوم العشيرة و الرّمّ عشرة ، فالرّمح يحتاج إلى يد واحدة بخمسة أصابع كاملة ، للإمساك به و استخدامه ، بينما يحتاج عنان الحصان إلى جميع أصابع اليد الأخرى ، و لهذا فإنّ الرّجل مضطر لاستخدام كليهما لركوب الحصان واستخدام الرمح والسيف في القتال و هذا تفسير و اشتقاق لكلمة عشيرة<sup>12</sup>

<sup>10</sup> \_السّعدى ياسين : العائليّة و العشائريّة و الحزبيّة ، مقال نشر في " دنيا الوطن" بتاريخ 16\_10\_2012  
الفرق : مجموع فرقة و التي يفترض انحدارهم من جد عام واحد ، يكون الثامن أو التاسع ، أو آتون من عدّة أجداد لا تربطهم قرابة الانحدار من أب واحد ، و لكنهم يفترضون أنّهم من جد واحد حقيقي أو مفترض .  
أحمد ، عويدي العبادي : القضاء عند البدو ، نظام العشائر العرفي و دمجها التكاملي في إطار الدولة و سياستها ، دار جريب للنشر ، عمان ، الأردن ، ط 1، سنة 2006، ص 145.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

يعرف العالم الاجتماعي دوركهايم "العشيرة" بأنها مجتمع تتعدّد فيه الرّمز الاجتماعية و لكنّه لا يزال يحتفظ بوحدته و تجانسه و عدم قبوله الانقسام إلى عدة مجتمعات تتمايز على الرغم من أنّها تتكون من الأسرة الصغيرة التي لا تكوّن أقساما سياسية متميزة<sup>13</sup>.

فالعشيرة هنا تبنت دور مؤسسة الضبط التي وضعت لنفسها مهمة الحفاظ على أمن و استقرار المنطقة ثم الحفاظ على السلم الاجتماعي في الوسط الذي تشكله العشيرة.

مما سبق يمكننا إعطاء مفهوم للنظام العشائري بأنّه أسلوب أو طريقة يُلجأ إليها من أجل حل النزاعات و تنظيم الحياة الاجتماعية للقرى ، معتمدا على مجموعة من القيم المتفق عليها تعددت مصادرها على شكل قوانين عرفية (سيتم التّطرق إليها بالتفصيل في الفصول القادمة ) لاقت قبولا من طرف السكان لدرجة أنّها أصبحت إلزاما

لقد اهتمت المعاجم العربية بمفهوم "العشيرة" لتشعب معانيه و مدلولاته لنجد تعريف و معنى عشيرة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي:

\_عشيرة : اسم و التي جمعها " عشيرات أو عشائر.

\_عشيرة الرجل :بنو أبيه الأقربون و قبيلته<sup>14</sup>.

2\_د.محمد أحمد غنيم: الضبط الاجتماعي و القانون العرفي (دراسة في الانتروبولوجيا الاجتماعية ) ط1، دار عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الجيزة ، مصر ، 2009، ص47  
14\_ معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

\_ و العشيرة ذلك المجتمع الصغير الإنساني، يشترك في ملكية واحدة و يتضامن في أخذ الثأر من خصومه، و هو أضيّق من القبيلة.

لقد ثبت في عدّة دراسات صادفناها أنّ مصطلح "العشيرة" أتى من "المعاشرة" و التي تعني هنا المعاشية أو العيش مع، وبالخصوص العيش مع نفس الأشخاص في نفس المكان لمدة زمنية طويلة. فقد تتكوّن العشيرة من عائلة واحدة توسّعت نفوذها في المكان و شكّلت من نفسها عشيرة، بعدما فرضت نفسها على باقي العائلات. لا تأتي هذه التركيبة(العشيرة) في وقت قصير بل تتشكّل بعد زمن طويل قد يصل إلى جيلين أو أكثر، فكثيرا ما تعرف هذه العائلات بترائها المادي و امتلاكها لأغلب أراضي المنطقة، وشخصياتها التي تحض باحترام الجميع لتفرض كلمتها على أفراد المنطقة، فبعد أن تعلن عن انسحابها من العشيرة الأم إلّا ونجد مجموعة من الأسر الضعيفة انتسبت لها و طلبت الحماية منها .

إذا أسقطنا هذه المفاهيم على المجتمع المدروس، و كيف تعامل السكّان مع هذه المفاهيم من الدراسة، فنجد أنّ منطقة القبائل عبارة عن وعاء كبير يحمل داخله جميع هذه المعاني إلّا أنّ التسمية تختلف بفعل اللّغة الأمازيغية المعتمدة، لكن حافظت على شكلها الحقيقي، فنجد كلمة "أث" و التي تعني " بني " تعبّر على مجموعة متلاحمة من السكّان والذين ينحدرون من جدّ واحد، و غالبا ما يتقاسمون نفس اسم العائلة، و هذا قبل التعديلات التي شهدتها الجزائر وخاصة منطقة القبائل خلال المرحلة الاستعمارية كسياسة خبيثة للتفرقة

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

و تفكيك كبرى العائلات بدافع إضعافها. و كما أنّ تسمية " عرش أث .. " و التي تعني عشيرة فلان، فكثيرا ما نسمعها للتعبير عن الانتماء، على أنّ هذا الشخص ينسب لسلالة الجد الفلاني و الذي تُسمى العشيرة باسمه.

لا نسمع كلمة "القبيلة" في المجتمع القبائلي بهذا المصطلح، بل يأتي على شكل انتماء معنوي، و كما أنّ مفهوم "العصبية" لا يذكر كذلك بهذا المصطلح، فقط يكتفي الفرد بالتعبير عن حبه و تعلّقه الشديد بانتماؤه لعشيرة ما، و الدفاع عن مبادئها بكلّ شراسة، لنفهم أنّ مصطلح "العصبية" استوفى شروطه هنا.

إلا أنّنا شهدنا عدة انسلاخات في منطقة القبائل من عائلات ذات نفوذ تخلّت عن عشائرها و انتماءها السابق لتشكّل بنفسها عشيرة رفيقة عدّة عائلات (غالبا ما تكون أقلّ منها شأنًا)، و خاصة بعد دخول الغرباء و استقرارهم في منطقة القبائل على شكل عمال. فسارعت بعض العائلات ذات الجاه بضمّ بعض من التّازحين من عائلات عُرفت بالضعيفة سواءا ماديا أو من هشاشة المكانة الاجتماعية، و أنّ شأنها غير شأن الأسر الأصلية في المنطقة. ففي القديم كان ذلك لهدف توفير اليد العاملة التي تعمل لفائدة كبرى العائلات، لكن في الوقت الحالي، فغاية العائلات هو جمع قدر كاف من الأنصار كي تُسمع كلمتهم.

فهنا نتحدّث عن كبرى العائلات المالكة للأراضي و الثروات، و خاصة تلك التي لها تاريخ بطولي في حقب تاريخية معيّنة، و التي قدّمت كثيرا للمنطقة، وهنا نرى أنّ انتمائها



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

لعشيرة ما عبارة عن تبعية لها، و تقليل شأن فقط، فالعائلة هنا تعلن انسحابها من العشيرة. في هذه الحالة (المسموحة) في منطقة القبائل يتقبل كبار تجمعات رغبة العائلة احتراماً لهم، و هذا لا يعني أنهم سوف يحرمون من الانتماء للنظام العشائري، فلا يتم إقصاءهم بشكل ما، بالعكس يتمتعون بكل حرية ممارسة اجتماعاتهم و نشاطاتهم، لكن بما تسمح به تجمعات، فلا يمكن أن يقوموا بما يخالف العرف، أو السماح لهم بتشكيل عناصر قد تحدث فتن داخل القرية، كما تبقى هذه العائلات تحت سقف " التوفيق " أي أنها لم تخرج من حماية القرية.

إلا أن هذا الانسلاخ لا يتم الترحيب به بشكل مطلق في عدة مناطق، إلا لسبب مقنع، فهناك من يعتبر هذا الشأن من الخيانة و الخروج عن النظام العشائري، إذ نادوا بحرمان الحماية لهذه العائلات، و إخراجها من التنظيم الاجتماعي وعزلهم. و هذا يأتي بعد خلافات كبرى، أو الخيانة، أو جرائم قد تمس تركيبة العشيرة، فهنا تجتمع العشيرة، و تقرّ إخراج عائلة بأكملها من توفيقها، فهنا قد تطلب هذه العائلة انتماء آخر، كما قد تبقى دون انتماء لعشيرة أخرى .

### **2\_دراسات سابقة تناولت العشائرية في عدة مفاهيم:**

إنّ الغرض في هذا العنصر من البحث، هو وصف النظام القضائي العشائري في مختلف مناطق الوطن العربي، و مدى تأثيره على الأفراد و الجماعات، حيث يشكّل جزءاً لا

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

يتجزأ من هويتهم الشخصية و الثقافية و لهذا رأينا أنه من الأنسب التطرق لأهم الدراسات ومراجعة بعض الأبحاث المتعلقة بالموضوع، لأننا بصدد دراسة محلية لكن لها عدّة روابط وجذور بالوطن العربي، والتي نعتبرها قراءة في مؤلفات حول العشائرية بغرض تبيان الفوارق بين الجزئي و الذي يكمن في خصوصية النظام العشائري في كل منطقة و الكلّي و الذي بدوره يجمع مجمل الأعراف و القوانين العشائرية في كل الوطن العربي:

### 2\_1\_دراسة حول النظام العشائري في مصر و سيناء :

يتناول "كينيت" (1920) مجموعة من المظاهر المتعدّدة للنظام القضائي القبلي في شبه جزيرة سيناء و الصحراء الغربية من مصر، أين تطرّق إلى النظام القضائي، وطرق فض النزاعات عند البدو و كيفية التعامل مع عدّة قضايا تتعلّق بالديّة ، و الديون الأرض والإرث، و مختلف الخلافات، و قضايا أخرى تخص النساء، أين اقتصرت دراساته حول وصف الحالات التي حضرها بنفسه، لكنّه بقي بعيداً عن التحليل و الغوص في تفاصيل القضايا و الأحكام، رغم ذلك اعتبرت دراسته من بين أهم الدراسات على المنطقة حول موضوع العشائرية .

من جهة أخرى قد سجّلت دراسة أخرى للقانون العشائري البدوي في مصر و سيناء، قام بها لواء في الشرطة المصرية، و هو الجواهري (1921) أين أملت عليه ظروف عمله بين البدو لسنوات عدّة، إذ قام بعملية تصنيف القضاة عند البدو كلّ حسب القضية التي

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

ينظر فيها و الحالات التي يقيم عليها الحكم مثل قضايا القتل، الجروح، الأملاك و النساء مستمداً مادته من عارفي المنطقة و التعايش مع سكان البدو، إذ أنه قام بتدوين قوانين مكتوبة رسمية و عشائرية أصدرتها الحكومة المصرية وذلك من أجل ترتيب النظام القضائي لأبناء العشائر، و سكان الواحات في مصر. لقد اتبع منهجية دراسة حالة، أين درس كل منطقة على حدة كشيء منعزل و مستقل عن باقي المناطق، لكن لم يقدم أي مقارنات و لم يغص في أعماق الحياة الاجتماعية و القانونية من أجل فهم كيفية تشكل القوانين العشائرية انطلاقاً من الحياة الاجتماعية اليومية، ولهذا بقيت معطيات دراسته سطحية خالية من المقارنة و التحليل.

في عام (1977) كتب الفحّام مقالة من ست صفحات، أين تطرّق فيه إلى النظام القضائي البدوي في مصر و سيناء، أين تحدّث باختصار عن مجموعة من المظاهر البدوية و قيمها و أخطاء قانونها، إذ أنه اكتفى بنقل من كتب أخرى تناولت نفس الموضوع و التي أشار إليها في نهاية مقاله.<sup>15</sup>

تعتبر مصر و سيناء خصوصاً من بين أهم المناطق التي لازالت تحتكم للنظام العشائري ليومنا هذا، فقد تُبنت عدّة قوانين عندهم تتشابه مع القوانين العرفية لمنطقة القبائل، خاصة أعراف مراسيم الزواج و تسقيف المهر التي تقريبا تتطابق مع أعرافنا في الجزائر.

<sup>15</sup> عويدي العبادي، أحمد: القضاء عند البدو، نظام العشائر العرفي و دمجها التكاملي في إطار الدولة و سياستها، ط1 دار جرير، الأردن، 2006، ص31

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

### 2\_دراسات عشائرية في فلسطين :

جمع عارف العارف، أثناء تولّيه منصب حاكم بئر السّبع، في أواخر العشرينات من القرن العشرين، مجموعة من الملحوظات التي تمّ طبعتها في عام 1933 و التي تناولت مظاهر النظام القضائي البدوي في هذه المنطقة. أين وصف الباحث بصورة عشوائية كيفية معالجة البدو لمختلف القضايا الاجتماعية من قتل و سرقة و حقوق المرأة و قضايا أخرى، قام بجمع مادّته في كتاب. وصفت دراسته بالوصفية و السّطحية رغم أنّه تطرّق إلى جميع قضايا البدو، لكن أهمل عنصر التفسير لبعض الحالات الشاذة من الإجراءات القبلية: مثل أن يقول أنّ الغرّة تتألف من امرأة واحدة، أمّا في الحقيقة ثلاث نساء إحداهنّ عبدة. لقد تمّ نقد كتابه حول النظام القضائي البدوي لبير السّبع "تاريخ بئر السّبع و قبائلها " إذ أنّه يخلو من الدقّة، كما فنّد عدّة باحثين حقائق الكتاب و وصفوها بعدم تطابقها مع واقع النظام العشائري.

كما تناول البرغوثي (1920\_1922) عددا من مظاهر النّظام القضائي لدى بدو فلسطين، قام من خلال دراسته بتصنيف القضاة إلى أربعة فئات رئيسية: قضاة الضّيف، قضاة الحقوق المدنية، قضاة الدّم و قضاة السّيف. إلّا أن تصنيفه وصف بدمجه للقضاة الابتدائيين و هذا غير منطقي، و كما أنّه اختصر طريقة التقاضي و لم يدقّق فيها و خاصة

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

لم يتناول طريقة إصدار القضاة للأحكام و العقوبات. إذ اقتصر كل دراسته على أربعة عقوبات قبلية و هي: الإعدام، الدية، الجلاء والتعويض<sup>16</sup>.

رغم أن دراسته تحتوي على مادة ذات قيمة، إلا أنها لا تعطي الصورة الصحيحة للنظام القضائي القبلي في فلسطين، ما إذا قورن بنفس النظام في مناطق أخرى أين نجد نوع من التناقض في الطرح.

### 3\_ دراسات عشائرية في العراق:

هناك محاولة لدراسة القانون العشائري، قام بها الباحث مزهر و الذي كان في نفس الوقت شيخ قبيلة و قاض، أين بحث في النظام القضائي القبلي بالعراق، إذ تطرق إلى جميع القضايا العشائرية من قتل و قصاص و دية والأموال المتعلقة بالنساء. لكنّه لم يصنّفها حسب أهميتها و أولويتها.

لقد سمّى الباحث في دراسته هذه القضاة: أهل الفرضة، أين صنّفهم إلى فئات، وكذا أوضح دور "السادة" (أي آل البيت) في فض النزاعات القبلية و لدور الحشم "الغرة" كنمط من العقوبة و التعويض في القضايا، تقريبا جميعها بدءا بالقتل.

قام شخص لم يعرف كثيرا فقط ذكر اسمه (الطاهر 1954) بمحاولة لبحث الحياة الاجتماعية عند البدو و قوانينهم، إذ ذكر في بحثه أنّ كل المعلومات المقدّمة و المادّة

<sup>16</sup> عويدي العبادي، أحمد : المرجع نفسه ،ص33

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

المدرسة جمعها أثناء تحقيقاته الميدانية و خبرته، لكن في الحقيقة أغلبها نقلت من مقدمة إين خلدون، و بعض الدراسات التي سبقته.

لقد تناول الباحث في دراسته مفهوم "العصبية" و التي يولي لها أهمية كبيرة كجوهر لحياة البدو و نسق القرابة عندهم. كما أنه تطرق إلى مفهوم الحشم من دراسة مزهر (1941) كواحد من العقوبات الرئيسية في فض النزاعات لدى العشائر العراقية. من خلال دراسته تناول بشكل وجيز "التنظيم القبلي، توزيع القبائل في المناطق العربية و التطور الحضري و التغيير الاجتماعي و أنماط الزواج و كما اهتم بطرق توطين البدو في العراق.<sup>17</sup>

كما أنه وجدت دراسات متفرقة حول النظام العشائري في العراق تناولت مختلف المفاهيم كالقانون البدوي، الديّة، الغرامات، اليمين والبشعة، أغلبها عبارة عن نقل و تكرار لدراسات سابقة و أخرى جاءت سطحية و خالية من التحليل و المقارنة حتى أنه وجدت دراسات متناقضة المضمون لباحث واحد.

### 4\_دراسات متعلقة بالعشائرية في سوريا:

في عام 1936 كتب عبد الله رعد مقالة عن قانون العشائر في 14 صفحة، حيث تناول العشائرية باختصار شديد لكن بنوع من الحماس، فتقاربت دراسته بشكل واضح من خلال تحليله نفس قضايا تناولها سابقا بولس سلمان 1929 في الأردن.

<sup>17</sup>\_ عويدي العبادي، أحمد: المرجع السابق، ص34

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

حاول الباحث موزل سنة 1968 أن يعالج الحياة الاجتماعية لدى الرولة (قبيلة في سوريا عرفت بنظامها العشائري) بأسلوب شمولي، فقد بنا دراسته حول ملاحظاته الشخصية، إلا أنّ بحثه حول نظامهم القضائي وُصف بالناقص فقد كان من 12 صفحة، فهو لا يقدّم تصنيفاً مسبقاً للقضاة، و فئات القضايا، فقد اقتصر على: حلف اليمين، قضايا القتل، إصدار الأحكام في قضايا الدّم ...، فقد تناول الرولة في زمن الحرب و السلم و بعض قضايا المتعلقة بهم<sup>18</sup>.

و قد ظهر كتاب حديث (1981) بعنوان: الرولة اليوم، كتبه لونكاساتر، حيث تطرق فيه إلى التغير الاجتماعي المعاصر الذي شهدته الرولة، و إلى أي مدى تأثروا بالتكنولوجيا، و البيئة و الأنظمة السياسية من حولهم. و يشدّد المؤلف على أهمية السّمة كوسيلة لتحقيق المجد الاجتماعي و السياسي في القبيلة، و كما تناول دور المرأة في المجتمع و اعتبارها جزء من حياتهم الخاصة، و تناول " التهريب " كوسيلة وحيدة للدخل لدى القبيلة، كما وقع المؤلف في مصيدة فقدان فهم العمق الفلسفي الذي يقف وراء بعض السّمات الخارجية و السطحية للحياة البدوية، خاصة حين تطرّق إلى التوازن الاجتماعي، و الفوارق بين الحقيقة و المثالية<sup>19</sup>.

<sup>18</sup> عويدي العبادي، أحمد: المرجع السابق، ص 37.

<sup>19</sup> عويدي العبادي: المرجع نفسه، ص39.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

د\_دراسات عشائرية في الشرق الأوسط بشكل عام :

حاول غريف سنة 1956 إجراء مسح للقانون البدوي القبلي، و ذلك بوضع مادة أولية مستمدة من مصادر متنوعة منها الغربية و العربية. و قد بحث بعض هذه المصادر في القانون البدوي مباشرة، مثلما فعل كينيت، بينما تناول البعض الآخر من المصادر التي اعتمدها في دراسته، كما اعتمد في بحثه عن كتب الرحالة. فقد غطى البحث في كتابه مجالا يمتدّ من مصر في سيناء إلى فلسطين و سوريا، و شمال جزيرة العرب، و العراق، بل وتناول مقتطفات عن بدو اليمن و حضرموت.<sup>20</sup>

**3\_ نقد الدراسات العشائرية:** لقد أتت هذا الدراسات المكوّنة لمؤلف واحد، للبحث في النظام العشائري و القوانين التي تحكم البدو في مختلف مناطق البلدان العربية، فهنا نتحفظ على خصوصية كل منطقة، لهذا لا نناقش مضمون القوانين و لا حتى طريقة تطبيقها وإقامة الحد في القضايا العشائرية. لكن نأتي لتفسير طريقة الدراسة و كيفية صياغة البحوث المتعلقة بالعشائرية.

فنجد أنّ بعض الدراسات عبارة عن قراءة في دراسات أخرى سابقة، لنجد أنها إعادة التعريف بالقضايا العشائرية، و أكثرها سلط الضوء على قضايا كبرى كانت ذو وزن في المجتمع، و كما أنّها أحدثت فارق في حياة البدو. كما أنّنا لاحظنا أنّ تقريبا جميع الدراسات سلطت الضوء على دور النظام العشائري في إقامة الحد و العقاب و أهمّ الغرامات التي

<sup>20</sup>\_ عويدي العبادي، أحمد: المرجع السابق، ص42.



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

تطال مخالفي القوانين العرفية، و هذا ما تساءلنا فيه عن باقي الدور الاجتماعي للنظام لعشائري، من تنظيم الحياة الاجتماعية و فرض نوع من التوازن في قوى المجتمع.

إنّ الدراسات التي تناولت فلسفة الطقوس و المناسبات العشائرية، غفلت عن ربط هذه الممارسات التي تكوّنت من تراكم تاريخي و منها الأسطوري، بواقع المجتمع الحديث ومدى تقبله لهذه الطقوس، و لم تبيّن مدى تقبل المجتمعات العصرية لقوانين تعدّ تقليدية ؟

كما أنّنا وجدنا في هذه الدراسات قوانين عُرْفية خاصة بالمرأة، و كيفية التعامل مع القضايا العشائرية التي تكون المرأة طرف منها، و فرض عقوبات بالغة للمرأة المتورّطة في قضايا الشرف خاصة، وهي أهم قضية سلّط الضوء عليها. بالعكس أنّ قضايا المرأة في منطقة القبائل نادرة، إذ لا يُسمح حضورها للجلسة و حتى إن كانت طرفا منها، و لكن يحضر ولي أمرها نيابةً عنها، كما أن تاجمعات كطرف في المحكمة العشائرية لا تقوم بمعاينة النساء علنيا، بل تكفي الغرامات المالية، و لكن هذا يبقى على حسب القضية ، إذ غالبا جدا ما يتمّ استدعاءها كشاهد في بعض القضايا و لكن هذا كان في زمن الحروب، وأغلب شهادتها عن الخيانة الأمنية أو التحالف مع العدو.

و هذا ما تبيّن في بعض أحاديثنا مع بعض النسوة عن قصة يتم تداولها و التي تتمثّل في تعاون إحدى النساء مع المستعمر الفرنسي، وقد كانت تسكن في قرية منعزلة، و بعد تردّد العناصر العسكرية الفرنسية على منزلها، تبيّن لأهل القرية أنّها تقوم بإعطاء معلومات

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

عن القرية ( مقاطعة إحداهنّ على أنّ هذه المرأة قامت بذلك تحت التهديد و بعد أن قام العسكر بحرق مزرعتها و إتلاف ما فيها)، إلاّ أنّ هذا لم يكن حجة لعدم معاقبتها من طرف أعيان القرية لكن بطريقة مختلفة و هي رفع قضيتها إلى مجاهدي المنطقة، الذين استمعوا لشهادات نسوة من نفس القرية لتأكيد أفعالها فقاموا بضربها عدّة مرات و نهياها عن فعلها، لكن مع مرور الوقت تركت منزلها، و بعد الاستقلال غادرت إلى فرنسا .

رغم كل هذه الفروق الشكلية في الأنظمة العشائرية بين مختلف الدول العربية، لكن هناك توافق ملحوظ نتيجة التاريخ المشترك ووحدة الدين واللغة والقيم، ونتيجة لعلاقات القرابة والنسب التي تبني من خلالها جميع العلاقات الاجتماعية، والتي لا تستثني فيها أي بلد. ولهذا تأتي لطرح تساؤل مفاده معرفة أركان هذا النظام العشائري، و ما مميّزاته ؟ وكيف لنظام تقليدي يُسند لشخص واحد، كثيرا ما يكون مُعيّن من طرف جميع أفراد المنطقة دون نقاش، أن ينجح في تعميم منظومة قانونية قيّمة تحكم جميع جوانب الحياة لمنطقة ما.

### 4\_ مفهوم الزعامة العشائرية: إنّ أوّل ما يتبادر إلى فكرنا هو تساؤل بسيط و عميق

في نفس الوقت و ذلك كلّما ذكرنا كلمة " زعيم " أو " قائد " أو " أمين"، تساءلنا لماذا هو دون غيره ؟ و كيف وصل ؟ و هل الزّعامة منصب يُمنح أم يُنتزع؟ لذا رأينا أن هذا المفهوم الذي رافقنا طيلة هذه الدراسة و أنّ " الأمين" الذي يحظى بزعامة في منطقة القبائل، يشترك تقريبا في نفس الصفات مع القائد و الزعيم العشائري في مختلف مناطق الوطن العربي،

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

وكذا يؤدّون نفس المهام و يتقاسمون نفس الشرعية في مجتمعاتهم. فلا يمكن دراسة المجتمعات العشائرية و فهم تناسقها، وكذلك البحث في تماسك تركيبها التقليدية في وسط مجتمع يمكن أن نقول عنه حديث، و ذلك دون الخوض في فهم كيفية تركيب هرم الحكم العشائري الذي على رأسه "فرد" يعتبر مميّز لدرجة معيّنة.

### 4\_1\_ مفهوم الزعامة :

زعم : فعل ، زعم يزعم ، زعمًا و زعامَةً ، فهو زعيم ، و المفعول مزعوم به . فقد أتى في معجم المعاني الجامع \_ معجم عربي \_عربي أن معاني " الزّعامة " قد تُسقط على عدّة ميادين و قد تحمل معاني متعدّدة منها : اعتقد ، قال ، وعدّ و لكن ما يهمنّا في دراستنا : زَعَمَ على القوم بمعنى تأمّر ، و زَعَمَ به أي كَفَلَ به ، أي كفيل أي ضامن له . وزَعَمَ بمعنى ساد و رأس<sup>21</sup>.

تشير كلمة الزعامة إلى من بيدهم السلطة سواء حزب أو تشريع أو حكومة وما إلى ذلك، فلا تقتصر القدرة على الزعامة في تسيير شؤون الناس و المؤسسات، بل تتمثّل كذلك في إبراز السبيل للآخرين و إلهامهم بالرغبة في إتباعه. و قد تأسف المجتمعات التي تعاني من وضع غير مستقر بغياب قوّة الزعامة<sup>22</sup>، فالزعامة ليس مجرد منصب يتم انتزاعه، بل

<sup>21</sup> معجم المعاني الجامع ، معجم عربي\_عربي .  
<sup>22</sup> معجم الرائد.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

هي سياسة تسيير و إقناع. كما أنّها فعل قيادي مستمر، يتم بناءه عبر مراحل عديدة و التي بدورها تحتاج مساندة قوية و قرارات صلبة.

إن كلمة الزعيم كثيرا ما تُقارن بالسياسة، فأول ما يأتي في أذهاننا عند ذكرها هي معنى الرئيس، أو الحاكم العربي، لكن في دراستنا على العشائرية فكلمة الزعيم تحمل معنى آخر، و هو الشخص الذي توكل إليه مهمة القضاء في القبيلة أو العشيرة. فأما على الصعيد الاجتماعي والثقافي، فالزعيم يتفاعل مع أعضاء جماعته من الجانب العاطفي الوجداني والفكري، لذلك هو ينطلق من معتقدات الجماعة وقيمها، واستقلاليتها وتمايزها. وحسب جاك برك الزعيم أو القائد هو الذي يلخّص في شخصه ويعبر عنه في أفعاله الواقعية، الأكثر وسطية، ولكن الأكثر عمقا، والواقعية الاجتماعية التي تحيط داخل حدود بلاده. أما ماكس فيبر، فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، مانحاً طابع النعمة والموهبة للزعيم.

في القديم عند العشائر، تعتبر الثروة المادية من معايير الزعامة فيها، فقد ورد في عدّة مفاهيم أن الزعيم يقاس بثروته الحيوانية و امتلاكه للأراضي الشاسعة، ليكون هذا الشرطين كافيين غالبا لتولي الزعامة على منطقة ما. إلا أن الشروط تختلف مع مرور الوقت ففي منطقة القبائل لا يعتبر هذا الشرطين كافيين، إلا أننا لا ننكر المكانة الاجتماعية التي يحظى بها مالك الأراضي في المنطقة، فنجد أنّه ذو كلمة مسموعة في القرية القبائلية وخاصة إذا كان يشارك في النشاطات الخيرية و يُحي قيم التضامن فيها. إضافة أنه من

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

شروط تولي منصب الأمين في القرية، ألا يكون معدوما بسبب أن لا يستعمل منصبه لكسب الثروة، و حتى أنه في مرحلة الاستعمار الفرنسي، ظهر جليا هذا الشرط، كي لا يتم الضغط على الأمين و جلبه بأطماع مادية.

### 5\_ القرية في منطقة القبائل كبناء و أيديولوجيا :

في دراستنا حول النظام العشائري في منطقة القبائل فهنا بصدد دراسة "جماعة" لها مميّزات و ترابطات عائلية، وعلاقات تضامنية نسقية، لهذا فلا يمكن أن تنطبق تسمية " الدوّار" عليها، رغم أنه يعبرّ على شكل من السكن المستقر و الثابت للقبيلة العربية، و التي لازلت تستعمل في عدّ مناطق من الجزائر و حتى في تونس و المغرب، لكن عُرف عنه أنّه ذلك المجال الذي يسكنه العرب و بقوا محافظين عليه. إلا أنّ هناك تسمية محلية تقترب بشكل ما من مفهوم القرية في منطقة القبائل و هي " الدّشرة " و التي غالبا ما تستعمل للتعبير عن مناطق جبلية للقبائل.

رغم كل هذه التسميات فنحن هنا بصدد الإشارة إلى تلك التنظيمات السكانية (القبليّة) التي تربط بين سكّانها علاقات قرابية بصورة ما والتي بدورها تتشارك نفس المجال الجغرافي الضيق ونفس الممارسات خلال الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى السياسية. وكما أنّ هذه التنظيمات السكانية لها نفس المصير وغالبا و ما يجمعها تاريخ

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

واحد والذي يعتبر عامل مهم لفهم العلاقات الاجتماعية التي تندرج ضمن العلاقات القرابية، التعاون، التنافس و غاياته و كذا علاقات الصراع في المنطقة.

إنّ المجتمع التقليدي المرجعي في الجزائر صوّر على الغالب على أنّه مجتمع منظمّ حول علاقات عائلية و نسبية، مع نوع من المساواة في تشارك العلاقات الاقتصادية بين المجموعات العائلية، باعتبار إدراج ذلك ضمن تنظيم يكون على شكل قبيلة أو كونفدرالية قبلية تضع الانقسامية مبدأ اجتماعي، كما أن أشار إليها " ماسكوراي" **E.masqueray** في القرن التاسع \* عشر عندما تناول منطقة القبائل، و أكسبها روبير مونتاني صيغتها الشكلية الكاملة، فكل العلاقات الاجتماعية والممارسات تحكمها طبيعة البناء والتوجّه الإيديولوجي، فهو القالب الذي يُطبع عن طريقه شكل القرية أو التنظيم أو المجتمع.

### 1\_5\_ علاقات القرابة :

تمثل القرابة مفهوما مركزيا في الدراسات الأنثروبولوجية فهو من يسمح للباحثين برصد واقع العلاقات و الروابط بين مكوّنات الأنظمة العشائرية، لذا تعد أنثروبولوجيا الأسرة والقرابة من أهم فروع الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فهي محور اهتمام الدراسات الانثروبولوجيا، إذ أنّ معظم علماء الأنثروبولوجيا الذين حققوا إسهامات في هذا المجال تناولت العلاقات القرابية

للمزيد انظر ايضا :

\_Émile Masqueray : **Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouïa de l'Aourâs, Beni Mezâb)** (Paris: E. Leroux, 1886) (ré-édité et présenté par F. Colonna, Edisud, Aix en Provence, 1983);

\_Robert Montagne : **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe chleuh) (Paris: F. Alcan, 1930)

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

أمثال ريفرز و كوبر و رادكليف براون و ليفي ستراوس ...و لقد حاول مالينوفسكي في كتاباته أن يرد المصطلحات القرابية بما فيها المصطلحات التصنيفية، إلى نفس تركيب الأسرة أو العائلة الصغيرة التي يعتبرها نواة كل تنظيم جماعي و قبلي، وقد ذهب إلى أن القرابة نشأت أولا في الأسرة، ثم أخذت تمتد وتتسع خارج نطاق الأسرة الصغيرة المحدودة بنمو الشخص ودخوله في علاقات قرابية جديدة عن طريق المصاهرة. و مصطلحات القرابة ليست في نظره إلا علامة مميّزة للعلاقات الاجتماعية.<sup>23</sup>

أتى إهتمام علماء الأنثروبولوجيا بمسائل القرابة من أجل تحليل الحياة اليومية والكشف عن الدلالات الاجتماعية لمصطلح القرابة الذي يختلف حسب العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد في المجتمع الواحد.

أين وضح وليام ستيفن **W.stevne** أن الباحث الأنثروبولوجي الذي يعنى بدراسة النسق القرابي، و نمطية العلاقات القرابية يمكنه تفسير جوانب مهمة من تطورات الحياة الاجتماعية من خلال دراسة السلوك القرابي النمطي داخل العلاقات القرابية المختلفة، حيث تعطي العلاقات القرابية النمطية نوعا من الانتظام و القدرة على التنبؤ بالإضافة إلى أنّ الجماعات القرابية تخلق روابط اجتماعية، و نوعا من التكامل في المجتمع و خاصة في المجتمع التقليدي نظرا للدور الذي تقوم به هذه الروابط بمعناها الواسع في حياة الأفراد

محمد شريف فاتن: الأسرة و القرابة، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دارالوفاء لدنيا للطباعة و النشر، الاسكندرية،<sup>23</sup> مصر، 2002، ص25

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

والمجتمع ككل.<sup>24</sup> إذا أتينا للحديث عن القرابة في المجتمعات الحضرية فنجد أثرها ضئيلاً وأنّ السلوك القرابي محدود مقارنة بالمجتمعات التقليدية، و ذلك نظراً لشكل الأسرة ونمطها النّووي السائد في هذه المجتمعات، وتحرّر الفرد ودخوله في عدّة علاقات خارج نطاق الأسرة والجماعة القرابية وكذا انتقال عدّة وظائف كانت تقوم بها المجتمعات التقليدية\_ إلى مؤسسات وهيئات اقتصادية، اجتماعية، سياسية، قانونية وتربوية سحبت من هذه الأخيرة ميزة الترابط والتقارب الذي تخلقه بين الأفراد. فبعدما كان كبير العائلة يحلّ جميع المشاكل العائلية بالتراضي و التفاهم أتت المحكمة كمؤسسة قانونية يحتكم إليها الأفراد، ممّا قد يزيد من حدّة المشكل أو سببا لمشاكل أخرى تابعة. وكما أنه حلّت المؤسسة التربوية من جميع أنواعها من روضة ومدرسة محلّ الأم و الجدّة و الأخت المربيّة و المعنّية و الموجهة في معظم أمور التنشئة، و هذا ما سمح بفقدان معظم الأفراد لوظائفهم القرابية داخل العائلات، وانحلال العلاقات بين الأفراد، و كذلك ما أدّى إلى تقلص مفهوم القرابة في المجتمعات الحضرية. كما أننا سنرى هذا بتفصيل أكثر عندما سنتطرّق إلى القرابة في النظرية الوظيفية.

إذ من خلال ما سبق يمكن أن نقول أنّ للقرابة دور جد مهم في التماسك داخل، القرية و العشيرة الواحدة، و كلّ تركيبة سكّانية، و هذا ما عليه في منطقة القبائل إذ أنّنا وجدنا نوع من التلاحم و التماسك عند العائلات إذ مازال نوع العائلة الممتدّة لغاية اليوم وهو النّوع المفضل رغم جميع التغيرات الحاصلة على المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع

<sup>24</sup>\_ محمد شريف فاتن : المرجع نفسه ، ص 26



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

القبائلي بصفة خاصة، فالأب هنا يبقى عماد العائلة الذي له السلطة المطلقة أين يحرص على أن تبقى العائلة مهما اتسعت على أنها لا تنظم إلا الأقارب ذوي النسب الواحد والسلالة الواحدة. فهذا الترابط و التقارب يفسّر نمط تقسيم الأدوار داخل العائلة كلّ حسب موقعه داخلها و السنّ و الجنس اللذان يتحكّمان بصورة مطلقة في تقمّص الأدوار، رغم أنّنا نعلم أنّ الأدوار الاجتماعية داخل العائلة القبائلية تقسم حسب الجنس فقط، فنفسر أكثر من خلال ما أتى به بيير بورديو " فالاختلاف البيولوجي بين الجنسين، أي أنّ الأجساد الذكورية والأنثوية، بشكل خاص الاختلاف التشريحي بين الجنسين، يمكن أن يظهر و كأنّه تبرير طبيعي للاختلاف المُبني اجتماعيا بين النوعين، و بشكل خاص التقسيم الجنسي للعمل"<sup>25</sup>

لقد أتى مفهوم الذكورية، في دراسات بيير بورديو، P. Bordieu " على الرّغم من أنّ الشروط المثالية التي يوفّرها مجتمع القبائل لدوافع لاوعي المركزية الذكورية قد ألغيت في جانب كبير منها، و أنّ الهيمنة الذكورية قد خسرت شيئا ما من بدايتها المباشرة . فإنّ بعض الآليات التي تؤسّس تلك الهيمنة مازالت تواصل الاشتغال، مثل علاقة السببية الدائرية التي تقوم بين البنى الموضوعية للفضاء الاجتماعي و الاستعدادات التي تنتجها ، سواء عند الرجال أو عند النساء . إنّ الإيعازات المستمرة و اللامرئية التي يوجّهها العالم المتراتب جنسيا للنساء، تحضرنّ على الأقلّ مثلما تفعل الدعوات الصريحة للالتزام بالنظام، لقبول تعليمات و تحريمات اعتبارية لأنها متّصلة في نظام الأشياء، لتتبع شيئا

<sup>25</sup> بيير بورديو : الهيمنة الذكورية ، ترجمة سلمان القعفراني ، منتدى مكتبة الاسكندرية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيت النهضة ، بيروت ، ط1، ص9.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

فشيئاً في نظام الأجساد على أنها بديهية و طبيعية و مفروغ منها<sup>26</sup>، بحسب رأيي لا يمكن أن نسمي النمط المعيشي السائد في منطقة القبائل والذي يرفع من شأن الرجل دون المرأة بالهيمنة الذكورية، فكل ما في الأمر أن العادة هي من فرضت هذا النوع من التقسيم في الأدوار و حتى في المزايا. خاصة إذا رجعنا قليلاً إلى زمن غير زماننا فنجد أن المرأة تساهم بنسبة كبيرة في الوضعية الاجتماعية.

لقد تطوّرت النظريات الانتربولوجية في مجالي الأسرة و القرابة، وذلك لأهميتها في الوقت الحاضر لصياغة النظرية الانتربولوجية و مصطلحاتها في مجال القرابة، و من أجل فهم التركيبة العائلية في المجتمعات و دورها في تشكّل أنماطها، و لهذا رأينا أنه من اللازم القيام بقراءة تاريخية لمسار مفهوم العائلة و القرابة من خلال نظريات تناولتها:

### أ\_ النظرية التطورية في القرابة :

لقد سيطرت النظرية الدروينية على المفكرين الاجتماعيين، في أواخر القرن التاسع عشر، و التي اتّجهت إلى التأويلات التاريخية و الأساطير و الفلكلور لتفسير مشكل أصل العائلات البشرية و تناول مسار تطورها، فلم يستندوا على معلومات مؤكّدة و منطقية في إقامة هذه النظرية.

<sup>26</sup> \_بيير بورديو : المرجع السابق ، ص 91.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

لقد كشف لويس مورجان L.Morgan و إنجلز Engels عن أمثلة للإباحية والزواج الجماعي في المجتمعات البدائية، بينما اعترض بعض العلماء و من بينهم وستر مارك على ذلك حيث قدّم أمثلة عديدة على أن العائلة البدائية و القردة العليا على أنها أحادية النسب، و لديها الإخلاص في علاقاتها الزوجية وذلك من خلال دراسته بعنوان تاريخ الزواج الإنساني. كما إهتم سير هنري مان في كتاباته بالقانون الإندوجرمانى القديم، أين أكد أهمية الانتساب في خط الذكورية والتي هي القرابة الأبوية، ممّا جعله يؤمن أن المجتمع يتطوّر من المرحلة الأبوية إلى الأشكال العائلية الأخرى، و وضح أيضا أن النزعة الأبوية توجد في الأشكال الأولية للعائلة.<sup>27</sup> إلاّ أن أفكاره لم تسلم من النقد واختلافات حول النزعة الأبوية التي الأساسية لتشكل العائلة، أين ظهر تيار آخر ناد بأهمية النزعة الأمومية في تشكيل العائلات و هذا ما يمكن أن نراه غير منطقي في مجتمعاتنا الإسلامية العربية، ولا يستثنى من النظام الأبوي إلا الطوارق حيث نجد الأسر عندهم ذات نظام أمومي، أين يحسب النسب من جهتها و هي صاحبة النفوذ أين ذكر ذلك ابن بطوطة في رحلته عبر الصحراء من خلال "رحلة ابن بطوطة".

لم تعد النظرية التطورية في القرابة تحظى بكثير من الاهتمام في الكتابات الحديثة، و ذلك نظرا لما أخذها السالفة الذكر، إلاّ أن هناك محاولات لإعادة بعث النظرية ودمجها في الكتابات الحديثة وذلك بعد إدخال تعديلات عليها، و ذلك من خلال إيضاح أن نظم العائلة

<sup>27</sup> محمد ، شريف فاتن :المرجع نفسه ،ص32

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

والزواج و القرابة مرّت بأشكال مختلفة تمثل مراحل تطوّرية ولكن هذا يصدق على المجتمع البشري بأجمعه، وفي تاريخه ككل دون أن يستتبع ذلك بالضرورة مرور كل مجتمع على حدة بتلك المراحل فلكل مجتمع ظروفه التي تهيئ لظهور شكل معيّن من الزواج والعائلة والقرابة.<sup>28</sup>

### ب\_ النظرية الوظيفية في القرابة:

من بين العلماء الذين أسهموا في قيام النظرية الوظيفية في منتصف القرن التاسع عشر هربرت سبنسر، **H.Spencer** حيث يرى أن المجتمع كائن عضوي، يتكوّن من أبنية متميّزة، مترابطة في وحدة كليّة، وأجزاء متساندة، و أنّ أيّ تغيير يحدث في أي جزء منها يؤدّي إلى تغييرات في الكائن العضوي، وتعدّ العائلة أحد تلك الأجزاء أو الأبنية المكوّنة للمجتمع ككل.<sup>29</sup>

تتأسّس النظرية الوظيفية على مرجعها الوحيد الذي ينظر إلى المجتمع "كوحدة مجتمعية كلية" وظيفية عضوية، إنّ لهذا المرجع آثار إيجابية وأخرى سلبية في الدراسات الأنثروبولوجية، على الرّغم من عدم اتساق تلك الرّؤية مع مفهوم البناء الاجتماعي الذي يتعرّض لتغييرات قد تتخذ صورة تعديلات، وقد تصل إلى حد تحلل مكوّناته، إذ لا يمكننا فهم التغير الاجتماعي، لأنّ التفاعل المتبادل يكون أكثر استقراراً، فأبي تغير مهما كان طفيف

<sup>28</sup> أحمد، أبو زيد: البناء الاجتماعي (الأنساق)، الهيئة الصربية العامة للكتاب، الإسكندرية، سنة 1978، ص 289

<sup>29</sup> محمد، فاتن شريف: المرجع السابق، ص 33

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

سيؤثر بالسلب على التوازن المثالي للمجتمع. أمّا إذا أتينا لإسقاط الدور الذي يلعبه مفهوم الوظيفة في القرابة عند سكان منطقة القبائل، فهو ذلك الدور الذي يؤديه كل عنصر من عناصر الهيكل الاجتماعي، سواء العائلة أو المؤسسات الاجتماعية التي تنظمها مما يضمن تشكيل بناء اجتماعي يتميز بالاستمرارية و الثبات، فالدور هنا يعتبر كرقيب يضمن الإطار الصحيح للنسق الاجتماعي.

فالاختلال في الأدوار داخل البناء الاجتماعي سيشكل مع مرور الوقت فجوات، والتي بدورها تؤدي إلى تحلل النسق الاجتماعي أو ضعفه. ففي العائلة يسود نوع من تقسيم الأدوار بصورة تلقائية ونمط متوارث وذلك حسب الجنس، السن و درجة القرابة، وهذا ما نجده في المجتمع القبائلي الذين يقدسون الدور الذي يقوم به كل فرد من أفراد العائلة ولا يمكن التنازل عنه مهما كلفه الأمر.

### ج\_ النظرية البنائية الوظيفية في القرابة:

تقوم النظرية البنائية الوظيفية على أن كل بناء اجتماعي يتكوّن من مجموعة من الأنساق الأيكولوجية و الاقتصادية و السياسية و القرابية ... و هي ترتبط بعضها ببعض لتحقيق التكامل و التساند للبناء الاجتماعي و أي تغيير يحدث في إحدى الأنساق يؤثر على باقي الأنساق الأخرى<sup>30</sup>

<sup>30</sup> محمد، فانتن شريف: المرجع السابق، ص 35

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

يعتبر الأنثروبولوجيين الإجتماعيين رادكليف براون و ليفي ستروس من بين أهم

المنظرين في مجال البنائية الوظيفية في القرابة:

### 1\_ نظرية القرابة عند رادكليف براون Radcliffe Brown

ظهرت دراسة رادكليف براون سنة 1935 بعنوان "تسلسل النسب الأبوي و الأموي

"والتي أعيد نشرها في كتابه بعنوان " البنية والوظيفة في المجتمعات البدائية" والتي أتى من

خلالها عدّة تصنيفات منها: أنساق القرابة المزدوجة أحادية النسب والأنساق ثنائية النسب

وغيرها من التصنيفات الأخرى التي جاءت بها الدراسة. لقد اهتم رادكليف براون بالأسرة

واعتبرها الوحدة البنائية للنسق القرابي في منهجه التحليلي و المقارن، إذ يميّز ثلاث أشكال

للأسرة:

1\_ الأسرة الممتدة أبوية النسب، و التي تتكوّن من خلال استمرار الأبناء في عائلة

أبيهم و يجلبون زوجاتهم للمعيشة معهم، وكذلك أبناء هذا الزواج.

2\_ الأسرة الممتدة أمومية النسب حيث تتكوّن من الرّجل و زوجته وبناتها وأزواجهنّ

وأبنائهم.

3\_ الأسرة المركّبة التي تتكوّن عند تكرار الزواج مع وجود أبناء من زواج سابق سواء

في حالة الطلاق أو الترمّل ممّا ينتج عنه علاقات قرابية جديدة مثل أخوة غير أشقّة، زوج

الأم أو زوجة الأب، و ابن الزوج أو الزوجة من زواج سابق. كما تتكوّن الأسرة المركّبة في

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

المجتمعات التي تسمح بتعدّد الزوجات.<sup>31</sup> كما هو الحال في المجتمع القبائلي في القديم الذي يتكوّن بنسبة كبيرة من الأسر المركبة و الممتدّة (أبوية النّسب خاصة) إذ لا يسمح للإبن بالخروج من العائلة مع زوجته مهما كان السبب، وهذا لعدة أسباب منها: عدم قدرة الإبن إعادة بناء منزل مستقل فهذا يكون مكلفاً دون أن ننسى الهندسة الخاصة للبيت القبائلي، الذي يدرس تصميمه بإحكام، رغم بساطته من الخارج إلاّ أنّه كلّ متكامل من الدّاخل، فهو مقسّم لأجزاء تتوافق مع كل فرد من أفراد الأسرة، والمهمّة التي يؤدّيها، وكذا الحيوانات التي تعيش داخل ذلك البيت، والتي تأخذ الطابق السفلي للبيت، ولها مدخلها الخاص، كبير العائلة الذي تبنى له دكّة خاصة تكون في موقع يمكنه رؤية ما يجري داخل البيت و عادة ما تكون مقابل الباب الخارجي ليكون المراقب للدّاخل و الخارج، و حتى زوجة الإبن لها مركزها الخاص للقيام بواجبات البيت و أثناء إنتهائها تجلس وراء المغزل أين لا تعرض على شيخها (أمغاريس) أي أب زوجها، وهذا داخل في الأصول على أنّ الزّوجة تكون قليلة الحركة في حضور أفراد العائلة. رغم ذلك لا يمكنهما المطالبة باستقلاليتهما وهذا لسبب آخر وهو الدّور الذي تلعبه زوجة الإبن في المساعدة و تعويض أمّ الزّوج في القيام ببعض أمور البيت من غسل و تنظيف و طهي لتبقى العجوز (ثمغارث) تتحصر واجباتها خارج البيت مثل المساعدة في الحقول و جني الغلّة بجانب زوجها، و تبقى هي المعنية الأولى بزيارة أقارب العائلة في شتى المناسبات. كما أنّنا لا ننسى سن الزواج المبكر لدى

<sup>31</sup> فاتن، محمد شريف: المرجع السابق، ص32.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

العائلات القبائلية، إذ لا يمكن لزوجة تبلغ من العمر بين 12\_18 سنة أن تبقى لوحدها في البيت، بينما زوجها في الحقول أو مسافر من أجل التسوّق. بقيت العائلة القبائلية ممتدة لزمن طويل لغاية وقتنا الحاضر أين بدأت بالاندثار لعدّة أسباب.

كما أنّنا إذا أسقطنا تصنيف رادكليف براون على المجتمع القبائلي، فإنّنا نقصي النوع الثاني من العائلة و هي الممتدّة أمومية والتي لا وجود لها، إذ لا يمكن للإبنة أن تسكن مع عائلتها بعد الزواج مهما كان الأمر و ذلك في الحالات العادية، ففي المجتمع القبائلي لا يمكن لزوج الإبنة التردّد على بيت صهره في أي وقت فزياراته تكون محدودة جدّا و بمرافقة زوجته، لأنّ في البيت كذلك زوجة الإبن التي تعتبر غريبة عليه و لا يمكنه رؤيتها مكشوفة الرأس، و حتى الأماكن التي يجلس فيها تكون مخصصة للضيوف و غالبا ما تكون في مدخل البيت على سقيفة فيها مقاعد تكون بعيدة عن بهو البيت، و هذا يندرج ضمن حرمة البيت. بقي هذا الإلتزام لغاية وقتنا الحاضر أين يكون الصهر (أطقال)(زوج الإبنة) ذو مكانة خاصة لكن لا يمكنه أن يتقاسم نفس البيت مع إخوة و أخوات زوجته إلا نادرا.

### 2\_نظرية القرابة عند ليفي ستروس: Lévi\_strauss

يعتبر ليفي ستروس عميد البنائيين لاستخدامه المنهج البنائي في فهم فروضه التجريبية عن تنظيمات القرابة و الطوطمية و الأسطورة، و قد ألف ليفي ستروس كتابين،



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

الأول سنة 1949 بعنوان البنية الأولى للقراة و الآخر الأنتربولوجية البنائية بجزئية في عامي 1958 و 1973.

في كتابه الأول وضع نظرية عامة في القراة، إذ يرى أنّ الأبنية الأولى للقراة تظهر أكثر أثناء الزواج من أشخاص تقوم بينهم روابط دم، كما هو الحال في الزواج بين أبناء العمومة و الخؤولة المتقاطعة أي بين أبناء العمّة و الخال. إذ اعتبر "تبادل النساء" هو المحور المركزي للقراة، أين اختزل عادات الزواج و نظم القراة في هذا المصطلح؛ لكن قبولت استخداماته لمصطلح "تبادل النساء" باعتراض، إذ أنّ الزواج و صلات القراة تتضمنّ أمورا أكثر بكثير من تبادل النساء، رغم ذلك حظيت سمعته العلمية بالإعجاب بين أقرانه من علماء الأنتربولوجيا بخصوص أبحاثه عن القراة و الدفاع عن البنيوية، والتي كانت مميّزة رغم أنها غير مكتملة بجزء ثان حول موضوع البنيوية.<sup>32</sup> لقد كان هذا الشكل من الزواج الداخلي حاضر بقوة في منطقة القبائل، و الذي يعتبر حلاً نموذجياً للتوفيق بين مطلب العرفي و الشرعي، فزواج المرأة من أقاربها يضمن وحدة قبلية و توحد العائلات فالعشائر، والتي تستمد قوتها من الاتحاد فهنا قد ضمنت القبيلة مطلبها العرفي، أمّا المطلب الشرعي و الذي يندرج ضمن إعطاء المرأة حقّها في الميراث من جهة، والحفاظ عليه أن لا يخرج عن نطاق العائلة من جهة أخرى، خصوصا أنّنا نتحدّث هنا عن منطقة تعتبر فيها الأرض مصدر وحيد للعيش، و قوّة اقتصادية أولى لا بديل لها " أنّ المرأة في هذه الحالة

جون ستوك: البنيوية و ما بعدها (ترجمة محمد عصفور)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، سنة 1996، ص63<sup>32</sup>

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

تتحول إلى مصدر قوة، و القوة هنا تصبح مرادف للعدد ن عدد المشتغلين على الأرض والمدافعين عنها، فهي بذلك تصبح مصدر العدد والقوة".<sup>33</sup>

تتضمن دراسة ليفي ستروس للقرابة أربعة نقاط رئيسية :

أ\_تركيب المعلومات المتوافرة، و وضع لها تصنيفا منظما. و إن كان هذا الكلام مبالغا

فيه من ناحيتين:

الأولى هي أنّ ما اختزله إلى نظام له معنى هو الأبنية الأولية و ليست القوانين التي تتحكم بالزواج، والثانية هي أنّ علماء الأنثروبولوجيا الذين سبقوه قد أسهموا في ترتيب المعلومات، إلا أنّ ليفي ستروس تمكّن من دفع عمليات تنظيم المعطيات الأولية إلى أبعد من غيره ممّا سبقه في هذه الأبحاث.

ب\_طور ليفي ستروس فكرة أنّ قاعدة الزواج الإيجابية في البنية الأولية في الصميم من العديد من المؤسسات: كالعلاقات بين جماعات الأحفاد، التنظيم الرمزي للمجتمع، الإتجاهات الثقافية...،و كما أنه اعتبر أن الزواج الإيجابي، هو الذي يقوم بين الأقرباء، فكّلما كان خال الزوج هو نفسه أب الزوج كان الزواج مناسب و صحيح، و في كل حالة ما إذا تمّت الإشارة إلى الأنساب بكلمات تدلّ على الأقارب. وكذلك وضّح ليفي ستروس ما للغة ممن أهمية فكّلما تحدث الأنساب نفس اللغة كلما تقرّبوا .

<sup>33</sup> \_Germaine Tillion : Le harem et les cousins , Ed , du seuil , 1966, p 49\_50 .

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

ج\_ هنا فسّر ليفي ستروس بنى القرابة بوساطة "البنى الذهنية الأساسية" و كما أنّه ذكر في البنى الأولى للقرابة، أنّه يمكن تفسير النشاط البشري من خلال الكشف عن البنى الذهنية و الدوافع اللاشعورية، الذي لا يتحقق إلا إذا درسنا الأفعال و التصرفات و القرارات التي نصل إليها بالملاحظة البسيطة، و كذا وضّح أهمية استعماله لفكرة التبادل الذي اعتبره انتقال متفق عليه لشيء ثمين، من فرد لآخر ممّا يجعلهما شريكين.

د\_ هنا يرى ليفي ستروس أنّ نظم الزواج القائمة على قاعدة إيجابية هي نظم أولية، ويجب أن تكون دراستها هي أساس نظرية عامة حول القرابة، و من المبادئ التي تنظّم هذه النظم "تداول النساء"، والتي بدورها تغيب و تتحلّل في عوامل كثيرة قد تكون اقتصادية، اجتماعية و سياسية في البنى المعقدة.<sup>34</sup>

### 5\_2\_ علاقات التعاون في منطقة القبائل :

أ\_ مفهوم التعاون وعناصره: يعرف التعاون على أنّه أحد أصناف التفاعل الاجتماعي، و نمط من أنماط السلوك الإنساني، و عملية التعاون هي التعبير المشترك لشخصين أو أكثر في محاولة لتحقيق هدفاً مسطّراً، قد يكون مشتركاً، و فقد يكون التعاون مباشراً يتم عن طريق القيام بالمشاركة بالأعمال الجماعية، أو غير مباشر من خلال القيام بأعمال منفصلة لكن مكتملة لهدف مشترك<sup>35</sup>. فالبناء و التنظيم الأسري كان يمثل أصغر التنظيمات حجماً

<sup>34</sup> جون ستوك: المرجع السابق، ص42

<sup>35</sup> عطايف أحمد د، جردات : مؤشرات التغير الاجتماعي في قرية أردنية، دراسة أنثروبولوجية ميدانية في قرية "سمر الكفارات" رسالة مقدمة سنة 1990، جامعة اليرموك، تخصص أنثروبولوجيا، الأردن .

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

والتي تقوم على الروابط و النسق القرابي، و الذي يشكل أهم جزء من الروابط الاجتماعية فهو يرتكز على علاقة التعاون .

فالمجتمع القبائلي في الجزائر أكثر من يعرف بالتعاون في جميع أشكاله ومستوياته، فنجده في المستوى الفردي داخل العائلات، ثم المستوى الجماعي، على مستوى القرية ثم مجموع القرى ليتعدى مفهوم التعاون ليشمل أعراش. فالمرأة في المجتمع القبائلي دائما ما يكون لها إسهام كبير في بناء البيت، فمذ صغرها تسند لها مهام خاصة بها فالبنت عبارة عن همزة وصل بين البيت و خارجه هي من تقوم بتوصيل الخدمات لفلاحي القرية من مأكّل وشرب، وهي من تقوم بتوصيل المساعدات بين العائلات، فعند زيارتك للقرية القبائلية لا يمكن أن لا ترى بنت تحمل إناء مغطى في أحد أزقة القرية قصد إيصاله لأحد البيوت المجاورة، أو مساعدة عجوز ما.

إذا أتينا للتعبير عن التعاون على أنه تضامن بحد ذاته إلا أنّ هناك اختلاف طفيف في مجالات استعمال المصطلحين، فهنا نقول أنّ التعاون في المجتمع القبائلي يتم عن طريق التكتاف لتحقيق هدف معين، أو انجاز مشروع كان فكرة، فنسبة المساهمة بين الأفراد قد تكون متساوية، وكما أنّ التعاون يكون فقط بالمال و الجهد، أمّا التضامن هو مساعدة أيضا لكن توجه غالبا لمن أدنى مرتبة وقد تكون فقط معنويا أي بدون مساهمة من

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

المال و الجهد. مثلا إذ قال فلان لآخر أنه متضامن معه فنفهم مباشرة أنه في محنة أو أزمة يحتاج لمواساة معنوية، إذ قال له أتعاون معك فهذا يعني أن المساعدة ستكون مادية.

في منطقة القبائل، التعاون والتضامن أساس بناء القرى، فقد أشار إليها عدة باحثين، إذا بحثنا في كتابات ابن خلدون أنه وظف المصطلحين في مصطلح "العصبية" التي تشير إلى التضامن الاجتماعي، بمفهوم أقرب إلى الوحدة، والتماسك الاجتماعي، فهي نوع من القبلية، ليشير إلى أن العصبية كالبنية الأساسية في المجتمع الإنساني و القوة الدافعة لتاريخ الدول. فهي ليست فقط شكلا من أشكال البدائية أو بالضرورة تقوم على صلة الدم، ففي الوقت الحالي يتوازي مصطلح العصبية بالتضامن والتعاون .

**ب \_ صور التعاون عند القبائليين:** فالتعاون لا يأتي فقط على شكل مساعدات مادية، أو مساعدة في أعمال أخرى، فقد يكون التعاون في صورة " نصيحة، رأي سديد ينفع صاحبه ..، ففي الآية رقم 2 من سورة المائدة يقول الله تعالى (و تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ )<sup>36</sup> لو لم يكن التعاون مهم في حياة الفرد لما حدثنا عليه الله سبحانه و تعالى، فمن هنا فقط يمكننا أن نستخلص مدى أهمية التعاون و كما أننا نستخرج أول صورة للتعاون وهو التعاون على البرّ والتقوى، من خلال الأمر بالثبات على العقيدة، والأمر بالمعروف، فهذا يعتبر دور أساسي لتجمعات التي تسعى جاهدة في الحدّ من المنكر في القرية، وخاصة في تعاملاتها مع فئة الشباب إذ تعتبر فئة حساسة فيما يخص الجانب

<sup>36</sup> \_ سورة المائدة: الآية رقم 02.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

الديني، فهنا تتجند تاجماعت و كل أفراد القرية على أن تكون العين المراقبة لهم. لا يمكن لأي كان أن يغضب لو تمّ معاقبة ابنه من طرف أحد من أهل القرية، فغالبا لا يسأل الأب حتى عن من ضربه و كأنّه متأكّد أنّه حتما أخطأ، و خاصة إذا عُرف الولد بسلوكه السيئ، فالأب هنا يطلب أن تتعاون معه القرية على تحسين سلوكه و الحد من أخطاءه و ذلك بقوله " هذا ابنكم أيضا و هو بين يديكم " ( مقولة شائعة في منطقة القبائل ) .

### 3\_5\_ القوة في السلطة العشائرية: حاول " مونتيسكيو " في كتابه "روح القوانين " أن

يردّ على السؤال الهام و الذي مفاده: من الذي يحكم ؟ حيث رفض القيمة العامة لتصنيف النظم وفقا للعدد \_ كما عند أرسطو \_ سواء أكان الحاكم واحدا أم أغلبية أم الجميع ... إلاّ أنّه تمسّك في الوقت نفسه بفكرة أرسطو عن أن طبيعة النظام السياسي تعتمد على الذين بيدهم "القوة العليا"، و أكّد على أنّ أي نظام سياسي إنّما يرتبط بظروف اقتصادية، واجتماعية معينة، فتصنيف النظم السياسية يعطى في الوقت نفسه تصنيفا للمجتمعات، و نوع الحكم يرتبط بالتنظيم الاقتصادي والاجتماعي ولا يمكن أن ينفصل عنهما<sup>37</sup>

### 4\_5\_ التنافس والصراع:

ينظر دوركهايم إلى الصراع الطبقي في المجتمع المعاصر على أنّه نتاج لحقيقة أنّ نظام الطبقات يتقابل أو لا يتقابل مع المواهب الطبيعية، و لا يفسّر الصراع الطبقي عند

<sup>37</sup> إسماعيل علي سعد : نظرية القوة في علم الاجتماع السياسي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية مصر ، د ط ، د ت ، ص 47.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

دوركهايم إلّا استخدام القوّة الاقتصادية في فرض تعاقدات غير عادلة (أي علاقات عمل غير عادلة)<sup>38</sup>. كثيرا ما يقران الصراع في بالاقتصاد عند علماء الاجتماع، و على أن العوامل الاقتصادية هي من شكّلت نوع من الصراع الذي لازال مستمرا لزمان بعيد، و لكن في هذا النوع من الدراسات التي نحن بصدد دراستها، يهمننا أكثر الصراع في الحياة الاجتماعية الناتج عن التنافس من أجل التغيير.

إذا أتينا للحديث عن التنافس باعتباره شكل من أشكال الصراع الاجتماعي، فهنا نتحدّث عن ميزة السيطرة، المنافع، و الامتلاك كدوافع للتنافس داخل المجتمع، و هذا من خلال باحثين تناولوا مفاهيم الصراع أمثال ماركس و جورج زيمل و دارندوف، حيث اعتبر ماركس بأنّ المجتمع منقسم بين طبقتين، أحدهما تملك وسائل الإنتاج، والأخرى لا تملك بل كل ما نالته هو قوت عملها، و هذا ما خلّق في نظر ماركس الصراع الطبقي بين هاتين الطبقتين، أمّا زيمل فقد وجّه نظريته عن الصراع على أنّه يملك وظيفة جمعية في المجتمعات المعقّدة وشرح الصراعات المتقاطعة، بغرض الحفاظ على المصالح، و ضمان الحماية<sup>39</sup>.

لا يمكن أن نقول دائما أنّ الصراع نتاج حتمي للتنافس، فهناك من المنافسة من تؤدّي إلى الصراع كجانب طبيعي في الحياة الاجتماعية، وهذا ما رأيناه في المجتمعات المحلية التي يكون فيها الحكم عُرفي، و تسند السلطة لأفراد ذي ميزات خاصة تمّ الاتفاق

<sup>38</sup> إسماعيل علي سعد : المرجع السابق ، ص 52.  
<sup>39</sup> مراجعة في محاضرات علم الاجتماع العام ، 2008.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

عليها مسبقاً. ففي منطقة القبائل تُعطى السلطة لمن يستحقّها، لكن عبر مجموعة من الشروط التي ظاهرياً تبدو بسيطة لكن عند المجتمع القبائلي تعدّ من أساسيات التعيين لمناصب الحكم في المنطقة ، فيمكننا القول هنا أنّ مفهوم الصراع الشائع لا يستوفي شروطه إذا ما أسقطناه على كيفية تشكّل هيكل النظام العشائري للقبائل، لكن من خلال تعمّقنا في الحياة الاجتماعية للمنطقة نستخلص نوع من الصراع السلمي القانوني والذي يخلق روح المنافسة الايجابية، و يظهر لنا ذلك من خلال اجتهاد الأفراد على نيل مكانة محترمة في مجلس تاجماعت للقرية، و الذي يعتبر من بين أهم المراحل التي قد يمرّ بها الفرد في تلك القرية، لكون التاريخ سيذكره لمدة طويلة ناهيك عن الاحترام والوقار اللذان يحظى بهما.

حينما نتحدّث عن منطقة القبائل فكثيراً ما نستبعد مصطلح الصراع على الصعيد الاجتماعي، لكن نستخدم التنافس الذي يسود في بعض المؤسّسات داخل هذا المجتمع، الذي يساهم في تطوّره دون التغيير فيه، أي أن التنافس من أجل تقديم الأفضل، و ليس التأسيس لما قد يكون مخالف لمبادئ المجتمع، أو ما يضرب أساسياته. فنرى من بين صور التنافس في القرى القبائلية خاصة من الجانب المعنوي، هو خلق روح المنافسة لدى الصغار على احترام الكبار، أين تسهر كل عائلة على تعليم أبنائها أصول التعامل في القرية، ليكون الممثل الجيّد لاسم العائلة، فنرى الصغار في أشكال متعدّدة من التنافس فهناك من يتوجّه لتعلّم أصول الدين، و هناك من يتّجه لهوايات من شأنها الحفاظ على تراث المنطقة من غناء و رسم و حرف يدوية. كما أن المنافسة هنا ليست فقط مقتصرة على الممارسات



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

اليومية للحياة الاجتماعية، بل تأتي على شكل تمثيل القرية في عدّة محافل، و بذلك يكون الفرد قد كسب نوع من الاعتبار من طرف سكان القرية ككل و تاجماعت بشكل خاص أين يتم ذكر اسمه و شكره في مجالس القرية و في غالب الأحيان تكريمه.

**5\_5\_ علاقات السلّطة:** و التي نتناول من خلالها السلّطة على مستوى تاجماعت

والتي تتركز على مفهوم العلاقات فكيف يتم ذلك في منطقة القبائل ؟

### **أ\_ السلّطة و تطوّر المفهوم:**

لقد تناول دوركهايم **E.Durkheim** السلّطة بشكل متكرّر في جميع أعماله، فباستثناء المجتمع فإنّ السلّطة هي الموضوع السائد في الفلسفة و علم الاجتماع عنده، ويتخذ القانون في أوّل الأمر على أنّه المعيار الحقيقي للتضامن الاجتماعي، و كونه تخليّ فيما بعد عن هذا التأكيد، فهذا لا يقلل بحال من إصراره على القول بأنّ " المجتمع الحق، والأخلاقيات الحقّة، لا توجدان إلا إذا اتضحت السلّطة في سلوك الفرد و عقله". يمكن أن نفهم ذلك من خلال ربطه بين السلّطة و النظام، إذ يرى أن هذا الأخير يؤدّي إلى تحقيقها (أي تحقيق السلّطة)، فالنظام هو السلّطة العاملة والمجتمع عند دوركهايم كما حدّثنا في تقسيم العمل. وفي القواعد لا يتضح إلا في الأشكال المتنوّعة للضوابط التي يفرضها و ينظم

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

بها حياة الفرد، فالسلطة والنظام يشكلان سداة الشخصية \_ عند دوركهايم\_ و دون السلطة لا يستطيع الإنسان أن يحس الواجب أو الحرية الحقيقية<sup>40</sup>

ينظر إلى مفهوم السلطة في الأنثروبولوجيا وفي غيره من العلوم الإنسانية، كمفهوم مثير للجدل، إذ يخضع هذا الأخير لاعتبارات أيديولوجية متباينة، و تظهر خلال التعريفات المقدمة لمفهوم السلطة ، و في تحديد أشكالها و شروط امتلاكها... فالمنهج الأنثروبولوجي يتعامل مع السلطة من خلال البناء الاجتماعي العام، الذي تبرز فيه، كما أنّ الانثروبولوجيا تتعامل مع السلطة باعتبارها نتاجا لمجموعة من العلاقات بين فئات اجتماعية مختلفة<sup>41</sup>

للسلطة في منطقة القبائل بعد اجتماعي، و ذلك لأنها تتشكل من خلال النفوذ وتشكيل مجموعة من العلاقات، أي أنها تأتي بعد تراكم علاقات و تعاملات مع المجتمع والذي يمنح هذه القدرة و الميزة لفرد دون غيره. و الجدير بالذكر هنا أنّ السلطة في منطقة القبائل لا تقتصر فقط على المعنى الحقيقي " للحكم" بل تتعدى لتكون ميزة تكوّن العائلة الممتدة القبائلية، و التي تقدّس كلمة السلطة كجزء مهم يعتبرونه أساس تماسك العائلات، وهذا ما عبّر عنه ماكس فيبر " بالسلطة الأبوية " و ذلك من خلال مجموعة من العناصر أهمّها أنّ وسائل الإدارة تكون مقتصرة على مجموعة من الأشخاص، تقوم بتنفيذ وظائف معينة، أين

<sup>40</sup> \_اسماعيل علي سعد : المرجع السابق ، ص 55.  
عبد الحكيم خالد الحسيني : العشائرية و الدولة ، دراسة لظاهرة المظاهرات في مدينة إربد ، ماجستير في الآداب ، قسم الأنثروبولوجيا ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 1992، ص11.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

تظهر شخصية الزعيم في التنظيم الأبوي، وذلك بتباين درجة تحقيق هذه الزعامة و السيادة على الذين يعاملون كعبيد، كما ذهب فيبر إلى تحديد مفهوم للسلطة الأبوية " الوضع الذي تكون فيه مجموعة ما تنظم نفسها بالاعتماد على كل من الأساسين الاقتصادي و علاقات القرابة، و حيث يتم ممارسة السلطة داخل الوحدة البيئية من قبل فرد يتم تحديده بالاعتماد على قواعد الميراث و التوارث"<sup>42</sup>.

فيعتبر فيبر أن السلطة الأبوية تتطلب التزامات مشددة بالطاعة للزعيم داخل الوحدة البيئية، إذ يضرب مثال السلطة "بالشيخ العربي" الذي تكاد سلطته تقترب من السلطة الكارزمية، حيث يملك هذا الشيخ القدرة على التأثير من خلال قدرته على النصيحة والمشورة، أو من خلال امتلاكه وسائل أخرى طوعية و غير إكراهية"<sup>43</sup>.

### **6\_ أمثلة عن قضايا عشائرية بارزة في الوطن العربي : لقد نشرت عدّة مواقع و مجلات**

تقارير عن قضايا عشائرية استطاعت أن تغير نظرة المجتمع للقوانين العشائرية ، و منها من أصبحت قضية رأي عام كان للدولة أن تتدخل في تسويتها ، إنّ تركيزنا هنا أتى على منطقة دون غيرها و هذا راجع لمقابلاتنا الميدانية خلال زيارتنا العلمية للأردن ، و ناقشت مع مجموعة من الأساتذة و الباحثين حول "العشائرية" في الأردن ، و ماذا كانت تمثّل بالنسبة للفرد الأردني .

<sup>42</sup> \_ عبد الحكيم خالد الحسيناني : المرجع السابق ، ص 26.

<sup>43</sup> \_ عبد الحكيم خالد الحسيناني: المرجع نفسه، ص 27.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

1\_ لقد صدر عن - صحيفة الغد - عمان ، التي تناولت عدة قضايا منها :

1\_ القضية الأولى : خمسة عشر عاما مرّت على مقتل والده عقب خلاف بسيط مع أحد رجال القرية لم تنسه هاجس الأخذ بالثأر. في أول فرصة حقّق غايته وسط تهليل أمه وتبريكها.

تلك الجريمة انتهت في جلسة تحكيم عشائري إلى "صلحة" في نهاية العام 1999 بين عشيرتي الجاني والمجني عليه تضمنت "دية" مقدارها 50 ألف دينار. نتائج "المقايضة" لم ترض أرملة القتيل، فخبأت المبلغ لديها حتى يشتدّ عود ابنها ليأخذ بالثأر. وحين كبر سدّد رصاصته صوب الجاني فأرداه ثم ألقى بالدية فوق جثته.

القضية الثانية : أما (م.ع) الشاب في عقده الثالث، فأجبر على ترك قريته في محافظة مأدبا جنوب عمان منذ العام 2005 برفقة ما يزيد على 400 من أقاربه بين رجال، نساء وأطفال، تاركين خلفهم منازلهم، أراضيهم وأعمالهم ضمن ما يعرف عشائريا بـ"الجلوة". هذا النزوح القسري جاء بعد أن قتل ابن عمّه شابا من عشيرة أخرى في القرية ذاتها. يقول (م.ع): "كنت على وشك الزواج بعد إتمام بناء عش الزوجية وتأتيته. لكنني استنققت بعد حادثة القتل تلك لأجد نفسي وأسرّتي، المؤلفة من ثمانية أفراد خارج بيوتنا". وانتقلت العائلة إلى شقة صغيرة في إحدى ضواحي العاصمة، استهلكت أجزتها نصف مجموع دخلي الشاب ووالده بعد أن كانوا يعيشون في منزل من أربعة طوابق في قريتهم.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

هاتان الحالتان تختزلان قصصا عن الآثار المترتبة على الأعراف العشائرية التي تشكل مسارا موازيا في غالبية الأحيان للقضاء النظامي.

توصل كاتب هذا التحقيق إلى أن التسويات العشائرية ترفع معدلات جرائم القتل، بسبب عدم رضا أحد طرفي معادلة المصالحة أو استغلال الجاني للأحكام المخففة الناجمة عن صكوك الصلح العشائرية، فيكرّر اعتداءاته بعد الإفراج عنه. و في غياب نسب وإحصاءات لدى الشرطة أو سجلات المحاكم، جمع الكاتب تقديرات من 15 قاضيا عشائريا في مناطق مختلفة من البلاد. يقدر هؤلاء أن "40% من القضايا التي يبت بها عشائريا تنتهي بالثأر نتيجة عدم رضا أهالي المجني عليهم عما يخلص إليه هذا النوع من القضاء من أحكام يعدونها تخفيفا على الجاني". يعرض هذا التحقيق أيضا كيف بات هذا النمط من الأعراف مصدرا لجني المال بالنسبة لكثير من المحكمين العشائريين، فيما يحرص مسؤولون على عدم إلغائه لكي لا تتضرر مراكزهم في مجتمع يعتمد نفوذ الفرد فيه بشكل كبير على الثقل العشائري.

غالبية "القضاة" الذين تواصل معهم الكاتب رفضوا الإفصاح عن هويتهم للقارئ. ستة منهم يقيمون في محافظات الجنوب، أربعة في الشمال والخمسة الآخرون في وسط المملكة. معظم هؤلاء "القضاة" يعتقدون بكمالهم الأخلاقي وتنزه أحكامهم عن الزلل، نتيجة "خبرتهم المتراكمة في الأعراف والعادات العشائرية في فض الخصومات".

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

غالبية من تمت مقابلتهم من شيوخ عشائر يتبنون ذات المنطق. فهم يرون أعرافهم أصلح من القضاء المدني، وبعده "زادعا أكبر من أي حكم آخر" وخصوصا في جرائم القتل.

يؤكد الشيخ ( ج.د) من محافظة الكرك الذي ورث حرفته "أبا عن جد" أن "أجهزة الأمن غير قادرة على ضبط العشائر عند وقوع جريمة ما، كما يفعل العرف العشائري؛ فبمجرد تدخل الشيوخ تنتهي أي مشكلة على الفور".

أما الشيخ (م.ي) - وهو محام مدني إلى جانب عمله في إصلاح ذات البين- فيخالف وجهة النظر تلك، بالقول: "إن كثيرا من المحكمين ووجهاء عشيرة المجني عليه يجبرون في أحيان كثيرة على التنازل عن حقهم الشخصي وتخفيض العقوبة على القاتل". وهو ما اعتبره "تشجيعا على ارتكاب المزيد من الجرائم".

يضرب هذا الشيخ مثلا بدفع ذوي الجاني "الدية" لأهل المجني عليه. فهذا المبلغ يتم جمعه عادة - بحسب الشيخ- من أبناء عشيرة الجاني كاملة بعد الاتفاق فيما بين أفرادها على ذلك، على أن يجمع كامل المبلغ من الأفراد المرتبطين بالجاني حتى الجد الخامس في شجرة العائلة. ويرى أن تلك الآلية تسهل ارتكاب الجرائم نظرا لبساطة العقاب من جهة وسهولة جمع "الدية" من جهة أخرى.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

خلال إجراء هذا التحقيق أقر نحو 10 شيوخ و"محكمين" عشائريين من مناطق مختلفة في المملكة أن أربعاً من كل عشر قضايا بيت فيها عشائرياً تنتهي بالثأر من قبل أهل المجني عليه لاعتقادهم أن الأحكام لم تتصفهم، أو أن "الصلحة" تمت بناء على منافع بين القضاة أنفسهم. وتفاوتت هذه النسبة بين منطقة وأخرى بناء على حجم تأثير الشيوخ هناك على أبناء العشائر، حسبما استنتج كاتب التحقيق من حواراته مع قضاة عشائريين.

الناطق الإعلامي في مديرية الأمن العام المقدم محمد "خ" يكتفي بالتأكيد على قدرة الأمن على ضبط أي خلافات في أي منطقة تقع فيها جريمة قتل. لكنه يقر باللجوء في معظم الأحيان لشيوخ تلك المنطقة "لتجنب أي حالة عنف تحصل بعد الجريمة وخصوصاً في أيامها الأولى".

رئيس محكمة الجنايات الكبرى الدكتور نايف "س" قال إن المحكمة تعاني حالياً من ازدياد في عدد قضايا جرائم القتل بشكل لم تعهده في السابق، وإن الوارد منها للمحكمة وصل في بعض الأشهر إلى 24 جريمة وبمعدل 12 قضية في الشهر كحد أدنى. أي بمتوسط جريمة قتل كل يومين.

### **أ\_قوانين لا تجد طريقها للتطبيق :**

ألغي العمل بالتحكيم العشائري بقرارات ملكية أكثر من مرة. ففي العام 1976 صادق الملك الراحل حسين بن طلال على قانون "إلغاء القوانين والمحاكم العشائرية" رقم

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

(34) وجعل جميع أطراف المجتمع الأردني خاضعين للقضاء المدني. باستثناء قضايا الدم (القتل)، هناك العرض وتقطيع الوجه.

رغم ذلك يبقى القصر على منصب "مستشار الملك لشؤون العشائر" وهذا ما يبرره الشيخ عادل الرفايعة؛ أحد وجهاء محافظة معان بالقول: "إن وجود هذا المنصب ينبع من الحاجة لإدامة التواصل بين الملك والعشائر، لمتابعة قضاياهم ومشكلاتهم في مناطقهم ليس إلا، ولا علاقة للأمر بالتقاضي العشائري".

مستشارية العشائر من جانبها أجابت في بريد إلكتروني عن تساؤلات الكاتب حول طبيعة دورها الحالي بالقول: "تعد مستشارية العشائر رابطاً مهماً وهمزة وصل بين مختلف شرائح المجتمع الأردني، وغالبيتهم من العشائر من جهة والديوان الملكي الهاشمي ومؤسسات الدولة الأخرى من جهة أخرى". ولها "أدوار أخرى ترتبط بالخدمات التعليمية والصحية المقدمة لأبناء العشائر في المناطق النائية، كما أنها وبالتنسيق مع وزارة الداخلية والأجهزة الأمنية تقوم باحتواء الخلافات الكبيرة بين العشائر والتي قد تؤدي إلى اختلالات كبيرة بالأمن، وذلك من خلال التنسيق مع شيوخ ووجهاء العشائر وأصحاب الرأي انسجاماً مع العادات والتقاليد السائدة بين هذه العشائر لحل هذه المشاكل وانعكاسها على الأمن الاجتماعي". وتؤكد المستشارية أن ذلك "لا يتعارض مع تطبيق سيادة القانون من خلال القضاء"، لافتة إلى أن صكوك الصلح العشائرية في جميع القضايا "لا تعتمد لدى المحاكم



## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

النظامية بإنهاء القضية إلا عند حضور صاحب العلاقة شخصيا والتنازل أمام القضاء". هذا الدور، تضيف المستشارية، "لا يؤثر على سير العدالة والقضاء بل هو رديف للأجهزة الإدارية والحكام الإداريين لحل مشاكل الناس واحتوائها ولا يسعى إلى تحصيل أحكام تخفف على الجاني، بل المستهدف هم الأسر المتأثرة في هذه القضية. وهذه الحلول حسب مفهوم المجتمع العشائري الذي يصر على تطبيق هذه العادات والتقاليد".

معظم من التقاهم كاتب التحقيق من محكمين عشائريين يرفضون الامتثال لقرارات إلغاء العرف العشائري في فض المنازعات لقناعتهم بأنه "جزء من إرث الآباء والأجداد الذي لا يمكن تصور التخلي عنه".

يقول الشيخ (م.ع) من محافظة الكرك: "لا أحد يستطيع إلغاء هذا العرف العشائري الذي ورثناه عن الآباء، فهو المنظم الأصلح لتعاملات العشائر فيما بينها". ويذكر (م.ع) بأن العشائر الأردنية "أساس الدولة الذي لا يمكن المساس به أو بأعرافه". لكن المفارقة، أن جميع من التقاهم كاتب التحقيق من "القضاة" العشائريين الذين ورثوا المهنة "أبا عن جد"، ويحمل عدد منهم شهادات جامعية عليا، يعتقدون أن مهنتهم تلك "أصبحت تضم في صفوفها عددا كبيرا من الدخلاء الساعين خلف جني المال نتيجة ارتفاع تكاليف المعيشة؛ إذ يصل المبلغ الذي يتقاضاه بعض هؤلاء إلى نحو 1500 دينار عن كل قضية يشترك فيها". أما القضاة الأصليون فلا يتلقون أجرا عن جهودهم.

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

### ب\_ التحكيم العشائري :

رغم إلغاء هذا النوع من التحكيم أكثر من مرة في المملكتين الثالثة والرابعة، فإن عدم الاستجابة كان السمة الأبرز للتعاطي معها ليس فقط من قبل العشائر وشيوخها بل وأيضا من قبل عدد من المسؤولين.

النائب السابق علي "ض" يرى أن مسؤولين كبارا في الدولة يعتمدون على "القضاء" العشائري، مدلا على ذلك "اشتراك وزراء ونواب وأعيان في العطاوات العشائرية حتى وهم على رأس عملهم".

يعلق النائب السابق على هذه الظاهرة بالقول: "من غير المقبول إبقاء مثل هذه الأعراف القديمة تحكم المجتمع الأردني الساعي لإرساء قواعد الدولة المدنية"، معتبرا مشاركة بعض النواب والوزراء بالتحكيم العشائري "عاملا مساعدا على ازدياد الجريمة وانتشارها في تلك المجتمعات".

من بين 10 نواب ووزراء سابقين وحاليين التقاهم كاتب التحقيق، أكد سبعة منهم وجود مسؤولين في الدولة يشاركون عشائريهم في جلسات التحكيم العشائري ويستفيدون من مناصبهم السياسية لمحاولة إقناع أهل المجني عليه بالتنازل عن حقهم الشخصي والتقليل من مبلغ "الدية".

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

النائب السابق الدكتور محمد القضاة يقول إن مشاركته في القضايا العشائرية تأتي "لتخفيض المبلغ المطلوب من قبل أهل المجني عليه لأنهم في كثير من الأحيان يطلبون مبالغ كبيرة جدا من أهل الجاني".

أما النائب محمود الخرابشة، أحد النواب الذين يشاركون عادة في جلسات التحكيم العشائري رغم كونه محاميا مدنيا ورئيس اللجنة القانونية في مجلس النواب السابق - فيبرر مشاركته بجلسات هذا النوع من التقاضي "بمحاولة العمل على إصلاح ذات البين"، نافيا أن يكون للتحكيم العشائري أي دور في ازدياد معدلات الجريمة. يرى النائب "خ" أن القضاء المدني غير قادر على حل العديد من المشكلات العشائرية، معتبرا أن الأعراف العشائرية المتبعة للفصل بين الخصوم دائما ما تعطي "حولا أفضل وأسرع من القضاء المدني".

من جانبه يؤكد المحامي المدني محمود "ق" أن "المحاكم المدنية ما تزال تأخذ بعين الاعتبار الصلحة العشائرية عند الحكم على الجناة؛ فالقاضي المدني يصدر الحكم على القاتل بالإشارة الى نتيجة تلك الصلحة التي تتم بين أهل الجاني والمجني عليه. وبناء عليها قد يخفف الحكم عن القاتل الى ما دون نصف المدة (أي من 7 الى 12 عاما)، بينما يحكم على الجاني في مثل تلك الجرائم التي لا يتدخل فيها القضاء العشائري بالسجن 25 عاما".

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

ويرى "ق" أن "من شأن تطبيق قرارات إلغاء القضاء العشائري المحافظة على هيبة السلطة القضائية، مؤكداً قناعته بأن القضاء المدني هو "الضمانة الوحيدة لحياة مدنية خالية بقدر كبير من الجريمة يتمتع فيها أبناء المجتمع بالمساواة أمام القانون، اعتماداً على الدلائل والبراهين وبعيدا عن الأحكام التي تعجز في كثير من الأحيان عن إنصاف الأطراف المتنازعة".

بالنسبة لـ"م،ع" لا يبدو أن هناك ضوءاً في نهاية النفق المظلم الذي دخله وعائلته نتيجة جريمة قتل لم يرتكبها أي منهم، تسببت بتغيير مسار حياتهم كلياً بإجبارهم على "الجلوة" من أماكن سكنهم بين أقاربهم ومصالحهم وانتقالهم للعيش في عمان مع كل ما رتبته هذا الانتقال على كاهلهم من نفقات إضافية للسكن، التنقل والعمل. يتمنى هذا الثلاثيني أن تحدث معجزة ما تعيد قطار حياتهم إلى سكوته وتضع حداً لحالة التشتت التي باتوا يعيشونها نتيجة عرف عشائري يروونه غير منصف.<sup>44</sup>

<sup>44</sup> عدنان، محمد: أعد التحقيق بدعم من شبكة اعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية "أريج" و بإشراف الزميل سعد حنتر مساءً الثلاثاء ١٤ - يوليو - ٢٠٢٠ ١٢:٥٥

## الفصل الثاني: في مفهوم العشائرية وعناصرها عامة وفي منطقة القبائل خاصة.

### خلاصة:

من خلال هذا الفصل استطعنا أن نعطي فكرة شاملة على عدة مصطلحات مترابطة و متكاملة من شأنها بناء موضوع العشائرية " القبيلة " "القبليّة" "العشيرة" " الانظمة العشائرية" و مصطلحات تعتبر محلية وُجدت في عدّة دراسات، إذ رأينا أن الاختلاف يعبر عن التوجه النوعي لكل دراسة و كذا خصوصيتها، لكن تبقى مفاهيم العشائرية متقاربة في كل الدراسات التي أعدت في الوطن العربي، كما أننا لا ننكر تشابه في الأنظمة العشائرية و حتى في نوعية القوانين العشائرية، و منها من يكون متطابق مع القوانين العرفية لمنطقة القبائل في الجزائر.

كما أننا عرفنا أهم النظريات في علم الاجتماع التي تصلح أن تكون وعاء يحمل مصطلحات الدراسة، كالقرابة و الوظيفة الاجتماعية، الصراع، السلطة..، و كيف ربطنا بينها و بين الدور الاجتماعي لتجماعت.

### تمهيد

سنرى من خلال هذا الفصل كيف تشكّل النظام العشائري تجمعات في منطقة القبائل، من خلال المسار التاريخي لهذه المؤسسة الاجتماعية التي رافق الفرد القبائلي منذ زمن بعيد حسب جميع الدراسات التاريخية، ومما يتكون جهازها، كما أننا سنرى ما هي أدوارها الاجتماعية و السياسية و حتى الدينية. لهذا سنتطرق بالتفصيل لعينة من النظام العشائري عن طريق دراسة شاملة لقرية في منطقة تيزي وزو، " قرية أث عيسي " وكما سنبيّن عن سبب اختيارنا لهذه القرية دون غيرها. ومعرفة ما هي أسباب نجاح نظامها العرفي في ظل التغيرات الحديثة الطارئة على المجتمع الجزائري. و ما هي أسرار صمود قانون غير رسمي تم تقبله من طرف السكان ليومنا هذا.؟

## 1\_ نشأة تجمعات كتنظيم عشائري :

إذا أتينا لتحديد مفهوم الجماعة فيتوجب علينا أولاً أخذ زاوية معينة ، و ذلك حسب الأهداف المسطرة من طرف الجماعة ، و التفاعل و أشكاله داخل الجماعة، فالتصنيف الأول الذي يركّز على الهدف، أين يعتبر الهدف المشترك بين الأفراد أساس الجماعة أكثر من التفاعل الداخل بين الأفراد، إذ يتم تعريف الجماعة من هذا الجانب على أنها مجموعة من الكائنات يستخدم تواجد الكل فيها في إشباع حاجات الكل منهم. و من جهة أخرى تعتبر المجموعة الثانية أنّ التفاعل هو أساس العلاقات داخل الجماعة، فالتشابه بين الأعضاء قد يكون أساساً صالحاً، إذ كان المقصود هو تشابه الاتجاهات أو الأهداف، و بالطبع قد يوجد هذا التشابه مرتبطاً أساساً بالتفاعل المتبادل بين الأشخاص المشتركين<sup>1</sup>، فنظام الجماعة التي سنتطرق إليه لا أظنّ أنّه يقتصر على الهدف وحده أو التفاعل وحده بل بكليهما.

إنّ وجود "تجمعات" كجماعة مبنية على التفاعل من أجل تحقيق الأهداف، فلا يمكن تحقيق الأهداف المسطرة داخل الجماعة ما لم يسد التفاعل الذي أساسه الاتصال بين الأفراد و هذا ما تركّز عليه قواعد تجمعات ، فالكل له الحق بإعطاء رأيه و على البقية احترامه ، ثم مناقشته في حدود المعقول ، ثم اخذ الفكرة الصحيحة و الإجماع عليها.

تمثّل الجماعة كشكل للتنظيم السوسيو-سياسي، تأسست من أجل تنظيم الحياة الاجتماعية من الدرجة الأولى والاقتصادية و السياسية ثانياً، والتي بدورها تشمل مختلف

<sup>1</sup> قشّة، عبد الحليم عباس: الجماعات و القيادة، دار الكتب للطباعة و النشر ، جامعة الموصل، العراق ، د ط ، سنة 1981، ص 10

السلطات الإدارية، السياسية والقانونية، لقد سمي هذا التنظيم بعدة تسميات كمجلس القبيلة، ومجلس الفرقة في المجتمعات المغربية، وتسمية العزّابة في صحراء الجزائر، أمّا ما يهمنا في دراستنا أنّ نظام الجماعة أخذ تسمية "تجمعات" المشتقة منه مباشرة .

"تعود سلطة القرار في القرية إلى "الجماعة"، وهي تجمع لأهل القرية يستأثر إمغارن(الشيوخ،و رؤساء الأسر) وحدهم بحق الكلام فيه. فهي إذا ديمقراطية من حيث المبدأ، لكنّها محدودة في الواقع، فالقرار في القرية يكون دائماً بأيدي أسرتين أو ثلاث، فهي الوحيدة من تتحكم في الرأي، عن طريق تراتبية من العلاقات والمرجعيات التاريخية"<sup>2</sup>

فنظام الجماعة يمثل القاعدة الأساسية التي يخول لها النظر في جميع مشاكل القرية، كالحكم في جميع القضايا والفصل في المخالفات حسب العرف، كما تسند إليه مهام عديدة ذات وزن في القرية مثل تحديد الحقوق من الواجبات وتنظيم مجال القرية بتقسيم حقوق الرعي وتحديد مجالاته، افتتاح المواسم الزراعية، والإشارة إلى أهم المواسم الطقوسية للقروية والتكفل بإحيائها، وتنظيم ممارسة البيع والشراء داخل أسواق القرية ومراقبة الأفراد لتجنّب أي خلافات بينهم. وكان أهم دور لنظام الجماعة سابقا هو صيانة الحدود الجغرافية للقرية من أي عدوان خارجي، وكان هذا في زمن الحروب الداخلية بين القبائل(القبيلة)، وتأمين الطرق.

لقد لعبت الجماعة دورا مهما في إطار تفاعل مجتمع القرية مع القريب والبعيد من قرى مجاورة، المدن التابعة لها و كذا السلطات المركزية و الدينية ، إذ هي من تحدّد جميع

<sup>2</sup> \_غابرييل،كامب:البربر ذاكرة و هوية ،ترجمة عبد الرحيم حزل،افريقيا الشرق ،المغرب،سنة 2010،ص353



هذه العلاقات. فإذا كان نظام الجماعة يأخذ المعنى الواسع فتجمعات هي المعنى الضيق والخاص للتنظيم العشائري في منطقة القبائل.

يعرف المجتمع البربري بجميع توابعاته الجغرافية سواء في أعالي الجبال أو في المناطق الصحراوية أو شبه صحراوية بتاريخها الطويل لأنظمتها العشائرية و ميزة تنظيمه القبلي، بحكم أنها مجتمعات ثابتة ومستقرة و متماسكة، إذ أنشأت لنفسها قانونها القبلي العرفي لتسيير شؤونها، إذ أنها مهما امتد المجتمع و تزايد إلا أنه يبقى في حدود معلومة. لا يمكن تجاوز قوانينه، حيث أنه يمكن للقبيلة أن تنقسم وتتكاثر لكن دون الخروج عن الغلاف العشائري.

لقد تضافرت الدراسات الاستشراقية المهمة بالقوانين العرفية و خاصة الفرنسية منها بهدف إثبات الأصل الروماني للقوانين العرفية في منطقة القبائل، ذلك بإبعاد البصمة الإسلامية البارزة على أغلب القوانين السائدة منذ زمن بعدي و التي اعتمدها القبائليون في تنظيم حياتهم.

من كبار المستشرقين الفرنسيين المهتمين بهذا الاتجاه "روني مونيه" و الذي ألف كتاب "أعراف جزائرية" أين بين بشكل تعسفي أن الأصل في القوانين الجزائرية و البربرية بشكل خاص يعود للرومانيين و كذا بالمسيحيين جراء اعتناق المغرب الأوسط للمسيحية، إذ قال مونيه "إنهم أقرب الى الأروبيين و ذلك ظاهر في قوانينهم العرفية، وعلى

الفرنسيين أن يندمجوا معهم"<sup>3</sup> لقد اتّجه مونييه إلى تبيان العلاقة بين الرومان والقوانين العرفية البربرية وذلك من خلال طرح عدة نقاط تشابه بين النصين العرفيين، فذكر التشابه في قوانين الأسرة، والتشابه في العقوبات، وأخذ الثأر ورفضهم للدية.

## 1\_2\_ مفهوم تجمعات و الدلالة الرمزية للتسمية :

يدل مفهوم تجمعات على معنيين أحدهما ضيق والذي يعني تلك الجماعة من الأفراد الذين يحكمون القرية، والتي تدير شؤونها فيسمى أيضا في بعض المناطق بمجلس القرية. والمعنى الثاني والذي يعتبر أوسع من الأول أين تشمل تجمعات كل سكان القرية الذكور البالغين والسماح لهم بالمشاركة في اجتماعاتها التي غالبا ما يعطى لها اسم الجمعية العامة للقرية.

كما عرفت أنّها المؤسسة الوحيدة الحاكمة على مستوى القرية، و تجمع بين السلطة السياسية و السلطة الإدارية إلى جانب السلطة القضائية، كما أنها صاحبة المبادرات في كل ما يتصل بالصالح العام للقرية<sup>4</sup>.

تؤدي كلمة تجمعات محليا معنيين، مادي ومعنوي أو أدبي، فالمدلول المادي يقصد به مبنى أو دار عمومية تقع عادة في مدخل القرية و هذا يكون بالنسبة لبعض القرى الصغيرة التي لا تتسع لأخذ مجال فارغ من أجل هذا الغرض. إلا أننا وجدنا بعض القرى

كركار جمال: القانون العرفي الجزائري خلال فترة الإحتلال، قانون منطقة القبائل أنموذجا، مقارنة بين موقف القوانين الفرنسية و الشريعة الإسلامية، مقال نشر في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية و الاقتصادية، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، 2014، ص 139  
3\_ أ. هانوتو و أ. لوتورنو: منطقة القبائل و الأعراف القبائلية، ترجمة مخلوف عبد الحميد، تقديم محمد أرزقي فرّاد، دار الأمل، سنة 2013، الجزء الثاني، صفحة 09.

أين تكون تجمعات في مركز القرية و ذلك من خلال رمزية فضاء تجمعات و الذي يكون قريب من "المسجد" ذلك الفضاء المقدس و كأن الرمزية هنا تكمن في كون "تجمعات" الفضاء الدنيوي لكن غير النَّافه تستمد قداسيتها من " المسجد " و كما أنّ هذه الانتقالية في الفضائين العموميين يجبر سكان المنطقة على التعامل معهما بنفس درجة القداسة .لأنّ كليهما يفرضان الحضور في الوقت و احترام قداسة الموقع .

تجمعات مكانا للقاء الرجال سواء من أجل قضاء الوقت أو من أجل الفصل في قضية ما من القضايا التي تعترض حياتهم اليومية . وهذه الدار "العمومية" التي لا تختلف في مظهرها الخارجي عن باقي ديار القرية ( مبنية بالحجر والطين ومسقفة بالقرميد المحلي) لها مدخل دون باب، وبذلك فهي مفتوحة على الدوام لاستقبال قاصديها من الرجال والأطفال في الصيف خاصة، تقام الأفراح المخصصة للرجال والزوار المقبلين من القرى المجاورة، داخل هذه الدار، كما تكون كذلك ملاذا لعابري السبيل من تجار منتقلين قاصدين الأسواق الأسبوعية ،الذين يأتون من القرى المجاورة أو البعيدة ، وشحاذين وغيرهم حيث يقضون فيها ليلتهم.فيتسابق أهل القرية بتقديم يد المساعدة للغرباء من مأكّل و مشرب وحتى أغطية، وكذلك قيل أنها مكان يضمّ من خرج من منزله غاضبا من شباب القرية ، مما يسهل على أهله إيجاده، و كأنّه تعمّد الشاب هنا أن تتمّ رأيته من طرف إمام المسجد حين خروجه لصلاة الفجر أو من قبل أعضاء تجمعات و ذلك لاستعطافهم و التوسط بينه و بين أهله من أجل الرجوع إلى المنزل . غير أن الوظيفة الحيوية لدار «تجمعات» هي احتضان

اجتماعات القرية، ومنها انبثق المدلول الثاني، لهذه الكلمة ويعني السلطة التي تسيّر شؤون القرية، و بطبيعة الحال يفهم ممّا سبق من خلال المدلولين أن هذه المؤسسة ذكورية بحت ، فالنساء ليس لهنّ أي دور فيها إلا أنّه ورد في بعض المقابلات أن هناك حضور استثنائي للنساء و يكون ذلك للشهادة في قضية ما إذا كانت هي المعنية ،لكن أن تكون غير مكشوفة لسكّان القرية أثناء الجلسة و يكون حضورها لوقت سريع أو يكون تدخل لفك عراق جماعي و هذا يكون نادرا، إذ ورد في لسان بعض كبار القرى القبائلية أنه لو تفاقم وضع بين قريتين أو اشتد الخصام بين أفراد عائلتين، تتقدّم امرأة من إحدى العائلتين لتتوسّط الخصام و هي ترمي بغطاء رأسها(تمحرمت) في الأرض بين المتخاصمين ليسود نوع من السكون والحشمة و الاحترام لهذه المرأة التي كشفت رأسها في صفة "العناية".

تجمعات أو الجماعة: التي تعني السلطة الحاكمة في القرية ، هي السلطة الوحيدة في الواقع ،ما دام أنها تجمع في آن واحد السلطتين السياسية و الإدارية، وكذا نسبيا على الأقل صلاحيات السلطة القضائية.

تتميز قراراتها بطابع السيادة، و عند الحاجة تقوم هي نفسها بتنفيذها فهي وحدها لها صلاحية اتخاذ المبادرة فيما يتعلق بالمصالح العامة للجماعة، كما أن التفاصيل الأكثر خصوصية المتعلقة بالحياة الخاصة لا تفلت دائما من رقابتها، بالنظر إلى كونها سلطة مهيمنة، فإن من شأن ذلك أن يعرضها من دون توقف للانحرافها غير محسوبة العواقب لولا وجود قوة كابحة لها تتمثل في احترامها للعادات والتقاليد التي كرسها الزمن .

تجمعات هي الصيغة القبائلية للكلمة العربية "جماعة" كما يطلق القبائليون هذه اللفظة ليس فقط على الجمعية العامة أو مجلس القرية، بل أيضا على بناء عمومي مزود بدكة من الحجارة تجتمع فيه تجمعات في الأوقات شديدة الحر أو الماطرة، التي بدورها تتحول في الأيام الأخرى لملجأ لشباب القرية العاطل.<sup>5</sup>

تعتبر تجمعات ذلك الاجتماع العام الذي يضم جميع المواطنين البالغين سن الرشد، والذين يعلنون انتسابهم لتجمعات مباشرة بعد انخراطهم في الحياة العامة، أو المستعدين للقيام بفرض الصيام في أغلب القرى، أين يتم تقديم الولد لأول مرة على أنه بالغ ويمكنه الاستماع على الأقل ويظهر ذلك من خلال دفع الاشتراكات للقرية .

تجتمع مؤسسة تجمعات مرة واحدة في كل أسبوع، في حالات الأمن و عدم وجود أي مشكل طارئ، ويأتي عادة في اليوم التالي على اليوم الذي ينعقد فيه السوق الأسبوعي في القرية، هذه الحالة العادية لاجتماعات القرية، لكن تستدعي الضرورة أحيانا لانعقاد اجتماع آخر استثنائي في نفس الأسبوع، وذلك بعد الإعلان عنه من "الأمين" عن طريق المنادي العام "أبراح" بيوم قبل انعقاده، كي يتحضر الجميع لحضوره، أين يعتبر إلزاما، فالغائب عن الاجتماع سواء في جلسته العادية أو الاستثنائية، يتعرض لغرامة، و خاصة إذا كان دون عذر شرعي أو إذن الأمين .

<sup>5</sup>أ،هانوتو و أ . لوتورنو:منطقة القبائل و الأعراف القبائلية ، ترجمة مخلوف عبد الحميد ،ج2، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، سنة 2015،ص9

إذا أتينا للحديث عن تجمعات في وقتها الماضي فاجتماعاتها عبارة عن جلسات في الهواء الطلق في ساحة عامة مخصصة لذلك غالبا ما تكون قريبة من الجامع أو الزاوية ذلك الفضاء المقدس من خلال رمزية فضاءها و الذي يأتي غالبا في وسط القرية كأن الرمزية هنا تكمن في كون تجمعات الفضاء الدنيوي تستمد قداسيتها من " الجامع " و كما أن هذه الانتقالية في الفضائين العموميين يجبر سكان المنطقة على التعامل معهما بنفس درجة القداسة. لأن كليهما يفرضان الحضور في الوقت و احترام قداسة الموقع.

في المعنى الجغرافي و السوسيو\_انثربولوجي للمجال وتنظيماته فهو مجال ذكوري بصفة مطلقة. لكن في الحالة الخاصة يمكن تحويل موقع الاجتماع لظروف طبيعية كالحرارة الشديدة أو الأمطار، لذلك ينقلون المجلس إلى داخل الجامع، خلال الاجتماع يجلس الجميع على الأرض، ويتناولون الكلمة من أماكنهم دون النهوض، و في بداية الاجتماع ينادي كل طمّان بأسماء أفراد خروبه و يسجل الغائبين ويحيط الأمين بذلك، أين يستلم هذا الأخير الرئاسة بقراءة الفاتحة عند الشروع، ثم يعلن افتتاح الجلسة، في التالي يذكر سبب الاجتماع، ثم يفتح المجال للحاضرين إلى إبداء آرائهم حول الموضوع .



الصورة رقم 1: اجتماع قرية

عادة ما يسمح لبعض الأشخاص في الاجتماع أن يتناولوا الكلمة دون طلبها من الرئيس مثل الرجال المحترمين والمؤثرين، أرباب العائلات الكبرى، الطمّان، أو المسنين، لكن لن يجرؤ على ذلك شاب دون خبرة.

هنا يأتي دور الأمين في الضبط من خلال إعطاء ملاحظات شفوية التي قد تصل إلى درجة المطالبة بالنقيد بالانضباط، كما يمكن أن يسحب الكلمة من الأشخاص التي تتماهى في آرائها أو تمس عواطف الحاضرين أو إثارة الشغب، وغالبا ما تصل إلى تسليط غرامة عليه، وهذا عقب المناقشات الحادة والمواضيع المعقدة التي تتطلب جلسات طويلة. هناك من الاجتماعات ما يؤجل أو يلغى نهائيا، إذا كاد الموضوع أن يتطور إلى نزاعات سواء بين الحاضرين فيما بينهم أو المسيرين الحاضرين. في نهاية الاجتماع، وبعد

دراسة مواضيع جدول الأعمال تقرأ سورة الفاتحة ثانية، ثم يعلن الرئيس عن رفع الجلسة والسماح للحاضرين بالمغادرة.

تقصي بعض حالات المرض أو موانع أخرى بعض الأشخاص من الحضور للاجتماعات الأسبوعية، و هذا بعد التأكد منه، وغير ذلك فكل من يغيب يتعرض لغرامة مالية تختلف من حالة لأخرى:

"من يمتنع الحضور يتعرض لغرامة مالية تكون ضعيفة أثناء السلم لكنها ترتفع ارتفاعا معتبرا زمن الحرب...و كذلك نفس الغرامة تطال من يغادر الاجتماع قبل نهايته...يتعين دائما على السكان أن يتحلّقوا حول الأمين والطمأن وأن يلتزموا الآداب، و إلاّ وقعوا تحت طائلة الغرامات...ويعاقب الأفراد الذين يذكرون أقوالا غير لائقة، أو يسب، أو يدخن أو يستحوذ على مكان الأمين أو الطمأن"<sup>6</sup>.

" يضمّ مجلس القرية نخبة من رجالها و قادتها و خيرة أبنائها ،من كبار السنّ، وأصحاب الحكمة، و رؤساء العائلات ...و هم ممّن اشتهروا بصفات حميدة، أو مستقيمة وكذا من ذوي الرأي والخبرة والجاه والمال، و ممن لهم الكفاءة على توجيه الرأي العام وإدارة المناقشات المفتوحة، ويضمنون تنفيذ القرارات والمشاريع المعتمدة بفضل نفوذهم السياسي والمعنوي لدى المواطنين"<sup>7</sup>

<sup>6</sup> أ،هانوتو و أ،لوتورنو:منطقة القبائل و الأعراف القبائلية،الجزء الثالث، دار الأمل،سنة 2013،ص174  
<sup>7</sup>عبد الله،نوح: المؤسسات العرفية بمنطقتي القبائل و واد ميزاب و مساهمتها في المرافق العامة،مقاربة أنثربولوجية قانونية،أطروحة دكتوراه،جامعة الجزائر،سنة 2009،ص11



فمجلس القرية يعرف بتركيبة الأمين والطمّان هما شخصيتي القرية على أمد بعيد، لم يتغيّر اسمهما ولا دورهما الأساسي فلغاية توضيحية رأينا أنّه من اللزوم العودة بالمصطلحين إلى ما سبق فقد كان من أنصفهما في كتاباتهم و من استحققرهما وأنقص من دورهما. أين جمع أحمد ساحي في كتابه "الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512\_1767م"، مجموعة من الأفكار التي تناولت تسمية "الأمين والطمّان" في القديم."هم عمداء أو نقباء العائلات والعلماء، و للمصطلح أهميته ومدلوله النفساني....وضمن منظور إعادة كتابة التاريخ بمصطلحات غير مستوردة، لأنّ لعبة التحقير التي مورست ضدنا استهدفت مصطلحات وألقاب جاهزة، فكلمًا تعلق الأمر بعظيم منّا، قدّم على أنه ظاهرة شيخية، حتى قيل عن الدولة المركزية مجرد "ميليشيا"...و قال الورداني إن بجاية لم تكن مملكة بل هي مجرد "مشيخة"...، اعتبر آخرون ابن القاضي و ابن العباس، عبارة عن ظاهرة شيخية لزواية دينية من ميراث أسري كما تقدم نظام كهذا رغم كل تحريف هو الذي تصدى للحكم المركزي. لم يتوغل داخل الجماعة و لم يتعامل مع الأفراد مباشرة، من منطق السلطة ووفق العلاقة بين الرعية و الحكم<sup>8</sup>، كما اعتبرت الجماعة على أنه "تعامل مرهون بالوساطة حلقتها الأمتنّ رجل الدين و العلم، و كل الدلائل تؤكد أن المجالس العلمية هي حلقة في سلسلة الارتباط، من العهد الموحد حتى آخر عهد الإمارة، و أنها السلطة الدائمة والفاعلة وخير من يزكي هذا الطرح، هو العلامة عبد الرحمان الثعالبي المتوفي عام 875هـ

<sup>8</sup> \_ ساحي، أحمد: مرجع سابق، 2015، ص162

1470م. و في رسالة الاستنفار وتجنيده للزواوة ،خاطب الشيخ ابن الكفيف ....الحفصي في بجاية<sup>9</sup>.

فكلما اختلفت العلاقة دلت على وهن السلطة لهذه الهيآت، و كلما تقوقع الإمام في زاويته و انحدر من عالمه و ضعف تأثيره ،بفعل التراجع الفكري و العلمي و السياسي ،نمت قشور على حساب اللب في مجالات المعرفة و العقائد و الممارسات، السنن و التنظيمات و العادات ..لم تصل إرادة السلطان مباشرة نحو الرعية ،بل بواسطة معرفتها إحدى و ثائق العهد بأمراء العرش، و حتى حق العبور أو استغلال الموارد، و قضية الثأر، كانت كلها متاحة فقط بالأمان المحتكر من طرف الجماعة أو الشخصية الدينية حتى أواخر القرن 18م<sup>10</sup>.

اختلفت نظرة الباحثين حول مفهومي الأمين و الطمان في الماضي عبر حقب مختلفة، لكن في الحاضر اتضح دورهما في القرية و في المجتمع ككل، فنأتي لصياغة بعض المفاهيم التي تمّ الاتفاق عليها و التي وُجدت في دراسات عديدة و كما أنّها يتهيأ لنا أنّها الأقرب إلى الواقع المدروس و كذا ما تمّ استنتاجه من الدراسة الميدانية.

### أ\_الأمين "الأمين ن تادارث :

<sup>9</sup> سعد الله ،أبو القاسم :أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الاسلامي، الجزء الرابع، سنة 1996، ص 24.

<sup>10</sup> ساهي ،أحمد:المرجع السابق ،ص163

للمزيد أنظر :الحسن بن محمد الوزان (شبون الإفريقي)وصف افريقيا تقديم بير بروجر 1957ص357 الكتاب 6 ص60 و الجزء الخامس ص271

أنظر أيضا :1556 de 12 in folio anvers ,Biographie universelle

هو المدير و المسير الأول لتجمعات، أطلق عليه هذا الإسم منذ وصول الأتراك العثمانيين الى منطقة القبائل، و هو يحرص على حفظ الأمن و النظام في القرية<sup>11</sup> فهو من يأخذ على محمل الجد كل أمور القرية مهما كانت بسيطة، اختلف تسمياته حسب مناطق عدة فقد أورد الباحث هانوتو في دراسته لأعراف منطقة القبائل عدّة تسميات أطلقت على "الأمين" فقد وردت تسمية أمقران (الكبير) و أمغار (الشيخ) فغالبا ما يسمى القبائليون الأمين باسم راعي القرية (أمكسا)... فالأمين يجب أن يكون من أهل القرية و مقيما فيها... كل قبائلي يمكن أن يكون أمينا في قريته، لكن هنا العادة تغلب المبدأ فرغم تساوي الفرص بين أفراد القرية بالظفر بهذه المهمة إلا أنها تحددها عدّة شروط لا ينص عليها أي نص رغم ذلك لا يقل شيئا من ضرورة الإلتزام بها "فالأمين يختار دائما من بين إحدى العائلات المؤثرة في البلدة، و يجب أن يحظى بدعم صف قوي بما يكفي لفرض احترام سلطته، و بأن يكون ثريا بما فيه الكفاية لكي يكون بمنأى عن أي إغراءات"<sup>12</sup> كي لا ينقلب على القوانين العرفية مهما استخدموا المال لإغرائه.

يتم اختيار الأمين عن طريق التعيين من قبل كبار القرية وعقلائها، بعيدا عن أي انتخاب رغم الديمقراطية التي تتميز بها قرى القبائل، وحتى أنه لا يعلم بتعيينه في أغلب الأوقات حتى ينتهي الإجتماع السري ثم يقومون بزيارته في بيته لإبلاغه بمهمته على أنه أصبح أمينا للقرية، إذ يستحيل له الرفض لكن له حرية التنازل على المنصب مع مرور

<sup>11</sup> فرّاد، محمد أرزقي: المجتمع الزواوي، في ظل العرف و الثقافة الإسلامية (1949\_1747) رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، سنة 2011، ص 100

<sup>12</sup> هانوتو، أ و لوتورنو: المرجع السابق الجزء الثاني، ص 27

الوقت إذا كان تبريره معقولا من مرض أو سفر ضروري لمدة طويلة، و غالبا ما يكون منصب الأمين شاغرا في حالة وفاته .

أول ما يقوم به الأمين هو اختياره للظمان الذي سيقوم بمساعدته في مهمته ،عند أهل القرية يعتبر هذا أول امتحان للأمين لكيفية اختياره لمساعدته و ذلك بعد استشارة الخروبة التي ينتمي إليها، فهنا يبرز الأمين منطقيتها في تسيير أمور القرية و فرصة للبرهان على مدى حكمته ،فاختياره يكون بمراعاة حساسيات بين العائلات، وتجنب مس عواطفهم و عدم تسببه بفتنة جزاء اختياره فيجب الاتفاق على شخص قادر يتمتع بسلطة على القرية و الذي يفرض احترامه.

إذا أتينا للتحليل الخلدوني لظاهرة السلطة ،فقد قام ابن خلدون بالتفريق بين ثلاث أنواع من السلطان أو الملك:"فهناك ملك طبيعي و هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهرة، والملك السياسي و هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية و دفع المضار ،ثم الخلافة الدينية ،و هي حمل الكافة على مقتضى النظر البشري في مصالحهم الأخروية و الدينية الراجعة إليها"<sup>13</sup> فهنا نستبعد النوع الاول من الملك عند القبائل فلا تسند إليهم مهام الأمين لغرض الشهرة أو المصالح الشخصية ،فهذا مرفوض تماما في القرى بل تكون مهمته مزدوجة بين القضايا الدينية و الدنيوية للمصالح العام في القرية .

<sup>13</sup> ابن خلدون، عبد الرحمان: المقدمة ،دار الجبل،لبنان، ص 226 و 227

للأمين عدّة صلاحيات في القرية بعد تعيينه، فهو من يسيّر تاجماعت و يرأس جميع اجتماعاتها، أمّا خارج مؤسسة تاجماعت فالأمين مهام أخرى، فهو من يضمن تطبيق قرارات المجلس، وتحضير الجلسة القادمة من خلال جمع شكاوي و انشغالات أهل القرية، و كما أنّ الأمين هو من يشرف على جميع القضايا المالية في القرية من ضرائب واشتراكات وغرامات و حتى المال المقدّم من طرف القرية من أجل الاعمال التطوعية، فهو من يحفظها في بيته لغاية تقسيمها و استثمارها فيما يتم الإتفاق عليه في تاجماعت. " و من صلاحياته كذلك تحصيل الهبات و العطايا المقدمة لفائدة القرية و التركات الموكلة لتاجماعت، و يتم تحصيل المبالغ المستحقة بسعي منه، و كما يقوم بتحصيل المداخل، فإنّ من صلاحياته كذلك دفع التكاليف، و دائنو الصندوق يرجعون اليه... فالصندوق موضوع تحت تصرّفه و الذي يخص المصاريف العامة التي كرّسها العرف مثل معونات الحجاج، صدقات للمعوزين و الغرياء والمتسوّلين، و الإعانات للمسافرين<sup>14</sup>

كما يحرص الأمين على توفير حسن الاستقبال و المعاملة لضيوف القرية في مناسبات مختلفة، و تقدير زائري القرية من أعيان قرية أخرى، ففي غالب الأحيان يستقبلهم الأمين في بيته الخاص ليقوم بواجب الضيافة لإعطاء صورة من الكرم للقرية بين القرى الأخرى و حفظ هبتها .

<sup>14</sup> أ، هانوتو و لوتورنو : المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 29

يشرف الأمين على جميع نشاطات القرية و أبرزها "تمشيط" أين يقوم شخصيا بشراء حيوانات النحر و يحدّد من يتولى الذبح و التقطيع ثم تقسيم اللحم على مرأى منه لضمان تساوي القسمة ،كما أن الأمين في القديم كان هو من يوصل اللحم للبيوت في القرية و هذا في زمن القرية الصغيرة ،لكن في الحاضر يشرف فقط على تقسيمه و مراقبة قائمة سكان القرية و عدد أفراد العائلات. و كما أنّه يقوم بافتتاح مواسم الحرث، الحصد، القطف و موسم الزيتون و تحديد موسم الصيد.

يقوم الأمين بإعطاء الأوامر الضرورية في حالات الجنازة من أجل تقديم مساعدة لأهل المرحوم، و تعيين مكان الدفن و من يتولى الحفر. و كما أنّه يتم الاعتماد عليه في بعض حالات الخطوبة ليقوم أهل الولد باصطحاب الأمين من أجل طلب يد الفتاة كي لا تعطى فرصة الرفض للفتاة خجلا من مقام الأمين، على أن الأمين هو من يضمن أهل الولد و كأنّه هنا يتحمل مسؤولية كلامهم ويكون مرجع وحيد ما إذا فسد الزواج. بالإضافة الى هذه الصلاحيات "تتضاف وظيفة الشرطة القضائية و البلدية. و تمتد سلطته الى كل ما يتعلق بالنظام و الأخلاق و تنفيذ القوانين و أمن الأشخاص و الممتلكات" <sup>15</sup>.

**ب\_الطمّان**: هو من أعوان الأمين يتقاسم معه كل تفاصيل مهامه ،فكلّ طمّان مسؤول عن خروبه بإيصال كل اشغالاتها إلى مجلس القرية و يحيطون الأمين بكل صغيرة و كبيرة. "اشتقت كلمة طامن من ضمن ، طالما أنّه الضامن لتنفيذ القرارات العامة في خروبه" <sup>16</sup>

<sup>15</sup> هانوتو ،أ و لوتورنو: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص30

<sup>16</sup> نوح ،عبد الله ،المرجع السابق ،ص 111

وظيفة الطامن مماثلة لوظيفة الأمين، فهو لا يتلقى أجر مقابل خدماته، لكن تقدّم له بعض الإمتيازات، "الطامن يكونون هم أعيان الأمين في جميع الأمور يجبون منافع الخطايا و غير ذلك، فيقهرهم و يشرط عليهم أن لا يسعوا في مصالح أنفسهم، و إنّما يسعوا في مصالح العامة، و لا يأخذوا لأنفسهم درهما واحدا، و يحلفوهم بالكتاب على أنّهم لا يغضون أحدا ولا يعطوا الحق من أنفسهم"<sup>17</sup>، في مدة تعيين الطامن يكرّس وقته لخدمة القرية و تأدية مهامه كناطق عن أفراد خروبتة و الذي يكون الرّابط بينهم و بين أمين القرية، إذ يمتاز عن بقية سكان القرية بأنّ شهادته ذات قيمة، و كلمته تؤخذ بعين الاعتبار أمام مجلس تجمعات فشأنه من شأن الأمين، إذ يحض باحترام الجميع أينما حلّ .

يدافع الطامن عن أعضاء خروبتة بنوع من الحكمة، فهو من يحرص على حماية مصالحهم، "يحترم الطامن حقوقهم فيما يتعلّق بالمسائل المتصلة بالضرائب والعمل الإجباري والخدمات العينية والتناوب على الحراسة أو الاستضافة، كما يدافعون عن قضاياهم في مجالس الأعيان و كذا تجمعات عندما يرون بأنّ الاتهامات الموجهة لهم غير لائقة"<sup>18</sup> فالطامن هنا يتحلّى بنوع من المرونة في تسيير الاجتماع فلا يتعصّب لخروبتة ولا يهاجمهم فهو يتجه إلى التراضي إذا سمحت الفرصة، بدون المساس بحقوق غيرهم، فغالبا ما يقوم الطامن بدفع غرامات مالية عن أفراد خروبتة الذين يرفضون و يصرون على التهرب عن

<sup>17</sup> مؤلف مجهول: كيفية سيرة الزواوة، مخطوط تحت رقم 3012، المكتبة الوطنية للتحريير، ص6

<sup>18</sup> هانوتو، أ و لوتورنو، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص34

الدفع، فهنا الطّامن يتحمّل مشقة الضريبة كنوع من تجنّب تصادم الأفراد، بما أنّه هو من يسيّر في خروبوته.

لقد أشار هانوتو في دراسته حول "منطقة القبائل و الأعراف القبائلية"، إلى نوع من الطّامن في ذلك الوقت (الثورة الجزائرية) أين وصفهم بالخاصّون و رؤساء مراكز، يتولّون مراقبة رجال الحراسة يملكون حق معاقبتهم سواء في حالة إهمالهم للخدمة، أو في حالة الشجار والعراك فيما بينهم" كما أنّه إذا وصل الأمر إلى وقوع جناية يقوم الطّامن الخاص بطرح القضية على الأمين الذي يتوجّه مباشرة إلى المكان رفقة الطّامن و عقال القرية، ليقوموا ببحث مجريات القضية وذلك استنادا على كل الأدلة المادية خاصة، والاستماع إلى تصريحات و شهادات الأشخاص الذين كانوا بالقرب من مكان الحادثة. يقوم الأمين أوّلا بحجز أسلحة المتهمين، ليتمّ لاحقا استدعائهم للاستجواب كل على حدا، ثم إجراء مواجهة بينهما وفي الأخير الطلب منهما القسم. كما أنّ بعض القضايا تستدعي تفتيش منازل المتهمين، لكن ذلك لا يكون قرار الأمين لوحده بل أمر صادر من تجمعات، إذ يعتبر هروب أحد المتهمين أو اعترافه كنهاية للتحقيق، فهذا دليل على ثبوت التهمة، ليتم إصدار العقوبات اللازمة في حق المتهمين ومضاعفتها إن تصدّى أو رفض الحكم.

في زمن بعد الثورة التحريرية ألغي مهام الطّامن الخاص بالحرب، إذ لا وجود له نهائيا الآن. لقد ذكرنا للمبوحثين "طّامن الحرب" ليؤكّدوا وجودهم في ذلك الوقت فبعض ممّن عايشوا تلك المرحلة ذكروا أسماء أشخاص كانوا قد أدّوا هذا المهام ، و تابعوا كلامهم "... أنّها ليس



بالمسؤولية السهلة فقد يكون صاحبها عرضة للقتل، أو التهديد في النفس و الأملأك"...  
"كما يتم إغواء طمّان الخاص بالحرب بالأموال من طرف جهات معيّنة"... و لهذا غالبا  
ما يتم إظهار من هو طمّان الحرب في بعض المناطق، ليقوم بمهام مراقبة القرية بسرية  
تامة و يتعامل مباشرة مع الأمين".

لكن يبقى دور الطّامن ضعيف فيما يخص إصدار القرارات في قضايا خروبه التي  
ينقلها مباشرة إلى الأمين الذي يصدر قراراته وفق ما ينص عليه القانون القبلي للقرية.  
قد يقوم الأمين بتعيين مؤقت لطمّان آخر في حالة غياب الطّامن الأوّل لعدة أسباب  
منها المرض،العجز...،و كما قد يعيّن طامن آخر باستشارة أفراد الخروبة و إشعار  
تأجماعه به، في حالة إهمال المنصب،أو سوء التسيير.

**ج\_وكيل الجامع أو :** "لوكيل" تتضمن كل قرية على جامع واحد أو أكثر، و هو عبارة  
عن مبنى أكبر قليلا من منازل الخواص و أقل منه صيانة،لكنّه يحمل نفس المعمار ذي  
الطابع البدائي،فبعضها فقط من يكون مزوّد بمآذن ترتفع قليلا تجلب النظر من خلال طليها  
بالجير لتبدو واضحة من بعيد و تعدّ هذه الجوامع ذات المآذن مفخرة لأهل القرية<sup>19</sup> فاللجامع  
عدة أدوار لكن أهمها أداء الصلاة الجماعية فيه،ثم يعتبر كمكان للإقامة بالنسبة للمسافرين  
العابرين، و مكان يقصده الكبار خاصة من أجل قضاء معظم وقتهم. لكن اعتبرت هذه

<sup>19</sup> هانوتو و لوتورنو: المرجع السابق،ص36

الأدوار فعّالة في القديم فقط، إذ أصبح الجامع له دور وحيد ووحيد وهو الصلاة الجماعية لأهل القرية.

فكلمة لوكيل تعني من يوكل له مهام ما و هنا لوكيل هو من يتصرّف في الأوقاف التي تعود للجامع، فهو من يقوم بدور المحاسب و هو من يجمع كل ما هو ملك مادي يعود للفائدة العامة ،من أموال التبرعات وأموال الغرامات لسكان القرية،و كذلك الأملاك التي تخلو من الورثة إذ تصبح وقفا للقرية. وجدنا في قرية أث عيسي عدّة منازل أصبحت ملكا للقرية إذ تتصرّف فيها تجمعات كما تريد، فهي منازل سواء تخلى عنها أصحابها الذين انتقلوا خارج القرية أو خارج الوطن، أو المنازل التي توفي أصحابها و لا يوجد من يرثها، وكما توجد بيوت قديمة تم ترميمها وتقديمها من قبل أصحابها للاستغلال العام.وكما أن الوكيل هو المسؤول الوحيد عن صندوق الزكاة الموجود في المسجد و الذي يتم تقسيم عائداته بانتظام.رغم أن الوكيل هو المسؤول عن كل الممتلكات المادية من الأموال والوسائل في القرية إلاّ أنّه يحيط بعلم الأمين عن كل تصرف فيها فيقدّم أثناء الاجتماعات تقرير حول ما بحوزة الجامع ثم يتم تقسيمها حسب نفقات عدة أو تغطية مصاريف مشاريع القرية،و كما يستشير الأمين و جميع أعضاء تجمعات في حالة تقديم مساعدات للقرى المجاورة من وسائل عدّة.

كل ما يقوم به وكيل الجامع من مهام يعتبر تشريفا له إذ لا تعتبر وظيفة يتم تقاضي أجر عليها و لكن أهل القرية لا يبخلون عليه بهبات تقدّم له شخصيا و لعائلته.

د إمام المسجد: يتم تعيينه من قبل تجمعات، و يفترض أن يكون من مرابطين المنطقة وإن لم يوجد في القرية مرابطين فيتم استدعاءه من خارج القرية بعد توفير له مسكن. مهام إمام المسجد هو النداء للصلاة أي مؤذن كوظيفة أساسية، إضافة إلى إشرافه على المناسبات الدينية من أعراس، ختان و جناز، "يؤدي دور كاتب الجماعة (سكرتير) و يؤدي وظيفة المعلم عند الحاجة<sup>20</sup>، كما يشرف على تحفيظ القرآن في المدرسة القرآنية إذا كانت تابعة للمسجد، إذ يقدم دروس لأطفال القرية. يقوم إمام المسجد بكل هذه الوظائف دون مقابل و لا رباط رسمي بينه و بين القرية فهو لا يتقاضى أي أجر لكن يتم تخصيص مبلغ مالي له من قبل تجمعات في كل المناسبات.

يحضا الإمام باحترام جميع أفراد القرية و يقومون بدعمه ماديا خاصة إذا كان من خارج القرية فيتسابق الجميع إلى تقديم له نصيب من المحاصيل الموسمية باعتباره لا يملك أرض لفلاحتها، فيوفرون له حتى حطب التدفئة و ماء الشرب. باعتبار إمام المسجد من المرابطين فله هبة خاصة في القرية فينظر إليه على أنه من المقربين إلى الله، فيقوم أهل القرية بكسب رضاه. و حول هذا يقول صاحب سيرة الزواوة "أما الإمام الذي يصلي بالناس في الدشرة يجمعون له أهل الدشرة كله الزيت... على كل دار مقدار معين... كما يجمعوا له التين، يزيديا له الزرع و يعطوا الأجر لبعض النساء الأرامل ليعدوا له الماء، و يلزموا كل رجل أن يأتيه بخشبة من حصب، هذا كل يدفعون على يد الأمين ..."<sup>21</sup>

<sup>20</sup> لحسن بن شيخ آث ملويا: القانون العرفي الأمازيغي، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2006، ص 63

<sup>21</sup> مؤلف مجهول: كيفية سيرة الزواوة، مخطوط تحت رقم 3012، المكتبة الوطنية للتحرير، ص 6

يعتبر إمام المسجد ككل أفراد القرية يحق له أن يشاركهم كل اجتماعاتهم، يتم أخذ رأيه لكن دون أن يفرضه على الجماعة، إلا أنهم يستشيرونه في القضايا ذات صلة بالنصوص القرآنية فهو أكثر دراية بذلك من غيره في القرية، وكما يحترمون كلمته و يُسمع لجميع تدخلاته احتراماً له، كما أنه لا يفرض الصلاة على أحد و لا يأمر بها، فهي تعتبر في القرى القبائلية حرية شخصية لا إكراه فيها.

## 2\_الأعراف و قيم التضامن في منطقة القبائل :

2\_1\_ مفهوم الأعراف : "العرف أنماط من السلوك الجماعي الذي ينتقل من جيل إلى جيل آخر، وتستمر فترة طويلة حتى تثبت و تصل الى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة و في بعض الأحيان نجد أن العرف يقوم مقام القانون في المجتمع"<sup>22</sup> كذلك أشار إليه محمود إبراهيم الوالي على أنه "عبارة عن قواعد و عادات متبعة على مدار الزمن و اعتقد الناس في إلزامها كقاعدة ثانوية ، و يطلق عليه أحيانا القانون غير المكتوب"<sup>23</sup> إذا أتينا لشرح مفهوم الأعراف في دراستنا الحالية التي مفردها "عرف" فهي تحمل عدة دلالات لغوية و فقهية و قانونية، فهنا نقصر على اعتبار العرف: "مجموعة من القوانين الوضعية التي تسهر على سنّها القبيلة في سبيل تنظيم شؤونها الداخلية و الخارجية، فهو نص قانوني ينظم العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية و القضائية، و يحدد الجرائم العقوبات و يهدف إلى حل النزاعات القائمة أو المحتمل قيامها، سواء تعلق الأمر بالجانب

<sup>22</sup> بدوي أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1978، ص94  
<sup>23</sup> الوالي محمد إبراهيم: أصول القانون الوصفي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية 1984، ص93

الجنائي الإجرامي (من قتل، جرح و ضرب ...) أو جانب العرض (من قذف و سب، تهديد، خيانة زوجية ...) أو حماية الملك الخاص و العام (سرقة و دين ....) مع العلم أن لكل جريمة في حد ذاتها بعدا جنحيا لكونها تمس كيان ووجود الإنسان<sup>24</sup>

إنّ القوانين العرفية لدى القبائل عبارة عن رواسب لعصور متتالية قبل الإسلام و هي وليدة الحاجة و الظروف التي يمرّ بها المجتمع القبائلي لذا نجد نوع من الخصوصية و الاختلاف في كل منطقة، و كما أنّ هناك قوانين عرفية قضى عليها الإسلام في نفس الوقت هناك من أقرّها و شجّعها .

لا توجد أي قاعدة تتحكم في العرف فهي نصوص غير ثابتة إذ يمكن تعديلها وتجديدها حسب المكان و الزمان و هذا بفعل التغيرات الحاصلة في كل مجال جغرافي و حالة اجتماعية ، فلقد رأينا أن لكل قرية عرفها الذي يتأقلم معها ، وكما أننا وجدنا أن هناك عدد من القرى المتقاربة لها نفس العرف. لكن في جميع الحالات يعتبر العرف سواء مكتوب أو شفوي بمثابة قانون لا يمكن التعدي عليه فله من القيمة الاجتماعية ما ينظم الحياة اليومية وخلق جو ملائم للتعايش ، فهو من يحمي الفرد و ممتلكاته ، إذ أنه لا يختزل فقط في جانب العقوبات بل له جانب في ضبط الأحوال الشخصية من زواج و إرث و كل ما يرتبط بهما.

لقد كان العرف محل اهتمام دراسات أنثربولوجية عديدة وذلك منذ بداية الاهتمام بالمجتمعات العربية بصفة عامة و الجزائرية بصفة خاصة والتي عرفت بأسبق ميدان

<sup>24</sup> \_رحال بوبريك : زمن القبيلة ، السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي : دار أبي رقرق للطباعة و النشر ، 1 ط ، سنة 2012 ، ص69

للأبحاث الاثنوغرافية الفرنسية، أين جسدّ عدّة باحثين دراسات تاريخية، سوسولوجية وأنتربولوجية تهتم بالقوانين العرفية التي غايتها فهم تركيبة المجتمع الجزائري و الغوص في أعماق ثقافته ، فرغم قيمة الأبحاث إلا أنها اعتبرت ذات وظيفة استعمارية.

لعلّ أهم ما يميز هذه الدراسات، الدراسات الفرنسية المخصصة للمجتمع الزواوي أين كانت بمثابة القراءة الاستعمارية لتاريخنا فلقد تطرق الضابط الفرنسي أدولف هانوتو (1814\_1897) إلى دراسة مفصلة و دقيقة حول منطقة القبائل أين فصلّ في حياتهم، عاداتهم و تقاليدهم، انجازاتهم، انتماءاتهم الدينية والعرقية وقواعد لسانهم الأمازيغي أين سعى جاهدا لإثبات أن ثقافة سكان جرجرة القبائلية ثقافة متميّزة و أن الزواوة عرقا مميّزا يختلف عن باقي سكان الجزائر في أصله و لغته و ثقافته، أين كانت الغاية الوحيدة هي السيطرة على سكان المنطقة بعد عزلهم تاريخيا و اجتماعيا عن باقي المجتمع الجزائري و عليه لا يمكننا أن نعزل دراساته و مؤلفاته عن المشروع الاستعماري ، إذ أنه لا تظهر في كتاباته عبارات واضحة عن التحقير بالدين أو عنصريته للمجتمع العربي إلا أنها كانت مادة خام للاستعمال الاستعماري العسكري التي تظهر لنا أثناء التحليل لتوجّهاته. إذ أتت هذه الدراسات في نفس فترة الاستشراق المكرّسة لهيمنة الغرب على العالمين العربي و الإسلامي منذ القرن التاسع عشر، من خلال الدراسات الاجتماعية و الإنسانية، التي أتت في الدراسة القيّمة "الإستشراق" للمفكر العربي "إدوارد سعيد" و الذي هزّ الغرب منذ صدوره بأمريكا سنة 1978م.

إنّ ما يميّز الدراسات حول الأعراف أنها مقتصرة على القبائل المستقرة و الأمازيغية غالبا، إذ تم إقصاء القبائل البدوية العربية من الدراسات حول الأعراف، فمذ بداية التدخل الاستعماري اعتبرت القبائل العربية في عداد قبائل المخزن و بالتالي فهي نظريا تطبق الشرع بواسطة القاضي، أمّا القبائل الأمازيغية فهي قبائل السيبة التي يسري عليها القانون العرفي فالثنائية التي أرسنها المدرسة السوسولوجية الاستعمارية منذ البداية مع ميشوبيلير تقوم على الصراع بين مكوّنين: المخزن=العرب=الشرع=المدينة في مقابل:السيبة =الأمازيغ=العرف =البادية.<sup>25</sup> و كأن هنا القوانين العرفية مرتبطة ارتباط وثيق مع الاستقرار لدى الشعوب، فكلما كانت الجماعة مستقرة و ثابتة سهل التحكم فيها و سن قوانين لتنظيمها فهنا عامل المكان و الزمان يلعب دور كبير في تشكيل دستور عرفي قيم و متوارث لأن التعامل هنا مع متغير ثابت. فالعرف يتكون باعتياد الناس على سلوك معين، ثم بإيمانهم بأن هذا السلوك ملزم لهم و حاجة لابدّ في حياتهم ولذلك فالعرف في حقيقته ما هو إلا تعبير عن إرادة الجماعة التي أوجدته، و الجماعة هنا لا يمكن أن تكون متجدّدة أو غريبة عن نفس المكان، وهو بذلك الصورة المثالية للقواعد القانونية التي تشترك الجماعة كلها في إنشائها وفرضها على نفسها.

إن الاعتراف و الإقرار بوجود نظام قانوني شفهي أو مكتوب كان لا يتناسب مع النظرة و الرؤية الجاهزة التي كونتها سواء النخبة العالمية الإسلامية أو بعدها الدارسون

<sup>25</sup> \_رحال بوبريك : نفس المرجع ،ص72. للمزيد أنظر :

\_Michaux-Bellaire, « Organisme marocain », *Revue du Monde musulman*, 1990, pp 43

الأوروبيون حول البدو بتغيير سياق إنتاج المعرفة الأنثروبولوجية حول المجتمعات البدوية في الصحراء تغيرت تدريجيا تلك النظرة و أثار التنظيم القضائي للمجتمعات الصحراوية بالتحديد انتباههم. و إذا كان المجتمع الموريتاني يكاد يغيب فيه العرف لصالح الاحتكام للشرع، الذي يظل الضابط الأول داخل المجتمع كما يقرّ بذلك الأنثروبولوجي **Pierre Bonte**<sup>26</sup>.

فإنّ المجتمع الصحراوي خاصة من الساقية الحمراء شمالا حتى واد نون كان متميزا بالعرف عن باقي مكونات المجتمع. فالركيبات و أزركين و أولاتدرارين و يكوت آيت اوسى آيت لحسن مثلا دونوا أعرافهم، و كان الأنثروبولوجي الاسباني كارو باروخا من أوائل الأنثروبولوجين الذين تناولوا أعراف قبائل الساقية الحمراء، و قد سبقه إلى ذلك الفرنسيون الذين سارعوا إلى اقتناء و جمع أعراف القبائل التي كانت بمجال نفوذهم الاستعماري مثل قبيلة آيت اوسى أو الركيبات (تندوف)، وحتى تلك الخارجة عن مجالهم كان النظام القضائي السائد موضع تقاريرهم<sup>27</sup>.

**2\_2\_ نماذج من أعراف لقرى قبائلية :** لقد بقي سكان منطقة القبائل تحت حكم أعرافهم ليومنا هذا، فمنها من القرى من حافظت بشكل كلي على أعرافها و قوانينها القبلية و منها من غيرت و أدخلت تحديثات على بعض القوانين كي تتماشى و تطوّرات العصر. لكن دون المساس بمبادئ المجتمع القبائلي فأهم الأعراف التي لازال المجتمع يحرص عليها التي تأتي عن طريق الأمين و الطمان من خلال إصدار العقوبات بعد المناقشات القانونية

<sup>26</sup> P, Bonte, , L'émirat de l'Adrar mauritanien :Harim .compétition et protection dans une société tribale saharienne, Karthala , paris ,2008 ,p

<sup>27</sup> رحال بوبريك: نفس المرجع، ص75



،وغالبا ما تكون غرامات يسلطها العرف على كل من لا يمتثل للقانون الداخلي للقرى لمنطقة القبائل. من خلال دراستنا الميدانية لقرى عديدة من منطقة القبائل و بالتحديد " تيزي وزو " فوجدنا أنّ النظام العشائري لا يتواجد بنفس الأشكال والمضامين في كلّ القرى، بل يختلف حسب الحاجة الاجتماعية و موقع القرية كذلك، و هذا ما لاحظناه في عدّة زيارات للقرى ، فهناك من نفى تماما أنّها تتعامل مع تجمعات" و ذلك لعدم التوافق بين متطلبات القرية ومضمون النظام العشائري، و هناك من القرى من تأسفوا لضياع وتشتت تجمعات بفعل الزمن، إلا أنّ هناك من بقيت تجمعات جزء لا يتجزأ من حياة القرية، و لازالت تؤدي دورها الحقيقي في تنظيم الحياة الاجتماعية فيها. و من بين القرى التي نالت اهتمامنا و حاولنا أن تكون نموذج قيم في دراستنا الميدانية:

#### 1\_ قرية "أث عيسي" بلدية اءكورن:

أث عيسي ... قرية تابعة لولاية تيزي وزو، بالتحديد منطقة " عزازقة " ، يحدّها من الغرب "أث جناد" ، و من الشمال " أث فليكي" ، و "أث غوبري" من الشرق و " زرايب" من الجنوب. إنّ تسمية أث عيسي جاء في التحالف بين عدّة قرى ، فقد كان الاسم الأصلي للقرية " إغيل ن صالح"، أما التحالف فقد كان بين ثلاث قرى " أث سعيد" "إعيسيون" ، "إبجودن" و كان ذلك بين 1400\_1500م .حسب مخبرين من القرية



الصورة رقم 02: قرية أث عيسي

المصدر: الباحثة .



الصورة رقم 03: موقع تجمعات.

المصدر: الباحثة .

في قرية أث عيسي كما هو موضح في الصورة، فإنّ موقع تجمعات هو في وسط القرية، في مكان مفتوح تلتقي فيه جميع طرق القرية المؤدية الى البيوت سواء في القرية "أوفلاً" أي العليا و التي تعتبر القرية القديمة فيها عدد محدود من المنازل فمعظمها هدم بفعل مسببات طبيعية. و القرية "قادًا" أي السفلى و التي هي عبارة عن بنايات جديدة امتداد للقرية القديمة بفعل تزايد عدد سكّان القرية. و كما أنّ الصورة تؤكّد أن تجمعات في القرية القبائلية يجب أن تكون بالقرب من المسجد، إذ هنا توضح أنّ المسجد مقابل لمكان تجمعات، رغم أن المسجد بني حديثًا بالنسبة لها، لكن و حتى المسجد القديم الذي يعود لعدّة حقب زمنية و الذي تم تحويله مباشرة لمكتبة القرية و مكان لحفظ التراث المادي لها، فهو متواجد مباشرة بعد مكان تجمعات ببعض أمتار و في الطريق المؤدية للقرية القديمة.



المصدر: الباحثة .

الصورة رقم 07: مسجد القرية

كما أن تجمعات تمّ تحديثها ببناء طابق فوقها و تم تقسيمه إلى غرفتين: الأولى مكتب الطمّان أين تتواجد جميع مستلزمات إدارة القرية من ملفات و أوراق مهمة من "تعداد السكان، قوائم، خطط مشاريع... " و الغرفة الثانية تم وضع أواني يتم استعمالها للطهي في المناسبات العامة للقرية، ووسائل أخرى تم شرائها من أموال تجمعات للاستفادة العامة في القرية.





الصورة رقم 06 : مقبرة القرية

المصدر: الباحثة .

عندما تحدّثنا عن إنفراد قرية أث عيسي بكل خصوصياتها خلافا عن باقي القرية، فقد وجدنا أنّ موقع المقبرة جاء أعلى القرية و على الطريق المؤدي لمدخل القرية، بما هو معروف في أغلب القرى القبائلية، أنّ المقبرة تأتي أسفل القرية أو في الطريق المؤدي للخروج من القرية.

على خلاف باقي قرى منطقة تيزي وزو التي تعتمد هذه التركيبة في مؤسسة تجمعات إلا أنّ ذلك مختلف تماما في قرية "أث عيسي" التي تنفرد تقريبا بنظام عشائري مميّز أين يتم الاستغناء تماما عن دور "الأمين" إذ لا يوجد أمين للقرية أو أمغار ن تادارث ليعود الحكم لمجموعة من الطمّان الذين تتساوى مهامهم و مقامهم في القرية. عند أث عيسي يعود الحكم

في القرية لـ 16 طامن تم اختيارهم، فكل عشيرة "أذروم" و الذي هو مجموعة من ثخريا تقدّم طامين لهما يمثلونها.

لقد قابلت مجموعة من طمان قرية أث عيسي الذين سردوا سبب عدم تعيين أمين للقرية، فيقول عمي السعيد و هو طامن سابق للقرية، أنها عادة قديمة حيث أتفقوا أن لا يعينوا أمينا في زمن الحرب كي لا يتم استغلاله من قبل المستعمر، و التضيق على القرية عن طريقه، هذا من جهة. و من جهة أخرى بعد التلاحم الذي حصل بين القرى في زمن معين ممّا يصعب تعيين "أمين"، فلا ترضى أي قرية أن يعين أمين من قرية أخرى ليحكمهم. فهذا ما حدث في قرية أث عيسي التي تشكلت من التحام 3 قرى و هي "أث سعيد" و "اعيسيون" و "ابجودن"، كما أن القرية تتضمن 8 عشائر "إذرما" و هي كالتالي:

"أث سعيد أوحند" \_ "أث لحوسين" \_ "أث بلقاسم" أو المعروفين بـ "أث موح واعلي"

"أث سعيد" أو "إزمبجن" \_ "أث رابح" \_ "إعيسيون" \_ "إخشامن" التي يتقدّم من كل واحدة طامين، فهذه العشائر هي من تشكل التنظيم الاجتماعي لقرية أث عيسي .



و الصورة توضح موقع القرية و القرى المجاورة لها، إذ تمّ اطلاق تسمية "بني فليق " على تجمّع القرى التي تتواجد في المنطقة ، و المخطط الذي يعود لسنة 1887 ، يوضح ما لقرية أث عيسي من حدود طبيعية ، و هذا ما يؤكّد التلاحم الذي حصل منذ زمن بعيد .

ب\_ القانون المكتوب لقرية أث عيسي : لقد أكّد سكان المنطقة على أنّ القانون المكتوب أصبح جزء لا يتجزأ من حياتهم و أنّ التقيدّ به واجب " دون نقاش " و قد استعملت عمدا هذه الكلمة لأعبر عن مدى تأكيد السكان بصورة غير طبيعية عن تمسّكهم بالقوانين التي تحكمهم ، و اعتبارها " مكتوب مقدّس " لا يمكن الخروج عنها :

“ ur yezmir hed adifer i wevrid agi ”

لا أحد يستطيع الخروج عن هذا الطريق

(Zahra , 76 ans)

"iwulem agh wayen yelan di leqwanen agi"

يناسبنا مضمون القوانين لقرينتنا

(Fatima , 22 ans étudiante)

« d lmuhal ad yekk yiwen nig\_sen »

لا أحد يعلو على القوانين



(Lounis, 31 ans enseignant)

« ath ttadarth ur smahen i yiwen ad yefer i lahkom taddarth »

سكان القرية لا يقبلون من يخرج على حكم القرية.

( Malika , 43 ans)

فينقسم القانون القبلي المكتوب لقرية أث عيسي الى:

1\_ القانون الداخلي : و الذي يحتوي على 16 مادة مخصصة فقط بتجمعات و هو القانون المنظم لسير الإجتماعات، أغلبها (المواد) تمثل العقوبات المالية المفروضة على السكان في عدة حالات:

\_ الغياب عن الإجتماع و خاصة غير المبرر: إذ في المواد الاولى اتى تخصيص عقوبات مالية من 500.00 دج الى 1000.00 دج على كل شخص غائب عن إجتماع تم الإعلان عنه.

\_ الانسحاب من الإجتماع قبل نهايته من دون طلب الإذن من الجماعة.

\_ مقاطعة الحديث على المتحدث أثناء الإجتماع يعرّم بمبلغ 200.00 دج.

\_ الجدل بين الحضور أثناء تحدث احد أعضاء تجمعات، يتم تغريم كل من الطرفين .

\_ محاولة التعدي الجسدي أثناء الإجتماع .

إعادة ذكر قضايا تم معالجتها دون سبب مقنع كتيبان الأدلة الجديدة المتعلقة بالقضية .

و كما تبين المواد السالفة ما لأعضاء تجمعات من اعفاءات.

**2\_القانون العام للقرية:** و الذي يتمثل في 50 مادة تتناول مجمل المظاهر العامة في

القرية،أغلبها عبارة عن عقوبات تمس الإنضباط و السلوك داخل القرية و التي من شأنها تنظيم العلاقات العامة و أبرزها :

\_ الغياب أو التأخر عن إجتماع جميع أفراد القرية من ذكور و الذي يغرم صاحبها بمبلغ رمزي .

\_الغياب أثناء الأعمال التطوعية و التي قدرت عقوبته بـ 2000.00دج

\_عدم إشعار تجمعات عن كل ولد بلغ سن 18سنة.

\_استعمال المجالات العامة في القرية في الإستخدام الشخصي كوضع مواد البناء ،أو

للزراعة الخ ..دون أخذ موافقة تجمعات سيغرم بـ5000.00دج.

\_صب المياه المستعملة في المنازل للشارع العام.

\_منح مهلة مدتها شهر لاستصلاح قنوات الصرف للمنازل و إن تجاوزها صاحبها يدفع

غرامة 2000.00دج.

\_تغريم كل أنواع العراكات و المناوشات التي تمس حرمة العائلات، إذ تم التفصيل فيها ما إذا كان الشجار يتضمن وسائل للضرب كالعصي، أمّا إذا ما تم استعمال السلاح الأبيض تسبلغ الغرامة 10000.00 دج .

\_كما تمس العقوبات أيضا شاري الخمر علنيًا، و كل ما يمكن أن ينجر وراء هذا الفعل من شجارات لتصل العقوبة الى 20000.00 دج.

\_كما يمنع تشاجر أهل القرية حتى خارج القرية، و إذا حصل سيدفعون غرامة مالية قدرها 2000.00 دج.

\_لا يحق لأي فرد أن يخوض متابعة قضائية مهما كان نوعها و طرفها دون علم تجمعات، أي قبل الإحتكام للعدالة الرسمية يجب أولاً دراسة القضية في إجتماع قد يكون مخصص للقضية فقط ليتم توجيهها لاحقاً للعدالة في حالة عدم الوصول لحل نهائي، و هذا غالباً او منعدم عند قرية أث عيسي.

\_قانون العقوبات لأث عيسي مفصل بين العقوبات المخصصة للقصر و البالغين، فاتلاف الإعلانات، و المساس بالملكية الخاصة من منازل أو محلات يفصل فيها حسب سن الفاعل.

\_كما لا يخلو القانون من عقوبات المساس بحرمة العائلات من قذف و شتم.

\_كل ما يمس المصلحة العامة من اتلاف قنوات مياه الري « Thiregwa » و افتعال

النيران و اتلاف المزارع كذلك تأتي الغرامة مختلفة حسب سن الفاعل، فهي تنقص كل ما كان قاصرا.

\_ كما تم تحديد الرعي في مناطق مخصصة له و أي تعدي على حقول الغير يغرم صاحبه بـ5000.00دج.

\_ تم تخصيص مكان لرمي القمامات، فلا يسمح أن ترمى في أي مكان غير ذلك.

\_ يمس القانون حتى "طمّان" القرية فيدفعون غرامة في حالة الغياب غير المبرر عن كل نشاطات القرية و اجتماعاتها باعتباره مسئول عن جميع القرارات التي قد تتخذ في كل اجتماع.

\_ لقد خصص القانون القبلي لأث عيسي جزء منه لتنظيم كل المناسبات التي تقام في القرية، فرغم أنّها ترحّب بكل الزوّار من مناطق مختلفة والاحتفالات تكون مختلطة بين الجنسين لكن هذا لا يعني الحرية المطلقة ، إذ منعوا جميع التعداديات من خلال استعمال آلات التصوير من كاميرات و هواتف دون إذن الجمعية المنظمة، إذ خصصوا لهذا الغرض كاميرا واحدة لتوثيق جميع مواسم القرية و تكون بحوزة الطمّان، و غير ذلك فالقانون يعاقب بشدة كل مخالف.

\_ كل مرافق القرية ذات الاستعمال الجماعي يتم تقنين الدخول و الخروج منها و آداب استخدامها، من متحف و قاعة رياضة مخصصة للأطفال و مكتبة القرية و التي يتم إعادة

تجهيزها في المناسبات الدينية و الوطنية و كل إتلاف أو ضياع لكتاب أو وسائل المتحف يتخذ الإجراء اللازم .

\_للقرية وسائل ذات المنفعة العامة، من مضخة كهربائية لاستخراج مياه البئر التي يتم كراءها من مكتب طمّان القرية ،و كذلك السلم و اكليل المصاييح ،لكن اتلافها أو عدم احترام مدة الكراء يدفع صاحبها غرامة.

\_لا يسمح لأي شخص البدء بأشغال مشروع ما دون طرحه في اجتماع تاجمعات، و كما تم تحديد مبلغ كراء المستودعات ب 2000.00دج ،كما لا يسمح وضع مواد سريعة الاشتعال في المستودعات .

\_قانون أّث عيسي ليس فقط عقوبات بل يتم تخصيص مبلغ من التبرعات لكل شخص توقفت أشغال بناء منزله لأكثر من 3 أشهر ليتم دراسة حالته ثم إعانته بالمبلغ اللازم.

**3\_القانون العام للمناسبات :**و يتضمن 5 مواد من شأنها تنظيم سير المناسبات في القرية :

**المادة1\_المهر أو(ثاعامات) :**تم تحديد في قرية أّث عيسي سقف المهر الذي لا يتعدّى

1500,00دج و في حالة عدم التقيّد به يتم إبلاغ المسؤول أنّ عليه دفع غرامة قدرها

5000.00دج.

**المادة2\_ مصاريف العرس إذا كان الزوجين من نفس القرية :** أين تم تحديد مصاريف

الزوج التي يقدّمها للزوجة :

5\_ لترات زيت الزيتون.

10\_ لترات من زيت المائدة.

1\_ قنطار من السميد.

1\_ حقيبة.

المستلزمات التي يجب على العروس أن تأخذها لبيتها و التي تم تحديدها في :

100\_ بيضة .

\_صينية حلويات .

\_ سلة من الحلويات التقليدية للمنطقة " السفنج" أو الخفاف"

2\_ حقيبة.

2\_ أغطية رقيقة (للصيف).

2\_ أغطية (للشتاء).

2\_ غطاء تقليدي .

1\_ غطاء سرسر .

2\_ وسادة .

\_كما يحق للعروس أن تأخذ معها الهدايا التي قدّمت لها يوم الزفاف.

المادة3\_ في حالة ما إذا كانت العروس من قري أخرى :

في هذه الحالة يقوم أب الزوج من إبلاغ أب الزوجة بقانون القرية ليتم الوصول الى اتفاق يرضي الطرفين دون الضغط أو التسبب في مشكلة ما بين العائلتين ،كما تم تحديد عدد النساء المرافقات للعروس في اليومين ،أما عدد الرجال فلم يتم تحديده،كما أشاروا الى تحمل المسؤولية من طرف أهل الزوج فيما يخص الأطفال المرافقين.

المادة 4\_ المرأة التي تتزوج خارج القرية : يطبّق عليها القانون كما لو كانت متزوجة في القرية ذاتها ،أي تأخذ معها نفس الحاجيات سائلة الذكر،و في حال ما شوهد عكس ذلك يدفع وليّها غرامة قدرها 5000.00دج.

في مقابلات جمعتي مع بعض فتيات القرية تطرّقنا لموضوع "جهاز العروس" ليؤكدوا لي نفس الشروط و لا يمكن لأي منهنّ أن تفكّر في أشياء أخرى من شأنها أن تخالف العرف، لكن أعدت السؤال مرارا كيف لهذه الأشياء القليلة جدا أن تكون "جهازك" و هل تكفي و تغطي جميع احتياجاتك ؟ و خاصة أننا في وقت تكثر فيه مستلزمات النساء و تنتوّع ؟ حينها عرفت منهنّ أنّ المعمول به في العرف يقتصر فقط على يوم العرس، إذ بإمكان أهل العروس أن يأخذوا لها ما يريدون لكن بعد مدّة من العرس لكن دون أن يلفت انتباه أهل القرية . فهنا يكون المغزى من هذا القانون ليس حرمان الفتاة من حقّها كامرأة، بل

هو محو الفروق الاجتماعية داخل القرية، والتي قد تؤدي إلى نزاعات بين الأفراد، و التي تزرع الحقد الذي قد ينتهي بخلافات و هذا ما لا ترضى به تجمعات.

المادة 5\_ هنا تنص المادة الأخيرة من قانون المناسبات على مسؤولية أهل العريس و أهل العروس على جميع المدعوين .

#### 4\_ القانون العام لاستغلال الثروة المائية :

\_تصريح بتوصيل أنبوب مياه من المنبع الأساسي للقرية و الذي يعدّ "ملكية عامة" وذلك في الحالات التالية :

\_الجزاة استعمال لمدة 3 أيام متتالية .

\_الأعراس: يوم لتحضير الكسكس، و يومين للعرس، و في حالة عدم احترام المدة المخصصة سيتم دفع غرامة قدرها 5000.00دج.

\_ استعمال مياه الشرب للسقي يغرم صاحبها بمبلغ 5000.00دج.

\_يمنع تعطيل حنفيات المياه أو إغلاقها، أو تعمد كسرها يدفع غرامة قدرها

5000,00دج، كما تم تحديد سن مستعملي النافورة ب10سنوات فما فوق ، أو يكون الطفل

بمرافقة.



\_تحديد مكان وضع عدّاد المياه بخارج البيت، و أمام الباب الخارجي إذا كان البيت بعيد عن المدخل الرئيسي. و إعادة النظر في العدادات غير واضحة الترقيم أو قديمة النظام، إن وجدت مثل هذه الحالات يدفع صاحب البيت غرامة قدرها 5000.00دج.

\_يمنع على كل غريب من القرية أن يتزوّد بمياه النافورة العامة للقرية دون مرافقته بفرد من أهل القرية سواء رجل أو امرأة، كما تم تحديد الكمية بـ 80 لتر.

**5\_قانون عام للجناز و مراسيم الدفن.** و يتضمن 7 مواد لتنظيم المراسيم .

\_تحديد توقيت حفر القبر على الساعة الثامنة صباحا في الشتاء والسابعة في الصيف.

\_على الساعة الثامنة صباحا يتم تقديم القهوة إلى غاية العاشرة يوم الدفن ، و الإكراميات تقدم للضيوف، كما يجب الإبلاغ عن الأجنب الذين يحضرون الدفن .

\_تجميد جميع الأنشطة مباشرة بعد الإعلان عن الجنازة.

\_منع تقديم الأكل من لحم و عسل و تمر، ومنع دعوة الناس لليوم الثالث من الجنازة، وكذلك يوم الأربعاء.

\_و كما تم تحديد الزيارة للمقبرة في الثامنة صباحا دون إطالة الزيارة.

\_و كما تم تحديد المواد المكوّن للوليمة.

إذا تمعّنا في جميع هذه القوانين فتظهر لنا في البداية على أنّها إجحاف في حق الأفراد، و تضيق لحياتهم، لكن ما هي إلاّ محدّدات تمّ الاتفاق عنها من طرف جميع سكان القرية الذين يعتبرونها الحل الوحيد الذي يطيل تماسكهم، و بفضلها يتوحّدون.

### 2\_3\_2\_ قيم التضامن: نادت تجمعات بأهمية التضامن بين سكان منطقة القبائل و الذي

يحافظ على تماسك الأفراد من الدرجة الأولى ثم القدرة على المواصلة و إعطاء فرص أكثر من أجل المقاومة ،مقاومة الخارجي و تهديداته سواء خارج القرية أو خارج حدود المنطقة ككل، و كذا التضامن يعادل من فرص العيش بين الأفراد فتجد الفرد رغم قساوة الظروف في منطقة تعدّ جبلية و وعرة إلاّ أنّ لا يبقى فرد يعاني لوحده.

### 2\_3\_2\_1\_ التوزيع (التطوع) « Tiwizi »

هي إحدى الآليات الاجتماعية التي أقرتها القوانين العرفية الزاوية، و التي تسمح بتكاتف جميع أفراد القرية لإنجاز مشاريع ذات مصلحة عامة ،و تشمل كل مجالات العمل من فلاحية كالحرث، البذر، الحصاد وجمع المحاصيل<sup>28</sup>، كما تشمل ميادين أخرى كالبناء والتهيئة العمومية كإصلاح الطرق، حفر المقابر و توسيع مجالها و يكون ذلك على حساب الملكية الخاصة للفرد الذي يتبرّع بها طوعا للمقبرة، تهيئة مجاري السقي و إعادة حفر التي أفسدتها الأمطار، ترميم المساجد و مقر تجمعات و تزيينه، جلب الماء الشروب للقرية، وكما يقومون بجلب جذوع الأشجار من الغابة و التي تستخدم كأسقف للبيوت و يكون ذلك مرّة

<sup>28</sup> فرّاد، محمّدارزقي: المرجع السابق، 2011، ص 115

واحدة في السنة من أجل الحفاظ على الثروة الغابية، و كثيرا ما يجتمعون أيضا على المصلحة الخاصة من مساعدة في بناء مسكن خاص يصعب على صاحبه إكماله لوحده.

تعتبر تجمعات الجهة الوحيد المنظمة لهذا الحدث المهم، فيكون محور مناقشة يوم اجتماع تجمعات أين يتم اقتراح نوع النشاط و ذلك حسب الموسم و الحاجة و الأولوية، لتسمع تجمعات لآراء الحضور واقتراحاتهم حول المكان و الزمان، ثم يتم الاتفاق على برنامج العمل للتوزيع .

بعد الاجتماع مباشرة بعد صلاة المغرب و قد حدّوا هذا الوقت ليترقّب السكان أي جديد فقد يبقوا مستمعون وراء آذان المغرب مباشرة لمعرفة هل من جديد في القرية، يتم إعلان الخبر على باقي القرية عن طريق المنادي العمومي "البرّاح" و الذي يعتبر شخصية ذو دور مهم في القرية و هي إعلان أخبار القرية من إجتماعات تجمعات، الدفن، مشاريع تيويزا، ضياع الممتلكات و الأشخاص و كان في القديم يعلن التهديدات الخارجية في وقت الحروب بين القرى و كما أنه عرف بإعلان مواقيت الإفطار والإمساك و ذلك بدق الطبل والتجوال في أزقة القرية إلا أنّ هذا المهام أسقط معوّضا إياه بمكبرات الصوت في المساجد، و كما عرف بشخصيته المحبّبة لدى السكّان و صوته القوي .

في يوم العمل الجماعي تعطى إنطلاقته من مقر تجمعات غالبا و تتميز بمشاركة تقريبا جميع أفراد القرية من رجال بطبيعة الحال و الذين يمتازون بالصحة الجيّدة أين يتم استثناء كبار السنّ و ذوي الاحتياجات الخاصة و الصغار و كذلك غياب كلّ للعنصر

النسوي في مثل هذه الأنشطة، لكن في بعض العائلات الميسورة الحال و التي تعودت على تقديم المساعدة، تقوم النسوة بتحضير بعض الأكلات الخفيفة مثل "أضمين" و الكسرة(التي تشبه لحد كبير طمينة الحالية) و التي تعتبر الأكلة المشهورة في يوم تيويزي و أضمين عبارة عن سميد خشن يتم تحضيره مع الزيت أو السمن و السكر على شكل كريات، والنوع الثاني يحضر من دقيق الخروب إذ توفّر و يقدّم مع الكسرة في منتصف النهار لجميع المشاركين في التيويزي، و خاصة الأطفال الذين يعبرون عن فرحتهم في هذا اليوم بالتباهي أمام بعضهم البعض و ذلك من خلال المشاركة في بعض النشاطات كتوصيل ماء الشرب للعاملين و نقل بعض أدوات العمل بين العمال والغاية من إشراك الأطفال هو غرس فيهم حب العمل و تعودهم على مثل هذه القيم التضامنية .

إلا أننا لا يمكن أن نقتصر التيويزي على الأنشطة الرجالية فقط لكن توجد نوع من تيويزي نسائية محض، و هي التي تمارس في البيوت لكن لا يشترط الإعلان عنها والاجتماع من أجلها فقط تقوم أحد النسوة بدعوة مجموعة اخرى إلى بيتها من أجل المساعدة في نشاط يعتبر شاق و تستحسن فيه اللمة مثل تحضير الكسكس و تخزينه لموسم الشتاء أو لمناسبة ما، أو من أجل وعدة تجمع جميع أفراد القرية ويكون ذلك من طلب تجمعات أثناء تحضيرات الوعدة. وغسل الصوف و كل هذه تعتبر تيويزي نسائية. هذا في القديم لكن الآن عرفت المرأة القبائلية نوع من التحرر و اقتحام المجال العام (الذي كان يقتصر على الرجال فقط) فأصبحنا يشاركن في أكثر من نشاط .

## 2\_3\_2\_ تمشيط أو الوزريعة "توزاعث" « timechret »

تعدّ من آليات تجسيد التضامن في القرية القبائلية، و هي عبارة عن صدقة عامة، تتم بواسطة جمع الهبات و الصدقات من الأغنياء، الفلاحين الكبار و ذوي الدخل المرتفع<sup>29</sup>، فهي ممارسة قديمة متوارثة بين الأجيال تتميز بها منطقة القبائل في شمال الجزائر، وكغيرها من مشاغل القرية تعدّ تيمشيط من أهم الأمور التي يتم مناقشتها من قبل تجمعات بكل اهتمام لما فيها من قيم اجتماعية عديدة من زرع روح التضامن بين أفراد القرية، وإعطاء فرصة للفقير لتناول اللحم الذي يعتبر مادة غالية الثمن بالنسبة للعائلات قليلة الدخل أو المعدومة، دون أن ننسى ما لهذه الممارسة من قيمة دينية تتمثل في شكر الله عز و جلّ على موسم وفير من المحاصيل. "و ذلك حين تكون هناك رغبة في تجنب غضب الله أو توسّل معونته من أجل الحصول على المطر أو على الشمس أو لإيقاف وباء أو جائحة حيوانية أو أمراض تصيب الأشجار، فيتم التحضير للصلاة بإقامة تيمشيط، و يساهم فيها كل واحد بقدر ما يستطيع سواء بالمال، بالقمح بالزيت، بالتين المجفف و بالبلوط. ثم تباع هذه الصدقات ليستخدم المال المتحصل عليه لشراء حيوانات مخصصة للذبح"<sup>30</sup>. كان طقس تيمشيط يغطي جانب إنساني و اجتماعي و ديني في القديم، إذ يعتبر بمثابة احتفال أو عرس يشارك فيه جميع أفراد القرية.

نوح، عيد الله: المؤسسات العرفية بمنطقتي القبائل و وادي ميزاب و مساهمتها في المرافق العامة مقارنة أنثروبولوجية قانونية، أطروحة  
<sup>29</sup>دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009، ص 210  
<sup>30</sup>أ، هانوتو، و لوتورنو: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 54

في أغلب الحالات يتم إعفاء فئات معينة من المساهمة في المال لثيمشرط، من أرامل، واليتامى و العجزة الذين لا يملكون دخل ثابت، كما أنه في بعض الأحيان يتم إعفاء كل القرية إذا كان مبلغ الأضاحي استوفاه تبرعات أغنياء القرية، و هذا ما يحدده الطامن بما أنه المسئول عن جمع المال و هو من يتكفل بمشتريات ثيمشرط.

تأتي ثيمشرط غالبا دون مناسبة معينة، بل كل ما رأى أهل القرية أنهم محتاجين لتغيير جو القرية و إعادة تفعيل آليات التضامن فيما بينهم، خاصة إذا بلغت خزينة تاجمعات مبلغا كبيرا ناتج عن الغرامات و عائدات كراء ممتلكات عمومية للاستغلال الشخصي، سواء داخل القرية أو خارجها. لكن تبقى بعض المواسم عنوانا لثيمشرط مثل "عاشوراء" هذا الطقس المقدس الذي يتم الاحتفال به في منطقة القبائل بإقامة ثيمشرط التي أصبحت ترتبط بالطقس مباشرة في بعض القرى.

يتحمل الأمين و الطامن مسؤولية ثيمشرط منذ بدايتها إلى غاية التأكد أن كل بيت أخذ حقه من اللحم، بعد الشراء و الذبح و التقطيع يقف الأمين على كل تفاصيل الطقس من تشكيل الأقساط بأعداد كافية و خاصة متساوية، في ثيمشرط العادية يقسم اللحم على حسب عدد أفراد العائلة، إذ في بعض القرى يخصصون حق الغائب من مفقود أو مسافر و كذلك حق الميت إذا كان توفي حديثا أو في زمن ليس بعيد، لكن هذه عادة تقريبا تلاشت مع تزايد عدد سكان القرى، فقد كانت تقام في القرى ذات العدد القليل جدًا.

عند انتهاء تقسيم اللحم يبقى ما يسمى " نيسوقارث " ما تبقى من أعضاء الأضحية و التي تعتبر قليلة مقارنة باللحم، فهنا تختلف كل منطقة على أخرى في كيفية استغلالها. هناك في بعض المناطق من يقوم بطبخها على شكل وجبات يقدمونها في مكان عمومي مثل ساحة القرية على شكل وحدة لجميع سكان القرية. و هناك في بعض القرى التي تعتبر خزينتها ضعيفة يتم عرض هذه البقايا للبيع على سكان القرية لتعود أثمانها لتجمعات، لكن لقرية أث عيسي (إكورن) رأي آخر فقد سردت لنا "نا فروجة" و هي من كبار أهل القرية، كل تفاصيل طقس نيمشرط إذ كانوا في القديم عند نهاية عملية تقسيم اللحم يأخذ كبير العائلة حفيدا له لم يسبق أن رأوه الناس ليتم تقديمه لأهل القرية في ذلك اليوم، ليقوموا بالدعاء له بالخير ثم إهداءه "رأس ثور" تعبيرا على أنه سيصبح قائدا عندما يكبر.

**3\_ السلطة الدينية لتجمعات:** و ذلك من خلال رمزية فضاء تجمعات: و الذي يأتي غالبا في وسط القرية و يكون قريب من "المسجد" ذلك الفضاء المقدس و كأن الرمزية هنا تكمن في كون "تجمعات" الفضاء الدنيوي تستمد قداسيتها من " المسجد " و كما أن هذه الانتقالية في الفضاءين العموميين يجبر سكان المنطقة على التعامل معهما بنفس درجة القداسة لأن كليهما يفرضان الحضور في الوقت و احترام قداسة الموقع .

إن ما تم فهمه من خلال دراستنا الميدانية، أن الخلفية الدينية لتجمعات لا يمكن أن ننكرها، فهي بارزة في كل مراحل الدراسة. إذ يصعب حتى الفصل بين السلطة الدينية ومقوماتها ونظام الجماعة في منطقة القبائل، إذ ذكرنا سابقا طريقة انعقاد اجتماعات

تجمعات، و الذي كان من شروطه الأساسية افتتاح الجلسة بقراءة سورة الفاتحة و آيات أخرى من القرآن الكريم، يتلوها الإمام على مسامع الحضور. و قد تكمن الغاية من هذه الممارسة في جعل قيمة دينية للاجتماعات و فرض هيبة خاصة لها. و كما أن الإمام هنا يعتبر من الأعضاء المهمين في مؤسسة تجمعات، أين يتم استشارته في كل الأمور التي تستدعي استدلال ديني، فحضوره يضيف صبغة القداسة على الاجتماعات و كما أن كلمته مسموعة فيما يخص الأمور الدينية. فالإمام شخصية جد محترمة في القرية القبائلية ليس فقط لكونه حافظ للدين، بل لكونه من مرابطي المنطقة الذين يعتبرون شخصيات دينية ووثق تواجدهم منذ القرن 14 في منطقة القبائل، و رُحِبَ بهم بما لهم أهمية كبيرة في المجتمع في الضبط الديني للأفراد، فقد عُرفوا على عكس " فئة القبائل " على أنهم أعلم بأمور الدين لذا تم اتخاذهم أئمة مساجد، و حفظة القرآن، مؤذنين، و كما أنهم يشرفون على كل المناسبات ذات الطابع الديني، كالختان، الزواج والجنائز. "يقوم المرابط في القرية بمهامه دون تلقيه أي أجر، غير أنه ينال مقابل تقديري، إلى جانب الهدايا التي تقدم له من طرف سكان القرية"<sup>31</sup>.

لا يمكن أن تحكم تجمعات بقوانين خارجة عن إطار الدين، أو تكون متناقضة له. فجميع القوانين العرفية مصدرها الأساسي الشريعة الإسلامية، من الدرجة الأولى، فقد اطلعنا على عدة نصوص قانونية لعدة قرى، فوجدنا أنها لا تتنافى و القيم الإسلامية، حتى تلك القضايا التي بقيت عالقة و لم يتم الفصل فيها بالنسبة لباقي المجتمع غير القبائلي و أهمها

<sup>31</sup> \_ أ، هانوتو و لوتورنو: المرجع السابق، ج2، ص12.



" ميراث المرأة" و الدية ، و الصلح بين المتقاتلين، فهي قضايا لاقت اختلاف في الآراء وأحيانا رفضا من طرف المجتمع، اجتهدت فيها تجمعات في طريقة الاحتكام و الفصل فيها، لتصبح مع مرور الوقت مقبولة.

#### 4\_ السلطة السياسية لتجمعات:

إذا انطلقنا من فكرة جورج بالوندي على أن السلطة السياسية تسجل ضمن الديناميكية الاجتماعية للأساواة، وأي مجتمع في نظر بالوندي غير متساوي على الأقل لاعتبارات الجنس، السن أو الحالة الجينية، فإن هذه السلطة تتدعم بزيادة للأساواة في المجتمع.<sup>32</sup> فإذا طبقنا مقولة بالوندي على المجتمع القبائلي، الذي انسحب من السلطة المركزية بفعل اللامساواة الاجتماعية و السياسية التي عان منها على مراحل عدة عُرفت كل مرحلة بأحداث خاصة زادت من الهوة بين المجتمع القبائلي و السلطة المركزية. و هذا ما سمح بنجاح السلطة السياسية البديلة و التي تبنّتها مؤسسة تجمعات.

إننا هنا بصدد استخلاص العلاقة التي تربط بين تجمعات كمؤسسة عشائرية غير رسمية و المؤسسات الرسمية، و ممارسة ازدواجية السلطة في منطقة القبائل. إذ أننا رأينا من خلال ميدان دراستنا على مستوى عدة قرى في منطقة تيزي وزو، أنّ الحياة السياسية مختلفة عن باقي المجتمع الجزائري، إذ يقول أرسطو بأن السياسة ما هي إلا امتداد طبيعي لاجتماعية الإنسان، أي أنها أمر طبيعي و نتيجة حتمية لما هو اجتماعي، حيث أنّ الإنسان

<sup>32</sup> \_George ,Balandier : **sens et puissance** « c'est l'accès au pouvoir qui donne une Emprise sur l'économie beaucoup plus que l'inverse , Ed P U F , Paris , P 32 .

الاجتماعي بطبعه في حاجة إلى تنظيم هذا الاجتماع، و هو ما يفرض نوعا ما تنظيمًا سياسيا، فهي جانبا مهما من حياته و شرطا ضروريا للإنسانية<sup>33</sup>

فقد ذهب أغلب الباحثين في مصطلحات القبيلة و العشيرة على أنها كيان سياسي يكتسب خصوصيته المتمثلة في امتلاكه نوعا من النظام السياسي و لو في شكله البدائي العفوي<sup>34</sup>، فقد نجح النظام السياسي البديل على مستوى قرى منطقة القبائل و الدليل على نجاحه هو صموده لعدّة قرون، بل بالعكس أصبح في السنوات الأخيرة ملجأ للقرارات السياسية للسكان، كما تم إعادة إحياء ما أهمل من هذا النظام التقليدي.

فالسطة السياسية لتاجمعات تكمن في دورها القضائي من الدرجة الأولى على مستوى القرى، وذلك بقيامها بدور القاضي و محكمة يتم من خلالها الاحتكام لجميع القضايا مهما كان نوعها، و ذلك بسن القوانين العرفية الفعّالة، التي تعتبر الركيزة الأساسية لتسيير جميع نواحي الحياة الاجتماعية، الاقتصادية و السياسية في المنطقة، لأن الحياة الحقيقية للفرد لا يمكن أن نجد لها ضمن المؤسسات الرسمية. بالإضافة إلى المنظومة التشريعية التي سنتطرق إليها في الفصل الموالي، فإن السطة السياسية لتاجمعات تظهر من خلال الممارسات المشتركة بينها و بين السطة المركزية عن طريق عدة نشاطات، كالاقتخابات والأحزاب، والنقابات، إلا أن هذه المشاركة تأتي في الحالات العادية للمجتمعات الأخرى، أي التي لم تدخل في صراعات مع السطة المركزية أين تعتبر في هذه الحالة الطرف الثاني

<sup>33</sup> مرقومة، منصور: المرجع السابق، ص129.

<sup>34</sup> مرقومة، منصور: نفس المرجع، ص 81

لسلطة القرار دون خلافات. إلا أننا هنا نتحدث عن منطقة القبائل في الجزائر و بالخصوص منطقة تيزي وزو المعروفة بفترات القطيعة بينها و بين مركز السلطة، فالمشاركة السياسية ضئيلة خاصة في السنوات الأخيرة. و كأنها انسحبت كلياً من النشاط السياسي، رغم محاولات مؤسسة تجمعات إصلاح الوضع و ذلك من خلال تقبل المشاريع البلدية والولائية على قرى المنطقة، مناقشة البرامج التنموية مع مسؤولي البلدية لكل قرية، و التدخل في حالة الصراعات لإيجاد حلول سلمية، و ثم أن اجتماعات تجمعات حول القضايا السياسية تكون متبوعة بتوعية لشباب المنطقة كي لا ينساق وراء الاستفزازات السياسية.

### خلاصة

تجمعات مصطلح يؤدي معنيين: المادي و هو ذلك المبنى الذي يعقد فيه اجتماعات القرية و لا تخلو قرية قبائلية من هذا الفضاء العام، الذي يتم من خلاله التواصل و التبادل بين أفراد القرية . ثم المعنى الرمزي و الذي يتمثل في مجموعة أفراد لا تتعدى السبعة يسمون بتجمعات و هم العناصر الأساسية لتشكّلها يتراهم " الأمين " ، إلا أنّ هناك عدّة تسميات ظهرت في دراسات أخرى " مجلس القرية " " الأعيان " " الجماعة " لكنها تؤدي جميعها نفس المعنى

لقد عرفنا من خلال هذا الفصل القيمة الانتربولوجية للممارسات الاجتماعية التي تقام على مستوى القرى القبائلية، وكيف ساهمت هذه الأخيرة في التماسك الاجتماعي، ثم دور القانون العرفي في ضبط المجتمع القبائلي، وإبراز معايير و قيمه. و ما هي أهم المهام التي تبنّتها تجمعات على الصعيد الاجتماعي، السياسي و الاقتصادية.

### تمهيد

من خلال هذا الفصل الأخير من الدراسة سنحاول تبيان العلاقة الموجودة بين كل من القضاء العشائري بقوانينه (غير رسمية) وأعرافه، وبين الشريعة الإسلامية كمتغير ثابت ثم مقارنة بالقانون الوضعي، بدستوره وقوانينه الرسمية. وكما أننا سنقوم بمقارنة بين جميع هذه القوانين لترتيبها و معرفة مدى توافقها. ثم هل تتماشى مع المتطلبات الاجتماعية للفرد؟ و معرفة من خلال التطرق للأطراف البحثية الثلاث، لنقاط الاختلاف و الاتفاق بين هذه القوانين و ما مدى علاقتها بالشريعة، إذا اعتبرناها مصدرا أساسيا للقوانين في الجزائر باعتبارها بلد مسلم.

كما رأينا أنه من الواجب التطرق لمرحلتين مهمتين من تاريخ الجزائر القضائي، أين شهدت الجزائر عدّة تحولات خلال هاتين المرحلتين، و كيف انعكست المرحلتين على القوانين، فقد كانت المرحلة العثمانية ثم الاستعمارية الفرنسية أهم محطات شهدت فيهما الجزائر تحولات في مجال القضاء بنوعيه الرسمي و العرفي.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

الأعراف في القضاء العشائري عبارة عن رواسب لفترة ما قبل الإسلام ، و التي تعتبر وليدة الحاجة، والظروف التي يمرّ بها كل مجتمع قبلي ، هذا ما يجعلها تختلف من مجتمع لآخر، منها ما بقي ليومنا هذا و منها من اندثرت لعدة أسباب ،سواء من لم يتقبلها المجتمع و مؤسسات الدولة الحديثة ، و منها من تتنافى و أحكام الشريعة الإسلامية و منها من اختفت نهائيا لاختفاء القضايا المتعلقة بها و يتعلّق الأمر ببعض تعاملات المقايضة.

قبل التطرق إلى القوانين التي تحكمها تجمعات في منطقة القبائل كنظام قبلي، نرى أنّه من اللزوم التطرق إلى التنظيم القضائي و المنظومة القانونية في الجزائر بشكل عام و لو كان بإيجاز و تتبع المسار التاريخي الذي شهده جهاز القضاء الجزائري بمؤسّساته وقوانينه، و العوامل الطارئة عليه و التي أدّت سواء إلى إلغاء جزء منها أو تعديله . باعتبار أنّ الوظيفة الأساسية للدولة هي تحقيق العدالة، و التي تتبين في بناء جهاز قضائي و تنظيم إدارته من أجل تسيير الحياة اليومية لسكانها و مراعاة الشؤون العامة فيها ، و هذا ما تشترك فيه مع النظام القبلي لمنطقة القبائل ، فقد اشتركا في نفس المهمة لكن هل تطابقت أعرافهم و قوانينهم؟ هل هما في حالة توازي في طريق هدف واحد ؟

### 1\_ التنظيم القضائي الجزائري و مرجعياته التاريخية :

1\_ مفهوم القضاء \_ لغة \_ القضاء في اللّغة من المصدر قضى، و يقال قضى

يقضي قضاء ، فهو قاض إذا حكم و فصل ، و قضاء الشيء يعني إحكامه و إمضاؤه

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

والفراغ منه<sup>1</sup> كما ترد لفظة قضاء في عدّة معاني لتفيد التقدير و الصنع و العمل ، لقوله تعالى " فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ"<sup>2</sup> بمعنى اعمل ما أنت عامل. كما ترد في معنى الأمر لقوله تعالى " و قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ"<sup>3</sup>.

- كما وردت لفظة قضاء بمعنى " الأداء" يقال: قضت المرأة الحائض أو النفاس الفوائت، يعني أدتها<sup>4</sup> و كما ورد في عدّة كتابات يدلّ على "الحكم" .

ب\_ اصطلاحاً: هناك اختلاف في تحديد مفهوم للقضاء و خاصة عند علماء المسلمين ذلك لما استقوه من الشريعة و المذاهب الفقهية فهناك :

\_ الحنفية : القضاء عند الحنفية هو فصل الخصومات و قطع النزاعات بين الناس على وجه خاص .

\_ المالكية : عند المالكية القضاء هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام.

\_ الحنابلة: فعرفوا القضاء على أنه النظر بين المترافعين له للإلزام و فصل الخصومات.

\_ الشافعية : الذين قالوا أنّ القضاء هو الإلزام بحكم الشرع<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، مج 15، دار صادر ، بيروت ، دت ، ص 186.

<sup>2</sup> سورة طه : الآية 72.

<sup>3</sup> سورة الاسراء : الآية 23.

<sup>4</sup> زين الدّين بن ابراهيم بن النجم المصري : البحر الرائق ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة 1997، ص 364.

<sup>5</sup> بوزياني محمد: القضاء و دوره في استقرار المجتمع المغربي الأندلسي زمن الدولة الموحدية (541/ 667 هـ / 1147\_ 1269 م) الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، العدد 20، المدينة، سنة 2018، ص 109.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

إنّ هناك تقارب واضح في التعاريف المقدّمة من طرف المذاهب الأربعة، رغم وجود فوارق شكلية في سياق المفهوم إلّا أنّها كلها تنتهي في إلزام فض الخصومات بإصدار حكم شرعي نهائي لذا قال ابن خلدون في هذا الشأن " أنّ القضاء من الوظائف الداخلية للخلافة لأنّه منصب الفصل في الخصومات حسما للتداعي و قطعاً للتنازع و ذلك وفقاً للأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب و السنّة النبوية"<sup>6</sup>

### 2\_ مسار القضاء في تاريخ الدولة الجزائرية :

#### 2\_1\_ القضاء الجزائري خلال الفترة العثمانية :

لقد مرّت مؤسسة القضاء الجزائرية على عدّة مراحل سواء في نظام الحكم أو مؤسّساته القضائية. سنعود قليلاً إلى مرجعيات القضاء في الجزائر العثمانية الذي عرفت عهداً جديداً في زمن الدّايّات كأبرز محطات الحكم و الذي امتدّ من (1671م\_1830م) و الذي مرّ بمرحلتين مهمّتين و هما :

أ\_ المرحلة الأولى : عرفت بعهد الدّايّات الأوّل و التي امتدّت من (1671م\_1710م) والذي تميّز بتأسيس نظام حكم جديد قائم على مبدأ الانتخاب من قبل الديوان ، و التي تضع السلطة في يد الدّاي بصورة مطلقة و دون تحديد المدّة الزمنية<sup>7</sup> .

<sup>6</sup> عبد الرحمان محمد ابن خلدون : المقدّمة ، مج 1، مكتبة لبنان\_بيروت ، 1992، ص 197.

<sup>7</sup> مزوزي صونيا : السلطة و المجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني (1792\_1830) مذكرة ماستر(منشورة) ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2015/2016، ص10.



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

ب\_ المرحلة الثانية : التي عرفت بعهد الدّايات الثاني و امتدّت من (1710م\_1830م) أين تميّزت هذه المرحلة بالانفصال عن الباب العالي ، و ذلك من خلال إلغاء منصب الباشا الذي هو ممثّل السلطان العثماني و ذلك بهدف تأسيس حكم محلي بعيد عن نفوذ السلطان<sup>8</sup>

لقد بدأ الدّايات يمارسون السلطة في الجزائر منذ سنة 1671م ، عندما حلت سلطة الطائفة البحرية محلّ الأغوات ، أين أطلق أول داي و هو حسين باشا لقب "دولتي"<sup>9</sup> إذ كان الديوان هو من ينتخب الدّايات ، فعندما يموت الدّاي ، أو يتنازل بإرادته عن منصبه فيخلفه شخصا تمّ تعيينه سالفًا و اتفقوا عليه، لكن إذا تمّ تحية الدّاي عن طريق انقلاب ، فيتمّ تعيين الخليفة من طرف المتمرّدين ليكون واحد من بينهم ، وهذا كثيرا ما يأتي بعد عدّة حروب<sup>10</sup> . ربّما يقترب هذا النوع من التعيينات لطريقة تعيين " أمين تاجماعث " في القرية القبائلية ، فيكون مطلق الحكم دون تحديد مدّة تولّيه منصب "الأمين" لكن مجرد وفاته أو تنازله عن منصبه لأسباب صحية أو غيرها يتم مباشرة تعيين خلفه من بين أعضاء تاجماعث المقرّبين و الذين أخذوا التجربة منه . لكن يبقى إسقاط أمين القرية عن طريق الانقلاب و التمرد مستبعدا جدا في منطقة القبائل ، فلم يحدث حسب ما قيل لنا في عدّة قرى ،لكن تبقى بعض المسائل تعيق منصب الأمين كالنزاعات العائلية ، إذ لا ترضى

<sup>8</sup>\_ مزوزي،صونيا:المرجع السابق ،ص10.

<sup>9</sup>\_ فارس ، محمد خير :تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ،ط1، دمشق ، سوريا، 1969، ص 69\_70.

خلدون،خليفة : القضاء في الجزائر في العهد العثماني (1671\_1830)، ماستر أكاديمي في التاريخ ، في التاريخ الجزائر الحديث من <sup>10</sup>\_ (1830\_1519) ، 2019\_2020م ،جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، الجزائر .

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

العائلات الكبرى ذات المال و الجاه أن تبقى تحت حكم أمين من عائلة فقيرة ، و لكن هذا يبقى جزء من الصراعات التي يعانيتها أعضاء تاجماعت .

إلا أنّ هذا النوع من إسقاط الحكم سائد في البلدان العربية بشكل كبير، و الذي يأتي نتيجة انقلاب عسكري أين اعتبره الكثير من الدّارسين و الباحثين على أنّه مؤشّر لبدء مرحلة انتقالية لمجتمع من حالته التقليدية إلى العصرية. إنّ اختلاف علماء الاجتماع و السياسة حول سلبيات و ايجابيات الانقلابات، ظاهر في الصراعات التي تعيشها الدول العربية من مؤيّد و مخالف لحركات الانفصال التي تشهدها تقريبا جميع البلدان العربية خاصة ، التي شهدت مصر منذ انقلاب عبد الناصر في 1952 و هو الحدث الشهير الراسخ في المسار التاريخي لمعضلة الانقلاب التي يعاني منها الشعوب العربية .ثم موريطانيا التي شهدت عدّة محطات انقلابية ، كما لا ننسى التجربة التركية الذي أحدث فوضى التحاليل السياسية ، وأرجع العلوم السياسية إلى نقطة البداية من خلال غموض الأحداث في قضية الانقلاب العسكري الذي عاشته تركيا لمدة معينة .

إنّ ما شهدته الدول العربية و الإسلامية من محطات انقلابية عرفت كلّها بسيئة السمعة على الصعيد الدّولي و ذلك لاصطحابها لخراب اجتماعي و تحوّل في المنظومة القيمية للمجتمع ، أين تتخبط الشعوب في تجاذبات و صراعات غير بناءة و تضعها في أنظمة جديدة غالبا ما تكون مفروضة عليها ، و التي قد تتنافى مع عاداته و معايير كمجتمع

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

عربي مسلم ، و هذا ما يمكن أن نقول عنه فقدان المسار التاريخي عند أغلب الشعوب التي عانت من الانقلابات .

" تجربة الانقلابات العربية أثبتت أن لكل انقلابي أيديولوجيا، يُراد من خلالها أن يبني إمبراطوريته الخاصة، حتى لو كان يتفق مع انقلابي آخر، زميل له في الأيديولوجيا، في دولة أخرى. الأمثلة لا تتحصر في بعثة صدام حسين وحافظ الأسد وهما أعداء، ولا في اعتبار القومية ناصرية انطلاقاً من القاهرة وليست عربية عبد الكريم قاسم انطلاقاً من بغداد. فالأمثلة كثيرة، و الحركات أصبحت كمرض معدي ينتشر بسرعة بين الشعوب، ولا يمكن حصرها في تعداد المكائد والتدخلات بين مختلف الأقطار العربية، جعلت من الانقلابي وحش لا يرى في تجربته خلاص للشعوب، بل موعد لتسليم السلطة لابنه كي يتربع على عرش الدولة المتخبطة داخلياً".<sup>11</sup> فالضحية الأولى هو الشعب الذي لا يستفيد و لا يمسه التغيير بل كتغيير الرأس للجسد نفسه.

في الحالات العادية للسلطة كانت المؤسسة القضائية في الجزائر تقوم على أسس تنظيمية رسمت حدودها الوظيفية و قسمت مراتبها حسب الأدوار التي احتاجتها الدولة لتسيير شؤونها سواء في المجال العسكري، السياسي أو الاجتماعي من تنظيم الحياة العامة. فقد كانت أهم و أبرز المؤسسات القضائية " مؤسسة الجماعة" و التي تميّزت خلال العهد العثماني بالهيبة و الاحترام ، و التي لاقت ثقة الناس ، و الرجوع لأعوانها و مرابطيها

<sup>11</sup> \_نبه العاكوم: الانقلابات العسكرية معضلة الشعوب العربية ' مدونات موقع الجزيرة ، مقال في 2018\_08\_27.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

في جميع قضاياهم ، فقد عرف رجالها بالقوة و القدرة على حمل السلاح في حالات الخصام الطارئة بين القبائل (جمع قبيلة).

لقد كانت مؤسسة الجماعة تعقد اجتماعاتها في الساحات العمومية أو في الأسواق الأسبوعية تحت رئاسة شيخ القبيلة أو أمين نقابة الأشراف، و الذي كان يستقبل شكاوي العامة من الناس و تقديمها لمجلس الجماعة، للتشاور في القضية و الحكم فيها وفق المذهب المالكي و هذا على مسامح الشهود ، فغالبا ما يتم تأجيل القضايا المستعصية لجلسات لاحقة ، كما يتم انعقاد جلسات طارئة لبعض القضايا المستعجلة خارج الجلسة العادية الأسبوعية<sup>12</sup>، لقد كانت الجماعة تحلّ جميع القضايا إلا أن تقضي في الأحكام الخطيرة كالإعدام ، الذي كان من اختصاص المجالس العلمية بعواصم الأقاليم، و التي هي محكمة الباي في الأقاليم الثلاث ، أو محكمة الداي بمدينة الجزائر عاصمة دار السلطان. إلا إذا تم حل القضية بالتصالح و دفع الدية ، أو تجاوزت الأمور مجلس الجماعة بحيث تم الانتقام من الفاعل بالتأثر.<sup>13</sup>

لكن في العهد العثماني ، احتلّت السلطة القضائية مكانة مهمّة داخل الإدارة العثمانية كونها تعتبر إحدى المقومات الأساسية ، ليصبح القضاء يحتلّ المرتبة الأولى ، فهو وظيفة سياسية يكون فيها وضع أهم من وضع المفتي ، هذا ما جعل من بعض الفقهاء يتخوفون

<sup>12</sup> عبيد مصطفى : القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني ، عصور الجريدة ، العدد 11\_12، جامعة وهران ، فبراير 2013\_2014، ص218.

<sup>13</sup> عبيد مصطفى : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني) ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، المسيلة، ص57\_58.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

من عدم التمكن من ممارستها<sup>14</sup>، فيعدّ القضاء من المهام الأساسية للهيئة الإسلامية الدينية التي كان يملكها شيخ الإسلام ، أما حالياً فالقاضي هو الذي يتّأس النظام القضائي .

عندما تأسست الدولة العثمانية كان المذهب الحنفي هو المذهب الرئيسي في كل أرجاءها، لكن عندما التحقت الجزائر بالدولة العثمانية فأضحى المذهب المالكي هو المرجع كونه يعتبر المذهب الرئيسي و الرسمي في الجزائر ، إلا أنّ هذا لم يمنع من انتشار المذهب الحنفي مع دخول العثمانيين. فيمكننا القول أن القضاء في الجزائر آنذاك تميّز بالازدواجية (المذهبية) ، إذ منذ ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية أصبح المذهب الحنفي المذهب الرسمي باعتباره مذهب الطبقة الحاكمة. فقد تبين كذلك أنّ نسبة هامّة من سكّان مدينة الجزائر كانت على المذهب الحنفي لتميّزه بمرونته في التعامل مع القضايا و خاصة قضايا الوقف<sup>15</sup>.

تعتبر المجالس العلمية من بين أهم مؤسّسات القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني بعد مؤسّسة الجماعة، فقد سمّي أيضا بالمجلس الشريف و مجلس الشرع العزيز<sup>16</sup> و الذي بدوره يضم القاضي المالكي، القاضي الحنفي، و المفتين المالكي و الحنفي أيضا<sup>17</sup> ، فيجتمع المجلس العلمي كل يوم خميس في الجامع الكبير في العاصمة ، فينظرون في القضايا و الطعون المقدّمة من طرف المتخاصمون المسلمون ، بينما يتمّ الاجتماع في بهو الجامع في القضايا التي تخص غير المسلمين ، أين تكمن مهمّة المجلس العلمي في

<sup>14</sup> خلدون خليصة: المرجع السابق، ص 39.

<sup>15</sup> أمّنة بوشارب، و مي فرج الله : القضاء في الدولة العثمانية ، الجزائر أنموذجاً (1671\_1837) رسالة ماجستير ،ن جامعة الجزائر، الجزائر، سنة 2005، ص 72.

<sup>16</sup> عبيد مصطفى : القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 220.

<sup>17</sup> عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ ، ط 13، شركة دار الأمة ، ص 419.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

مراجعة أحكام القضاء ، و النظر في النزاعات الكبرى ، أين يحضر الحاكم غالباً اجتماعاته<sup>18</sup> . كما عرفت مرحلة العهد العثماني في الجزائر بعدة مؤسسات أخرى قضائية وتنفيذية ، و محكمة شرعية و مجالس الدّاي و الباشا لكلّ مهامه و صلاحياته.

إنّ هناك من يتمّ تعيينه مباشرة من طرف الدّاي مثل " القاضي الشرعي " فيوضع تحت تصرّفه كلّ من باش عدل ، العدول ، الكتّاب ، المحضرون و الشوّاش ، و ذلك لتأمين جلسات المحاكمة و التي كانت تنعقد آنذاك في المسجد، أو الساحات العمومية أو الأسواق ، أين كانت جلسات القاضي الحنفي تعقد في جامع السيّدة فيما كانت جلسات القاضي المالكي تعقد في الجامع الأعظم<sup>19</sup> . إنّ هناك ترابط و طيد بين المحلة العثمانية في نمط تسيير جلسات الحكم و مؤسّسة تاجماعث في منطقة القبائل فكلاهما يحرصان على مكان و زمان الجلسات و الحرص على حضور الأعضاء الأساسيين الذين يضمنون السير الجيّد للاجتماع أو جلسات الحكم ، فلا يمكن لأمين تاجماعث أن يسيّر لوحده اجتماع القرية دون طامنه أو الكاتب ، أو إمام القرية الذي يفتح الاجتماع و يشرف على قراراته و الذي يحرص أن لا تخرج عن الشرع، فهو المسؤول عن كل القضايا المتعلقة بالشريعة و الدّين.

كما تشترك مؤسّسة القضاء في الفترة العثمانية مع مؤسّسة تاجماعث حالياً في أماكن تنظيم الاجتماعات و الجلسات و مدّتها، فقد أتى في كليهما على أنّ يوم نهاية الأسبوع هو

<sup>18</sup> خلدون خليصة: المرجع السابق ، ص42.

<sup>19</sup> مصطفى عبيد : المرجع السابق ، ص219.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

اليوم المستحسن أن تقام فيه الجلسات، كما تمّ تحديد الأماكن الواجب احتضان هذه الاجتماعات، كالمسجد، الساحات العمومية و التي تعتبر في منطقة القبائل " مقر تاجماعت" في وسط القرية و المكان العام المفتوح، و الأسواق التي سابقا كان يتم فيها عقد بعض جلسات البيع و الشراء و الحكم بين المتخاصمين، إلا أنه حاليا لا تتعقد الاجتماعات في الأسواق لعدّة أسباب منها توسيع بقعة السوق و كثرة زوّاره من الدّخلاء لقرى المجاورة لذلك لا يتم مناقشة القضايا الحساسة أمام الغرباء للحفاظ على أسرار القرية، كما أنّ السوق في القديم يكون قريب من القرية، و يسوده نوع من النظام، لكن حاليا نُقل موقع السوق لأماكن بعيدة عن القرية لحفظ القرية من سوء الغرباء الذين يتردّدون إليه.

فقد كانت منطقة القبائل في العهد العثماني تملك قضاء يقوم على أساس القرارات التي يصدرها العلماء و المرابطين المحليين في جميع الحالات بالإضافة إلى المناطق الجبلية الوعرة مثل جبال الأوراس و الهضاب الصحراوية البعيدة عن مراكز العمران ، كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي بحكم أنّها لا تكاد تصل إليها السلطة المركزية ، هذا ما أدّى إلى ازدياد سلطة المرابطين و فرض سلطتها و التي دامت بقوة طيلة الوجود العثماني. لقد تمّ تعيين أول المرابطين في منطقة القبائل و ذلك في كل من بجاية سنة 1682 و جيجل 1755.<sup>20</sup> فقد أتى نص يبيّن كيفية تعيين المرابطين في تلك الحقبة فيما يلي : "أمّا بعد فإنّ حامله المعظم الفقيه الأجل السيّد المولى الأعلى البركة السيّد عبد القادر ابن الولي

<sup>20</sup> \_خلدون خليصة : المرجع السابق، ص 35.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

عبد الناصح الشيخ سيدي محمد إيتوان نفعنا الله ببركاته و أفاض عليه و أنعمنا عليه بكافة عرش برياشة و الذي هو على ثلاث فرق ، فرقة يقال لها أولاد عبد الله و الثانية تسمى بيري، والثالثة التي تجمع الجميع يقال لها برياشة،ي كون الجميع فيها زاوية من جميع زواياه ويكونوا كلهم حسبا عليه، وعلى أعقاب أعقابه ينتفع بمقرهم و زكائهم له ،ورفعنا عليه يد باي الآراء ، هذه الناحية الشرقية و عمالهم عن الإذن المعظم الأرفع مولانا الحاج محمد باشا أيده الله بمته، أمين"21 .

إنّ التعيينات التي أتى بها النظام العثماني في تلك المرحلة التاريخية، لا وجود لها في الوقت الحالي على مستوى منطقة القبائل خاصة، فلا يتدخل أحد من السلطة المركزية في هذا الشأن مهما كان منصبه و لو كان على رأس الدولة ، فالأمناء و المرابطين الذين يحكمون القرى القبائلية يتمّ تعيينهم بطريقة تقليدية ،يعود الصوت الأوّل و الوحيد لأهل القرية أنفسهم الذين يحدّدون من يحكمهم.

رغم كثرة الجهات والمؤسّسات المعنية بالقضاء في الجزائر العثمانية إلا أنّ هناك نظامان إسلاميان يتصرّفان في الأحكام القضائية، فأحدهما قاعدته المذهب الحنفي خاص بالأتراك و الكراغلة و الثاني يستمدّ أساسياته من المذهب المالكي و الخاص ببقية السكان المسلمين. فلكل نظام قاض خاص به الذي يتولّى كل القضايا باستثناء تلك التي تتعلّق

خلدون خليصة : المرجع السابق ، عن : الصادق مزهود في تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري الى حرب التحرير الوطني ،ط2،دار  
21 بهاء الدين ، قسطينة 2012،ص 217\_218.



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

بالأوجاق فتستأنف قراراته إلى الآغا. أمّا المستوى الثاني فقد كان يشغله المفتون (المفتي) و الذي يتم تعيينهم مباشرة من طرف الدّاي بناء على صدقهم و علمهم، و هم أدنى السلم في المؤسسة الدينية<sup>22</sup>، فكثيرا ما يكونون مرجع لاستفسارات النّاس حول القضايا المتعلّقة بالدين أو الإدلاء بأرائهم في المسائل المستمدّة من القرآن. فقد عرف القضاء العثماني في الجزائر يخضع لهما أثناء المحاكمة و هما :

أ\_قاعدة الاختصاص الشخصي و معناها أنّ كل محكمة تختص بطائفة أو فئة معينة من الرعايا و تطبّق عليهم قوانين تتماشى مع شريعتهم ، ممّ أفرز محاكم خاصة بقضايا المسلمين من المذهب الحنفي و أخرى خاصة بالمسلمين من المذهب المالكي و ثالثة هي محاكم القنصليات الأجنبية خاصة بالأسرى المسيحيين أو رعايا الدول الأجنبية المقيمين على أرض الأيالة، وهناك رابع محكمة خاصة باليهود<sup>23</sup> إنّ ما يمكن استنتاجه حول هذا التقسيم في المحاكم أنّه ساد فقط في المرحلة العثمانية في الجزائر، إذ أنّ القضاء حاليا بأجهزته و قوانينه المتطوّرة لم تفرّق بين الأفراد في المحاكم بسبب انتماءاتهم الدينية أو العرقية فكّلهم يحاكمون في نفس المحاكم على اختلاف قضاياهم فقط، باستثناء محاكم عسكرية تتعلّق بقضايا أمنية محسوبة على الجيش أو عناصر من أسلاكه ، و هذا ما ساد أيضا عند الجيش الإنكشاري في المرحلة العثمانية " أمّا في شأن الجيش الإنكشاري فقد

<sup>22</sup> خلدون خليصة :المرجع السابق ،ص 41.

<sup>23</sup> خلدون خليصة : المرجع السابق ، ص42.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

كانت قضاياهم تجري في محاكم رئيسية لأنّ العسكريين لا يحاكمون أبداً بواسطة القوانين المدنية و لا أمام عامة الشعب" <sup>24</sup>.

بـقاعدة الاختصاص المادي ومفادها أنّ المحاكم الإسلامية تنفّرع إلى فرعين حسب الدعوى، فالقضايا المدنية كالبيع والشراء، الإيجار، الرهن، الزواج، الطلاق والمواريث كانت تتولّاها المحكمة الحنفية أو المالكية، أمّا القضايا غير المدنية كالجنائية والسياسية تحال مباشرة إلى الدّاي أو الباي، و القضايا المتعلقة بالأوجاق فينظر فيها الآغا نفسه <sup>25</sup>. إنّ ما يمكن قوله في هذا الشأن من خلال ما رأيناه في جميع قرى منطقة القبائل خلال دراستنا الميدانية أنّ مجلس تاجماعث هو الوحيد من يحل قضايا القرية فلا توجد هيئة أخرى تهتم بتسيير مساعل القرية و انشغالات الأفراد، فمهما كانت القضية فتاجماعث من تقوم بالحكم فيها، و هي من تقرّر العقوبة و الغرامة المناسبة و ذلك حسب المخالفة أو الجنحة، فقد كانت تاجماعث قديماً تقرّر حتى في قضايا الثأر و القتل و خيانة الوطن، لكن مع مرور الوقت و توسّع مدى القرى، و امتدادها لتصل للسلطة المركزية و أجهزتها أصبح الناس يحتكمون في القضايا الكبرى للعدالة كجهة رسمية، و ذلك لتدخّل العنصر الرسمي من قوّات أمنية في بعض الأماكن و التي لا تترك المجال لتاجماعث لتأدية وظيفتها في تنظيم الحياة الاجتماعية للناس في القرى(بشكل مطلق)، لأنّها مهما أصدر قرار بحق الجاني أو مرتكب

<sup>24</sup> ناصر الدين سعيدوني، و الشيخ المهدي البوعيدلي: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1984، ص23.

<sup>25</sup> خلدون خليصة: المرجع السابق: ص43.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

الخطأ، فقد لا يكون شاف بالنسبة للضحية فلا تحتوي القرية على سجن، ولا يمكن أن تحكم بالقتل أو قطع الأعضاء كعقوبة لذلك هناك من يلتجئ للعدالة الرسمية لأخذ حقه و هنا يقول أحد الأمناء السابقين للقرية " في السابق عندما كانت القرية صغيرة ، كانت تجمعات تحتوي جميع قضاياها مهما كانت ، فقد كان الناس يتقبلون القرارات و العقوبات مهما كانت قاسية فكأنما كانت تلك العقوبة تغسلهم من الخطأ و تردّ لهم اعتبارهم و حتى الذي تمارس عليه العقوبة كان يعتبرها وسيلة للخلاص من الخطأ و اتهام الناس له" مواصلا كلامه " حاليا في المسائل الكبرى كالقتل خاصة تتدخل الدولة مباشرة في فك مثل هذه القضايا...فكلهم يحاكمون أمام تجمعات حسب القوانين المنصوص عليها و الواضحة و التي لا تخرج عن الشريعة و العادة " (البشير 73 سنة أمين قرية سابقا). فهنا يؤكد لنا أن القوانين التي تحكم تجمعات مهم بلغت درجة من القسوة فلا يمكنها أن تخرج عن تعاليم ديننا الإسلامي و لا يمكن أن تكون خارج نطاق العادة للمنطقة .

### 2\_2\_ القضاء الجزائري فترة الاستعمار الفرنسي :

لقد حاولت السلطات الفرنسية منذ بداية احتلالها للجزائر، تطبيق سياسة الإدماج في المجال القضائي بالجزائر، من خلال الإجراءات التعسفية القمعية أين سعت بالدرجة الأولى إلى تثبيت التواجد الفرنسي بالجزائر، و هذا بإدماج المؤسسات القضائية ضمن المنظومة الفرنسية. لقد سطرت فرنسا برنامجا للإطاحة بالقضاء الجزائري الذي بني على تعاليم

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

الإسلام، محاولين من خلال هذا البرنامج إلغاء العمل بالشريعة و طمس الهوية الإسلامية في قوانين الحكم للبلاد.

عُرفت المنظومة القضائية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بأنها غير واضحة المعالم و مبنية على أسس هشّة، و ذلك بفعل التغيرات الطارئة عليها بما تقتضيه مصالح الاستعمار الفرنسي في كل مرة. إذ تعد الأوامر الملكية الصادرة يوم 28 فيفري 1841، و 26 سبتمبر 1842 هي التاريخ الحقيقي لتأسيس جهاز العدالة في الجزائر، و التي زودت في فترة زمنية قصيرة بكل المؤسسات القضائية الفرنسية تقريبا، منها محاكم بالدرجة الأولى (الابتدائية)، و أخرى جماعية و محكمة الاستئناف الملكية... و كان لتلك المحاكم صلاحيات البث في القضايا التي تهم جميع الفئات السكانية في الجزائر، و النظر في جميع الجرائم والجنح والنطق فيها بأحكام القانون الجزائري الفرنسي<sup>26</sup>. لقد قوبلت هذا الجهاز بكل مؤسسته بالرفض من طرف الجزائريين، لأنه يتنافى و مبادئ الإسلام التي تعودوا عليها، فقد ألغت القوانين الفرنسية الجديدة أغلب النصوص المعتمدة في التحكيم الجزائري العربي الإسلامي، بالإضافة إلى التغيير الذي لحق حتى بإجراءات وطبيعة المحاكمة و حتى طبيعة العقوبات.

لقد ألغت المنظومة القانونية الفرنسية كل القوانين والإجراءات التي لا تتماشى مع أعرافها القانونية و لغتها المعتمّدة. و قد كان من أبرز التغييرات إلغاء الحق في القصاص،

<sup>26</sup> أجيرون، شارل روبيير: الجزائريون المسلمون و فرنسا، ج1، تر حاج مسعود، الجزائر، دار الرائد للكتاب، سنة 2007، ص 378.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

كما تغيّرت طريقة الإدلاء بالشهادة كما معروف في الشريعة أن الشاهد لا يفرض عليه أداء القسم، و لا يقبل إلا بالشهادة المباشرة و الشفوية من طرف الشخص المسلم. و لا ينطق الحكم غيابيا، إلا بوجود المعني. و لا يفرض على العدالة متابعة المنحرف نزولا عند طلب الجماعة، إلا إذا تعلق الأمر بقضايا المساس بالدين<sup>27</sup>.

بعد هذه التطوّرات التي تميزت بها السياسة القضائية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد النفوذ التعسفية العسكرية التي تصادمت مع مقاومات و ثورات في مختلف أقاليم الجزائر، ممّا دفع بالعسكر في عهد الماريشال " راندون " إلى أن يفوضوا قرار 01 أكتوبر 1854، وهو القرار الذي يدعو إلى إعادة إقامة عدالة خاصة بالمسلمين من جديد، فأنشأ لذلك نظاما جديدة، شكلت مرجعية لحكومة إسلامية عصرية<sup>28</sup>، إن هذه القرارات المتتالية أنت للضغط على المنظومة القضائية الجزائرية و التضييق على صلاحياتها، ثم إضعاف مبدأ قوانينها الإسلامية، وذلك من خلال إلغاء مجالس القضاء الإسلامية، و إعطاء صلاحياتها للمحاكم الفرنسية. ثم تطوّرت الأحداث عندما رفض المستوطنون تواجد المحاكم العربية المسلمة، و ذلك بعد الضغط المستمر على الحاكم العام المدني، الذي قام بتقليص عدد المحاكم و إعلان الاستغناء عن معظمها، و بقي العدد القليل منها و التي أسند إليها القضايا الثانوية فقط، بينما القضايا الكبرى يخضع أصحابها للقانون الفرنسي.

<sup>27</sup> بن عبد الله سعيد: العدالة في الجزائر من الأصول إلى اليوم\_ العدالة قبل الاحتلال و أثناءه و تطورها، ج1، مؤسسة نسو للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2011، ص 188.

<sup>28</sup> ولد خليفة، محمد العربي: المحنة الكبرى، مدخل لدراسة وصفية عن معاناة شعبنا ومقاومته البطولية ، الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر، 1999، ص 52.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

حيث أسست السلطات الفرنسية دوائر قضائية محددة، لكل منها محكمة تتألف على الأقل من قاض و عدلين تتمتع بعض هذه الدوائر القضائية بصلاحيات مثل التي لمحكمة الاستئناف أو للمجلس المتكون من 4 مفتيين (قضاة و علماء) وعدلين، و كانت أحكام الفئة الأولى من المحاكم النهائية إذا لا يتجاوز الحكم مبلغ 200 فرنك، و تنطبق محاكم الفئة الثانية و عددها 21 محكمة بأحكام نهائية غير قابلة للاستئناف<sup>29</sup>. فكل هذه الإجراءات عبارة عن استعداد لسياسة الإدماج القضائي للجزائريين و ذلك من خلال إصدار السلطات الفرنسية لعدة قرارات، و ذلك مباشرة بعد انهيار الحكم التركي و استلام الحكم الفرنسي بعد الغزو الذي أتى مع توقيع الداوي حسين لمعاهدة الاستسلام و التي جاء فيها احترام حرية العقيدة و الشرائع الدينية للجزائريين و الفرنسيين و التي تضمنتها اتفاقية 5 جويلية 1830.

نأتي للقول هنا أن السلطات الفرنسية بعد كل الإجراءات و القرارات التي أصدرتها من أجل الإطاحة بالنظام القانوني الجزائري، و التضييق على مؤسّساته في مدينة الجزائر، فكيف تعاملت السلطات الفرنسية مع الأهالي و خاصة القرى المجاورة لمدينة الجزائر ونخص بالذكر منطقة القبائل؟

لم تُفرض السيطرة الاستعمارية على منطقة القبائل إلاّ بعد سنوات طويلة من تواجدها في الجزائر، و هذا راجع لعاملين أساسيين، و هما التضاريس الوعرة التي تميّزت بها المنطقة ممّا يصعب الوصول إلى أبعد نقاطها، ثم نظامها الاجتماعي الخاص الذي حاول

<sup>29</sup> سعد عبد العزيز: أجهزة و مؤسسات النظام القضائي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 25.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

طول تلك المدة التحكم في زمام أمور المنطقة و قد كانت مؤسسة تجمعات النظام الوحيد الذي يسيّر الحياة الاجتماعية ، أين اشتغلت تجمعات على تعبئة السكان والتحضير للمقاومة ودعمها، و تقديم يد العون لقادة الثورات الشعبية و التي كان أبرزها بويغلة و لالا فاطمة نسومر .

لقد كانت منطقة القبائل على دراية بالخطر الذي يحدّق بالبلاد، بعد الرسالة الخاصة التي وجّهها الدّاي حسين إلى بلاد القبائل، وهذا لقربهم الجغرافي من مدينة الجزائر، وكذا اشتهارهم بالشجاعة و أنّهم مقاتلون أشداء و قد ورد في رسالته ما يلي: "السلام على كل القبائل و على أعيانها و مرابطيها، اعلموا أن الفرنسيين عزموا على الهجوم و الاستيلاء على عاصمة الجزائر، أنتم معروفون بشجاعتكم و إخلاصكم للإسلام، و الحكومة التركية تدعوكم للحرب المقدّسة من أجل استرجاع الصلاحيات المأخوذة ...مثل أجدادكم الذين جاهدوا في الحرب المقدّسة الأولى.... و الحرب المقدّسة هي الواجب الذي يفرضه الدين عندما يكون الكافر فوق أرضنا.."<sup>30</sup>، عقب هذه الرسالة استجابت منطقة القبائل للنداء وذلك بانعقاد اجتماعات لدراسة الوضع و إرسال نداءات لوقف النزاعات بين الأعراس المتخاصمة، مطالبين منهم إحلال السلم في أرجاء المنطقة من أجل التصدي المشترك للعدو .

<sup>30</sup> Joseph Nil Roben, *note historique sur la grande kabylie de 1830 a 1883*, présentation de Alain Mahé, ED Bouchene, France , 2007, Pp 27\_28.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

لقد اتخذت تجمعات كل التدابير اللازمة بدايةً من الإعلان عن الخطر في كافة القرى القبائلية و نقل الخبر عن طريق الأسواق الأسبوعية التي تجمع عدّة أعراش، فقد أكد لي كبار المنطقة أنّ تجمعات كانت الجهة الإعلامية للأخبار المنطقة، و قد كان "البرّاح" (تطرّفنا إليه سابقاً) له دور مهم في نشر كل مخرجات الاجتماعات التي تقام على مستوى مؤسسة تجمعات.

لقد وزعت تجمعات أدوار دفاعية على مستوى القرية استعداد لأي هجوم، إذ فرضت على كل فرد من القرية أن يقدّم سلاح و ذخيرة و مئونة، و من يعجز على توفيره كانت تجمعات تفرض على من لا يملك سلاحاً مبلغاً من المال، و حتى غير القادرين على حمل السلاح أو من لهم عجز جسدي، فيكتفي بتقديم مساعدة مادية بغية الإعداد لهذه الحرب<sup>31</sup>...، و بعد هذه التحضيرات، نظمت أعراش القبائل أول اجتماع في أماكن مختلفة وهي :

\_ آل عمراوة الفواقة (الأعلى) ، و أعراش سيباو سيباو الأعلى يلتقون عند الشيخ أومادو.

\_ آل عمراوة التحاتة (السفلى) و اعراش سيباو الأسفل و إفليسن أومليل عند أعزيب نزعوم.

\_ أعراش جرجرة عند بوغني، أما الجهة الغربية عند جماعة يسر.<sup>32</sup>

<sup>31</sup> \_ibid, 28

<sup>32</sup> \_ibid ,29.



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

بعد سنة 1957، أخضع الاستعمار المنطقة القبائلية، بعد عدّة مواجهات، إلا أن تجمعات بقيت تتصدّى للعدو بتنظيمها للمقاومة، أين بقيت عائقا في وجه الامتداد الفرنسي، لكن بعد التوغل الكامل في منطقة القبائل ونجاح الحملة العسكرية وعد الجنرال " راندون" سكان المنطقة بالمحافظة على مؤسسة تجمعات و العدالة العرفية، لما وجدا من أهمية في هذه المؤسسة من تسيير جيد للمنطقة<sup>33</sup>. إلا أن الدراسات الفرنسية اعتبرت تجمعات الوحدة الأساسية في اتخاذ القرارات الحاسمة، و هي التي تحفز سكان المنطقة على مواجهة العدو ومشروعه الاستيطاني، و لهذا بدأ تصنيفها على أنها خطر على السلطات الفرنسية التي عزمت على إدخال تغييرات على تنظيمها<sup>34</sup> ففي بداية 1958، تم إرساء نظام إداري تحت مسؤولية الجنرال راندون، و قد كان وضع تجمعات تحت الرقابة الفرنسية من أهم التغييرات التي حصلت في منطقة القبائل بعد الاستيطان العسكري، باعتبارها السلطة الحاكمة الوحيدة المواجهة لها و صرح هانوتو" أنه على الرغم من أن سلطتها الإدارية بقيت على حالها مبدئيا إلا أنها أصبحت واقعة تحت رقابة إدارتنا"<sup>35</sup>. لقد بدأت سياسة راندون في منطقة القبائل من خلال إعادة النظر في مؤسسة تجمعات كبداية لمشاريعه في المنطقة، و ذلك من خلال مرسوم 20 ماي 1958، الذي نص على إعادة تأسيس تجمعات بشكل جديد، وتعيين ما يسمى بـ " القايد" مسئول تجمعات من طرف الجنرال العسكري، الذي قرر على أن تكون

<sup>33</sup> شارل روبيير أجرون: الجزائريون المسلمون و فرنسا \_1871\_1919\_ تر محمد حاج مسعود، أبكلي، ج1، دار رائد للكتاب، الجزائر 2007، ص 512.

<sup>34</sup> موهوب مبروك: المرجع السابق، ص 110.

<sup>35</sup> هانوتو و لوتورنو: المصدر السابق، ج2، ص 135.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

عهدة القايد " 3 سنوات، ويدير أربع اجتماعات سنويا، أين أطلق عليها تسمية " تاجماعت ن ثناش" و ذلك بسبب تحديد السلطات الفرنسية عدد أعضائها بـ 12 عضو، خلافا على تاجماعت القديمة، حتى أطلق عليها السكان تسمية تاجماعت الاستعمارية<sup>36</sup>. إن ترك السلطات الفرنسية لتاجماعت لأداء مهامها، لم يكن بدون سبب، بل اعتبرتها الرابط الوحيد بين الأهالي و السلطة الإدارية الفرنسية، و جعلها وسيط في القرى لنقل أخبار السكان.

أدى تغيير صلاحيات تاجماعت إلى تغيير دور أعضائها، فقد أصبح الأمين مجرد موظف لدى السلطات الفرنسية بمساعدة الخوجة، فقد اعتبروه مجرد أداة لتمرير أوامره<sup>37</sup>. ثم أن التغييرات طالت أعضاء تاجماعت و طريقة انتخابهم و مدة حكمهم، حتى أنها أعطت الحق لنفسها في طعن نتائج انتخاب الأمناء، إذ يطالب الحاكم العام بإعادتها إذ كان المنتخب ليس في صالحهم. كما انّ تاجماعت مطالبة باطلاع السلطات العسكرية بكل مداولاتها ولا تصبح سارية المفعول إلا بموافقتها و ذلك لتفادي أي تحالفات تتم على مستوى الأعراش. فقد حرصت السلطات العسكرية على متابعة و مراقبة مهام كل أعضاء مجالس القرى، و منهم من تم تجريدهم و إبعادهم عن المؤسسة العشائرية.

بعد سنة 1958، بدأت الحكومة الفرنسية في تغيير هيكله مؤسسة تاجماعت، فبعد أن كانت على مستوى القرية فقط، أصبحت على مستوى القبيلة (العرش) في شكل مجلس غير

<sup>36</sup> بوجمعة رضوان: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، محاولة تحليل انثروبولوجي\_أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2006\_2007، ص 171\_172.

<sup>37</sup> شارل روبيير أجيرون: المرجع السابق، ص 512.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

دائم من أمناء القرى، و يتم اختيار أمين الأمناء رئيسا لها عن طريق انتخابه، و تتكوّن على مستوى القبائل الستة المشكلة للدائرة الجديدة فورناسيونال، و هذه الإجراءات كلها تحت رقابة السلطات الفرنسية. إلا أن جمعية تعيين أمين الأمناء في وقتنا الحالي لا وجود لها، إلا أن الأعراس لازالت تجتمع في القضايا الكبرى التي تستدعي حكمة و قرارات صارمة، أو في حالة الخطر الخارجي المشترك.

لقد عرفت تاجماعت تراجع كبيرة في حريتها لممارسة دورها الاجتماعي و السياسي في تنظيم حياة القرى، و فقدت عدّة صلاحياتها بفعل الضغط المستمر من طرف السلطات الفرنسية، أين تم سحب صلاحياتها في النظر في القضايا الكبرى و التي تباها القضاء الفرنسي، لتقتصر جل قضاياها في تسيير شؤونها الاجتماعية و المخالفات على مستوى القرية. فلهذا بقيت بعض القرى ليومنا هذا في عدّة مناطق بدون مؤسسة تاجماعت، و أغلبها في مناطق من البويرة و بجاية و بومرداس، بفعل قربها للعاصمة، مما سهّل على الاستعمار الفرنسي السيطرة عليها و الضغط على مؤسساتها، ثم تحللت مع مرور الزمن، رغم إعادة إحياء بعض القرى لنظامها العشائري بعد الاستقلال، إلا أن هذا كان صعبا بعد قطيعة دامت سنوات، دون أن ننسى الوضع السياسي غداة الاستقلال الذي حاول القضاء على كل البقايا الاستعمارية من مؤسسات خارج على نطاق الدولة الرسمية.

## 2\_3\_ إعادة بناء القضاء الجزائري بعد الفترة الاستعمارية:

إذا انطلقنا من مقولة "لينين" أن الاستقلال يرفق أحيانا أو يكون متبوعا برد فعل عنيف نسبيا، نأتي للقول أنه نفس الأمر حدث في الجزائر بعد الاستقلال مباشرة، أين وجدت الجزائر نفسها أمام جهاز قضائي مشوش ونسبي القرارات وذلك راجع للتبعية القانونية الفرنسية من جهة و أحادية الحزب من جهة أخرى، فاستلزم مراجعة بعض القوانين السارية المفعول والضرورية منها فقط، ومسايرتها والقيم الوطنية ، الدستور والميثاق الوطني<sup>38</sup>

إنّ الدور الأساسي الذي أعطي للعدالة في الميثاق الوطني و الدستور يفرض إعداد برنامج جديد، يأخذ بعين الاعتبار ضروريات تطبيق هذه النصوص التي تمكن من تحقيق الأهداف المسطرة. قبل كل شيء، لا بدّ من تسجيل ملاحظة أولية: تنظيم و سير جهاز العدالة خلال المرحلة الأولى التي تلت الاستقلال، لم يدمج في النظام الخاص المحدد للأهداف والمبادئ. فقوانين الإجراءات المدنية و الجزائية و المنظمة للمعاملات، لم تتعلق إلا باحترام الإجراءات التقنية إذ بقيت الهيئة كلها، إما مسيرة بواسطة النصوص الموروثة عن العهد الاستعماري، أو بدون تنظيم. كان من اللازم مواجهة الأمور المستعجلة، وعليه فإن وزارة العدل بذلت مجهودا لسدّ الفراغ القانوني بإصدار تعليمات وجهت لقطاعات متعددة ذات الطابع العمومي و ذلك بغية سير العدالة تماشيا مع مختلف التوجيهات السياسية والمبادئ

<sup>38</sup> ميثاق الجزائر المنبثق عن انعقاد مؤتمر جبهة التحرير الوطني.

ُتصريح وزير العدل إسماعيل محمد ، مجلة الجزائر ، رقم 1 ص 295.  
ُ دستور 1963: أول دستور في عهد الدولة الجزائرية المستقلة الذي سوف يلغى إثر انقلاب 19 جوان 1965.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

الأساسية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي وهذا انسجاما مع ما حدّد من طرف السلطات المسماة عمومية.<sup>39</sup>

تعتبر مرحلة 1962\_1996 كأطول مرحلة شهدتها الجزائر في مجال القضاء والإصلاحات. فقد كانت أول ثلاث سنوات بعد الاستقلال مباشرة بداية للإصلاح القضائي، فقد قضى القانون رقم 62\_153، المؤرخ في 31\_12\_1962، باستمرار التشريع الفرنسي إلا ما يتنافى منها مع السيادة الوطنية، و باستعادة الجزائر استقلالها، فقد استردت سلطتها في ممارسة العدالة و التي أصبحت أحكامها بموجب الأمر المؤرخ في 10/07/1962، المتعلق بالصيغة التنفيذية و التي تصدر باسم الشعب الجزائري، والتخلي عن الهيئات القضائية الفرنسية كمجلس الدولة و محكمة النقض للمنازعات، فلم يعد مجلس الدولة الفرنسي جهة استئناف للقرارات الصادرة عن المحاكم الإدارية الجزائرية، فلم يعد بإمكانه النظر في دعاوي الإلغاء ضد القرارات التنظيمية الصادرة عن السلطات الجزائرية، و هذا ما دعى إلى ضرورة إحداث هيئة قضائية إدارية عليا في الجزائر<sup>40</sup>. كما عرفت الفترة الانتقالية بين 62\_65، بالازدواجية القضائية و القانونية، حيث أبقىت الجزائر المستقلة على نظام المحاكم الإدارية الثلاثة والتي كانت في كل من وهران، العاصمة وقسنطينة بكل تفاصيل النظام القانوني الموروث عن فرنسا و ذلك تحت إشراف خبراء فرنسيين متخصصين في

<sup>39</sup> بن عبد الله، سعيد: العدالة في الجزائر من الأصول إلى اليوم، مؤسسة نيسو للنشر و التوزيع، الجزائر، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، س2011

ص191

محمد، صخري: التطور التاريخي للقضاء الإداري في الجزائر، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الإستراتيجية ، الجزائر ، 2018، ص<sup>40</sup> 01 .

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

النظام القضاء الإداري، فقد كانت مبررات الاحتفاظ بالمحاكم الإدارية، خصوصية المنازعات الإدارية، و خطورة إحالتها على القضاء العادي، كما أن إعادة إنشاء محاكم من جديد كان أمرا صعبا لما يتطلبه من خبرة في الاختصاص<sup>41</sup>، فقد عرفت هذه المرحلة القصيرة بتبعيتها القضائية لفرنسا حيث بقيت المحاكم تحت سيطرة القانون الفرنسي، فالجزائر لم تسحب سلطة قضاءها منها إلا بعد 1965، لأن الأمر كان معقدا و القضايا كانت في منتصف الاحتكام. لقد كانت مرحلة نهاية الستينات حتى بداية التسعينات، هامة في تاريخ القضاء الجزائري، فقد عملت السلطات على مبدأ التنظيم القضائي الموحد، فقد كان الأمر الصادر تحت رقم 65\_278، المؤرخ في 16/11/1965، أين تم إلغاء المحاكم الإدارية و نقل اختصاصها إلى المجالس القضائية. ثم مرت الجزائر بعدة مراسيم و قوانين مفادها تعديل وضعية القضاء و إعادة بناءه، أين جاء ميثاق الجزائر ليعلن رسميا عن إصلاحات جذرية وعميقة للتخلص من رواسب التشريع الموروث، و ذلك بفتح غرف إدارية و محاكم جهوية على المستوى الوطني، بهدف تقريب العدالة من المتقاضين، و بالنظر للمساوى المترتبة على تطبيق نظام الغرف الجهوية الثلاث (الجزائر، قسنطينة وهران)، ثم رفع عدد الغرف الإدارية من ثلاث إلى عشرين غرفة<sup>42</sup>.

<sup>41</sup> محمد، صخري : المرجع السابق، ص04.

<sup>42</sup> بوضياف عمار: القضاء الإداري في الجزائر ، ط2، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2008، ص73\_74.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

إن العامل التاريخي لاعتناق الدولة الجزائرية المستقلة لتنظيم جهاز قضائي موحد في الوضعية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية المعقدة غداة الاستقلال، في محاولتها في استرجاع السيادة الوطنية، فضلا عن ظاهرة شلل النظام الإداري والقضائي و الثقافي بسبب الهروب الجماعي لأغلب إطارات و رجال الأعمال الأجانب لاسيما الفرنسيين، و هذا ما سبب توقف معظم المؤسسات الإدارية و القضائية، مما فرض على الجزائر إيجاد حلول سريعة و تطبيق أبسط النظم من أجل الخروج من الفوضى القضائية والإدارية<sup>43</sup>. فقد نجحت الجزائر في تأسيس مؤسسات قضائية على المستوى الوطني وأجهزة تعمل على تجسيد فكرة القضاء الموحد تحت غطاء الحزب الواحد و مبدأ وحدة السلطة.

في هذا الوقت كان المجتمع القبائلي لازال قائما على التركيبة القبلية، التي تضرر جزء منها، لكن بقي النظام العشائري تحكمه تجمعات، التي حاولت بدورها إخراج منطقة القبائل من الأزمة التي لحقت بالجزائر غداة الاستقلال.

### 3\_4\_ التشريع في منطقة القبائل:

1\_ مفهوم التشريع: لقد تطرق العديد من الباحثين لمفهوم التشريع و بينوا عدّة استعمالات للمصطلح فنجد من الناحية القانونية مفهوم على أنه " نص مكتوب صادر عن السلطة التشريعية التي تمثل سيادة الشعب غير قابل للطعن أمام الهيئات القضائية، و إن كان

<sup>43</sup> عمّار، عوابدي: النظرية العامة للمنازعات الإدارية في النظام القضائي الجزائري، ج1، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 175\_177.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

المفهوم يحمل بعدا جديدا لمصطلح التشريع من حيث خضوع النص التشريعي من عدمه للرقابة و الطعن ، إلا أنه يتجاهل أن هذا النص لا يعني عدم خضوعه لرقابة ما، بل يخضع لرقابة جهاز خاص لا يتمتع بصفة الهيئة القضائية ، و هو المجلس الدستوري<sup>44</sup>.

القانون لدى الفرد القبائلي يعتبر الانضباط التلقائي نحو الجماعة و القرية، يغرس فيه حسن التعامل و ضبط سلوكه مع محيطه ،الذي يكون حارسه الأبدي و الرقابة الذاتية، تلك الثقافة التي تتغذى من البيئة و فكر الجماعة.

### 3\_ مصادر القانون القبائلي :

إن التشريع في الإسلام تيوقراطي و ديمقراطي في نفس الوقت ،يقول الغزالي<sup>45</sup> إنه تيوقراطي في المسألة الدينية و ديمقراطي في المسألة القضائية و السياسية ، والاجتماعية. فمصادر القانون متنوّعة على حسب التغيّرات التي طرأت عليها و احتكاكها بالغزاة و كذا موقعها و مصالحها:

أ\_الشريعة الاسلامية : في هذا السياق اعتبر الباحثون الاثنوغرافيون أن مجتمع الشمال الإفريقي تحكمه منظومتان قانونيتان إحداهما تقليدية عرقية شفوية و هي امتداد لنظم ما قبل الإسلام و منها تستمد الجماعة تشريعاتها و الأخرى إسلامية يعمل بها الفقهاء

<sup>44</sup> جيلالي ، عجة : مدخل للعلوم القانونية ، نظرية القانون بين التقليد و الحداثة ، دار الخلدونية ، د ت ، ص 374

<sup>45</sup> ينظر الى الغزالي: مبدأ الاسلام ،دار الثقافة ، 1988



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

والطلبة<sup>46</sup>، فقد نفهم من هنا و كأنّ القوانين العرفية وُجدت قبل الإسلام و تعاليمه، و أغلبها قوانين في تقسيم التركة و القتل و الثأر و قوانين تنظيم الحياة الاجتماعية، وخاصة تلك التي في زمن الحروب. وهنا لا نعمّم على جميع القوانين، فهناك من أتت بعد الإسلام من أجل إرضاء تعاليمه، ومنها من تمّ تصحيحها لتتوافق مع الشريعة.

فتؤكّد مجمل الكتب والمخطوطات أنّ القانون القبائلي كان رافداً للشريعة الإسلامية وقيمها الراسية، فحضور الإمام أو شيخ حامل للقرآن وكالة عن الهيئة و إلزام لرأي الدين في هذه الأحكام، فهو من يفصل في نوازل المواريث، وقسمة التركة عند القبائل وهذا باعتماده على الشريعة الإسلامية، و لقد ذكر هذا في عدة مخطوطات حول الميراث إلا أنّ المخطوطات كانت ناقصة و نصفها أتلف و منها من هي مجهولة المصدر.

فالقرآن الذي أنزله الله على نبيه هو القاعدة العامة و الوحيدة في كل الشعوب الإسلامية، فالقانون و الدين و الأخلاق كلّها صادرة عنه و متفقة معه، و السنّة ليست سوى

---

[En ligne], *Insaniyat / إنسانيات*, محمد العربي عقون, « الإثنوغرافيا الاستعمارية » : شارل فيرو نموذجاً «\_ 28 | 2005, mis en ligne le 06 août 2012, consulté le 09 novembre 2016. URL : <http://insaniyat.revues.org/5318> ; DOI : 10.4000/insaniyat.5318

أو انظر في :

<sup>46</sup> Mahé, Alain, « Entre le religieux, le juridique et le politique : l'éthique. Réflexions sur la nature du rigorisme moral promu et sanctionné par les assemblées villageoises de Grande Kabylie », Paris, Anthropologie et Sociétés, 1996, vol. 20, 2, p.85.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

تطوير مكمل له، و مذاهب الأئمة الأربعة هي تعليق عليه، تتوافق جميعها في الاحترام العميق للكتاب المقدس<sup>47</sup>. فالإسلام يولي أهمية كبرى للاستنباط و خاصية الناس لابتكار التنظيم و علاقات حياتهم الدنيوية. إذا لم يكن الأمر دائما على هذا الشكل، فإن ذلك يعود إلى الإنسان و ليس إلى الإسلام. لأنه قانونيا كأفراد أو جماعات لهم دور نشيط يلعبونه لتنظيم مجتمعهم و ضمان أكبر فعالية له. ليس هناك تناقض بين القرآن و السنة ، و هما السلطانان العليتان بصفتهما سلطة دستورية فوق البشر بطابعها التيقراطي.<sup>48</sup>

الشريعة الإسلامية و التي تتمثل في الأحكام التي سنّها الله لعباده على لسان محمد(ص)، هي القانون الديني المفروض التي تشتق منها الأحكام بصفة رئيسية و أنها منسجمة مع الإسلام في معظمها ،ذلك أن القرآن أتى بالآيات التي تحت على العدل و الأعمال الصالحة، النهي عن المنكر و الأمر بالمعروف و النفر من الظلم .

لقد أثبت عدة كتّاب خاصة الفرنسيين ، في مؤلفاتهم عن التزام و ثبات أهل المنطقة بأحكام الشريعة الإسلامية ، و كذا تأثرهم بالمذهب المالكي الذي يعتمدونه في قوانينهم ،و أنّ دواوين الزوايا و الكتب المعتمدة ،هي متون الفقه المالكي و شروحه ،فقد ذكر هانوتو في مؤلفه مدى تقديس الدين من طرف سكان منطقة القبائل و مدى تأثر قوانينهم بالعقيدة وخاصة العقوبات، فأتى بعدة أمثلة منها التعدي على حرمة رمضان ،أو تناول المحظورات

<sup>47</sup> هانوتو ،أ و لوتورنو، أ :منطقة القبائل و الأعراف القبائلية،الجزء لثاني ، الأمل للطباعة و النشر ، تيزي وزو،2013،ص137

<sup>48</sup> بن عبد الله ، سعيد: المرجع نفسه،ص220

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

كشرب الخمر ، أو أكل لحم غير شرعي و الذي جاء في قانون فراوسن "الذي يتعدى على حرمة رمضان يدفع غرامة مالية ، و جاء في نفس القانون أنّ من يبيع لحما دون ذكاة شرعية يعاقب"<sup>49</sup> كما أنّ من يتعاطى المحرمات تسقط شهادته في القانون القبائلي ، فقد ثبت في كثير من القرى أنّ السكير أي متعاطي للخمر لا يتم الاستعانة به كشاهد مهما كانت نوع القضايا ، فهو يعتبر غير واع و أي إلقاء منه يعتبر غير صحيح ، بسبب سحب الثقة منه.

نرى أنه من الواجب الإشارة إلى بعض المعتقدات التي انتشرت و سمعناها عند أغلب الباحثين و المهتمين بدراسات حول منطقة القبائل على أن أعرافهم سبقت الإسلام وذلك يعني أن هناك قوانين عرفية يمكن أن تعاكس الشريعة و تختلف مع النصوص الشرعية للقرآن و أبلغ مثال "قضية الميراث" رغم أن الظاهر استوجب على إعطاء المرأة حقها في الميراث و الحصول على نصيبها وفق النصب التي حددها القرآن ، لكن في الحقيقة بقيت المرأة محرومة من حقّها و لا يمكنها أبدا المطالبة به مهما كان وضعها إلى يومنا هذا، و خاصة ما يتعلّق بالأراضي التي تعتبر كنز متوارث لأجيال عديدة، ومصدر رزق بالنسبة للعائلات القبائلية، فالغاية من ذلك هو الحفاظ عليه من انتقاله لعائلة أخرى. و هذا كان سببا في انتشار الزواج الداخلي عند القبائل كي لا ينتقل الميراث خارج حدود الأقارب، فالمرأة القبائلية غالبا إن لم نقل نادرا ما تطلب حقّها إلاّ إذا كانت وحيدة العائلة دون إخوة ذكور.

<sup>49</sup> كركار جمال: المرجع السابق ، ص5 ، عن هانوتو في : أعراف جرجرة ج 3 ص: 153.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

إنّ الغاية من اعتياد المرأة عن حرمان نفسها من طلب حقها من الميراث هو الحفاظ على مكانتها داخل عائلتها و نيل رضا الأقارب فتصنيفها من النساء "الفحلات" و هذا ما أدلت به معظم النساء :

« d l3iv ameqran attedmedh lehqim ger wathmaten »

من العيب أن تتقاسمي هذا الحق مع إخوتك

( Toues 67ans wadhiya\_ tizi ouzou)

« yechmeth ma tedmedh lahqim amek attemuqledh deg

wudmawen \_nsen »

'كيف تتظيرين في وجه أخيك بعد أن تطلبين منه حقه '

(Noura 53 ans Ouadhiya\_ tizi ouzou)

إذ ترى أنه لايمكن لأي امرأة النظر في وجه العائلة و الأخ خاصة إذ ما سبق و أخذت نصيبها من الميراث و كأنها تعدّ جرأة من طرف المرأة بهذا التصرف .

« argaz ma yruh attafedh wayedh ma d gmam yiwen igellan »

" لو خسرت زوجا ستجدين زوجا آخر لكن إذا خسرت أخا لا يعوّضه أحد"

(Louiza , 59 ans Irjen\_ tizi ouzou)

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

فهي حكمت على نفسها بالخسارة مجرد أن تفكر بالمطالبة بحقها. و كثير ممن تدخلوا مقاطعين دردشتي بالقول: "يوم يتوفى زوجك إلى أين ترجعين؟؟ بالتأكيد عند إختوك لذلك لا تسبقي للعيب" و "الرجال ما فيهم الأمان يديك حقك و يرميك" و أخرى تبكي قائلة " لقد توفي أخي منذ شهر و الحمد لله أن الشيطان لم يعينني لأدخل معه في نزاع حول حفنة تربة أو قطعة قماش فانية... لقد رحل و هو راض عني و لم يأخذ معه شرّ اتجاهي" و حتى أن أخريات كرروا إعطاء لقب "ولد الناس" على أزواجهنّ ، و كأنّ للمرأة دور جدّ مهم في الحفاظ على عائلتها و أصولها و هي حامية للقرابة مهما كلفها من المغامرة بزواجها أو بيتها ، فهنّ متأكّدات أن باب بيت العائلة مفتوح لهنّ و مرحّب بهن ما دما لم يطالبن بنصيبهنّ.

و قد جاء في قضية توريث القبائل للإناث، أن بعض المستشرقين ذكروا في عدة كتابات أن القبائليون يرفضون دين محمد (ص)، و يرفضون تصادم قوانينهم القديمة بل يقرون عقوبات مالية لمن يعطي الانثى حقها الثابت بالقرآن و السنّة و من بين الدارسين لهذه القوانين " جورج إلي" إذ قال " في سنة 1750 حررت كل الجماعات محضرا، و قرروا منع المرأة من إرث الأراضي، بحجة أنها غير قادرة على استثمارها، و ليس لها القدرة على الدفاع عنها.<sup>50</sup> (وثيقة منع المرأة القبائلية من الميراث مرفقة في الملاحق. )

<sup>50</sup> كركار جمال: المرجع السابق ، ص 04. للمزيد أنظر: جورج إلي قبائل جرجرة و الأباء البيض، باريس ، ص 117.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

لقد ركّز هانوتو في دراسته حول القوانين القبائلية، على علاقتها بالقرآن، أين أعطى شرح مفصّل للقوانين القبائلية و نسبة التوافق بينها و بين الشريعة الإسلامية "على الرغم من أنّ العرف العام يشكل إلى جانب القرآن القانون المشترك في بلاد القبائل، إلاّ أنّه يمكن لأي قرية أن تستقل عنه نسبياً، إذ يمكنها تغيير بعض التفاصيل في قانونها ليتكيّف مع ظروفها الناتجة عن موقعها، و كذا التي يجب أن تتماشى و عاداتها وممارساتها"<sup>51</sup> فالقرآن يمسّ كل ما يتعلّق بالعقيدة، و في القواعد المتصلة بالدين، إذ لا يتحكّم بصورة مطلقة في القانون المدني. إذ نجد في منطقة القبائل قوانين تنظم الحياة العامة اليومية للأفراد لا نقول تتناقض و الشريعة بشكل مطلق لكن هناك آليات لاستقراء النص القرآني في مختلف القضايا.

لقد نقل أستاذ القانون بجامعة الجزائر "بوسكي" " **Bousquet** ، قانونا عرفيا مؤرخا في: 07 جويلية 1935، أين صرّح فيه بتأثير الشريعة الإسلامية في الأعراف القبائلية، إذ وقف عند بعضها مبيناً أثر الفقه المالكي فيها" و القانون الذي بين أيدينا حرّر باللغة الفرنسية ويحمل كما نرى الأعراف القديمة و لكنها صيغت صياغة حديثة"<sup>52</sup> و قد أتى بوسكي بالقوانين التي لها أصل ديني إسلامي مباشر:

1\_ كل شخص تخاصم مع آخر، ثم تمّ الصلح أمام الجماعة، فمن نقض الصلح يطالب بدفع 25فرنكا.

<sup>51</sup> هانوتو و لوتورنو: المرجع السابق، ص138  
<sup>52</sup> جمال كركار: المرجع السابق ، ص 06

- 2\_ كل شخص يرفع بندقية في وجه أخيه يدفع 125 فرنكا.
- 3\_ كل شخص يرفع سكيناً في وجه أخيه يدفع 25 فرنكا.
- 4\_ كل شخص يحمل عصاً في وجه آخر يدفع 25 فرنكا.
- 5\_ كل من يشرب خمراً أو كحولاً يدفع 10 فرنكات.
- 6\_ كل من يغيب عن حضور المناداة عند اجتماع الجماعة يدفع فرنكا واحداً.
- 7\_ كل من غاب عن حضور اجتماع يدفع فرنكين.
- 8\_ كل من يخرج عن الاجتماع قبل نهايته يدفع فرنكا.
- 9\_ كل من يتسبب في إفساد زرع غيره، و ذلك بدخول دوابه في حقول غيره يدفع 5 فرنكات.
- 10\_ كل من تجاوز ثماني عشر سنة، و أقدم على السرقة يدفع 10 فرنكات.
- 11\_ كل من شتم الرسول صلى الله عليه و سلم يدفع فرنكين.
- 12\_ كل من يمتنع عن حضور جنازة من غير طلب إذن، أو بدون سبب قاهر، يحط من قدره، و تمسّ سمعته وسط أفراد القبيلة.
- 13\_ كل من تلفظ بألفاظ تخل بالحياء يدفع 5 فرنكات.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

14\_ كل من يتعرّض للنساء، و يتحرّش بهنّ في الطرقات يدفع فرنكين.

15\_ إذا أوقف رجل امرأة في الطريق يدفع 5 فرنكات.

16\_ كل من ضرب أباه أو أمّه يدفع 10 فرنكات.

17\_ كل من يرفض هذه العقوبات المالية المحددة أعلاه، فليقدم حجته، و لا تقبل إلا

الحجج المستندة إلى فقه سيدي خليل أو القرآن، وإذا لم يجد حقا تضاعفت عقوبته.<sup>53</sup>

لقد علق بوسكي على هذه الأعراف من خلال تبيانته لمدى تأثير الشريعة الإسلامية

على القوانين العرفية القبائلية قائلا: " يظهر هنا التأثير الديني بشكل كبير و واضح على

القانون القبائلي، و لعل سبب هذا التأثير يعود إلى تعاليم أشخاص لهم أصول مرابطية"<sup>54</sup>

و هذا ما يبين الدور الفعّال للمرابطين في القرية القبائلية لاطلاعهم على تعاليم الشريعة

الإسلامية.

ب\_العوايد: مفرده "عادة": و يطلق المصطلح على كل ما هو متفق عليه، و تقترب

كثيرا من مفهوم "الأصول" و التي تؤخذ كقانون قبلي، بما أن لكل منطقة عوايد خاصة بها

تتناسب و وضعها التي تنظم طريقة حياتهم و التي يجب إطاعتها.

<sup>53</sup> جمال كركار: المرجع السابق، ص 07. من مصدر :

— Quanoune kabyle contemporain, bousquet, société historique algérienne, alger 1936.

<sup>54</sup> جمال كركار: المرجع نفسه، ص 07.



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

في عشائر الأردن نجد عددا من الاصطلاحات التي تعني "العادة" في نظامهم القبلي، فنجد يقولون "السوادي" بمعنى كل ما هو سائد، كما نجد مصطلح "إسليم أو إسليم" أي كل عادة متفق عليها دون جدال<sup>55</sup>. كما أنّ المصطلح "إسليم" يقترب كثيرا من المصطلح "أسام" أو "ثانومي" الأمازيغية و التي كذلك تعني "العادة".

فقد وجدت العادة من خلال مبادرة أحد الأسلاف بالقيام بسلوك معيّن حول قضية ما أو مسألة تعني الجماعة و المنفعة العامة، فإذا لاق هذا السلوك ترحيب و رضا الأفراد المقربين لتتسع دائرة القبول لتشمل الجماعة، فحتما تصبح كممارسة لا بدّ منها، لينشأ بعد ذلك الاعتياد على هذه الممارسة. فكلّ عُرف تنفيه العادة يبطل دون نقاش، لينسب لما هو مرفوض في المجتمع .

فالتشريع القبلي لمنطقة القبائل مرتبط بعوايدهم القبلية، لقد أتى شيخ من المنطقة لإعطاء مثال أظنه مفسر و موضح لمدى ارتباط القانون القبلي بالعوايد، إذ قال: "في القديم إذا أقدم شخص على بيع بهيمة فأول ما تولد يعود ما وضعته لصاحب البهيمة الأول، ...عمي البشير 78 سنة"

و يقصد هنا من المواشي و الفرس ، أنّ الفرد إذا قام ببيع بهيمة فله الحق أن يأخذ أول ما تلده. مواصلا كلامه أنّ لا أحد يتجرأ على الخروج عن هذه العادة، إذ من حق الجماعة أن

<sup>55</sup> عويدي، العبادي أحمد: القضاء عند البدو، نظام العشائر العرفي و دمج التكامل في إطار الدولة و سياستها من 1921\_1982، دار جرير ، عمان، الأردن، سنة 2006، ص182

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

تعاقب مخالفيها. لكن في الوقت الحالي تلاشت هذه العادة كليا لانعدام مثل هذه الصفقات في السوق. و كما أن هذه العادة كانت في عديد من المناطق و حتى خارج الجزائر.

بالحديث عن العادات التي تتحوّل مع مرور الوقت لقاعدة تنتهي بقانون، نجد عادة تحدّث عنها سكان قرية أث عيسي بخصوص نافذة صغيرة لمسجد قديم تم تحويله للمكتبة العمومية مع الإحتفاظ به دون التغيير في تصميمه ،و أنّ دور النافذة كان في القديم توضع فيها الأشياء الضائعة، فمن وجد غرض يضعه مباشرة في النافذة، و أصحابها يأتون مباشرة لاسترجاعها، و إن تهاون أحد على وضع غرض قد عثر عليه، ليتضح عنده بعد مدّة فإنّ الجماعة تعاقبه بغرامة، و هي العادة التي أصبحت عُرف و متعامل بها لغاية اليوم.

### ج\_المثيلة : و تعني السابقة القضائية، أي القضية المشابهة لها سابقا .في المثيلة يتم

إصدار الحكم مباشرة في أي قضية لها سابقا قضية مشابهة لها و تم الفصل و النظر فيها.و خاصة في القضايا الشائعة أين يأتي القاضي العشائري بقانون جديد يقاس عليها مباشرة، إذ هناك قضايا كثيرة تتشابه، مثل الشجار بين الجيران، فيتم الحكم عليهم مباشرة دون العودة لقانون خاص بنوع الشجار و لا يتم التفصيل فيه، بل يُسقط عليهم مباشرة عقوبة الشجار و الاعتداء، بشرط أن يكون القرار مرحب به من طرف جميع أعضاء الجماعة و لا يعارض الشرع والعادة، فهنا نرى علاقة وثيقة بين العادة و المثيلة ،كما تخص المثيلة التي يجلبها الأمين من قرية أخرى ،أي إستأنس بقانون يخص منطقة أخرى لكن في نفس القضية، فهنا

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

لا يمكن لقرية أن تجدد قوانينها حسب كل قضية، فالأعراش تتقاسم بعض القوانين العرفية في القضايا النادرة، أو غير المتكررة.

لقد كانت هذه الطريقة فعّالة في زمن ما و خاصة في القضايا التي تستدعي حكمة من القضاة و التي لا مجال للخطأ فيها، ممّا يعطي رصيد أعظم للقرية أو العرش الأول الذي صدر منه الحكم في القضية، من خلال ذكره في أي قضية مماثلة، حتى أنه يعطي نوع من التنافس بين القضاة في الإجتهداد و الفصاحة من خلال القضايا غير الواضحة أو الشائكة الحساسة.

يصدر القاضي العشائري أو أمين تاجمات قانونه في قضية ما مع وجوب ذكر سابقتها، أي الحالة القضائية المشابهة لها فيذكر اسم القضية و زمانها و القرية التي صدر منها الحكم و كيف تم صدور الحكم فيها، و ينتظر الأمين ألا يكون هناك اعتراض من أي كان من الحضور.

كذلك يرى الأمين و جماعته أنه من اللزوم ذكر المثيلة في كل قضية ليس لها حكم أو قانون، و هذا لغاية نفسية من أجل تخفيف التوتر بين الخصوم أو أطراف، و كأنّ القاضي هنا يبسط القضية و يخفف الحكم كي لا يتم رفضه، و لهذا يذكر في جلسته أن قضايا كثيرة تمت معالجتها بهذه الطريقة و لقيت ترحيب من طرف سكان عدة قرى، و لم يعارضها أحد، فهنا نكاء القاضي من إحراج المحكوم على أن ليس لديه منفذ آخر سوى

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

قبوله للحكم. رغم أنّ لهم كل الحق في رفض الحكم و طلب إعادة النظر و هذه حالات نادرة جدا.

و كما أنّ للأمين دور في تذكير المجلس بحكمة الأجداد و فصاحتهم في ابتكار القوانين، من خلال استحضار قوانين و أحكام تم العمل بها في مثيلات من القضايا. كطريقة لإقناع الأفراد بمدى فعالية هذه الأحكام و كأنّه يبلغهم بالمستوى الرفيع للقضاة، و لهذا كلّه لا يمكنهم ببساطة أن يرفضوا أحكامهم. و نوع من تثقيف الحضور بالتقاليد العشائرية، و زرع نوع من الاحترام للأجداد وإظهار كم كان الأجداد حريصين على القوانين ليلخص كلامه أنهم على طريق الأجداد.

**د\_ الاجتهاد و خبرة القضاة:** وهي اختلاق حكم جديد، من قبل الأمين الذي يعد القاضي العشائري الوحيد الذي يؤسس القوانين القبلية و ذلك في القضايا التي لا سابقة لها. ويكمن الاجتهاد هنا في ذكاء القاضي الذي يقوم باستنباط الأحكام و صياغة قانون جديد .

يتجه القضاء في القرية إلى هذا النوع من القوانين التي مصدرها الاجتهاد لمعالجة القضايا الجديدة التي تبرز بسبب التغير الاجتماعي، و يظهر ذلك من خلال عدة أمثلة عن الاجتهاد، مثل إعادة صياغة قانون الدية بينما كانت تدفع على شكل حيوانات أو محاصيل زراعية تقدّم لأهل المقتول ،أصبحت في زماننا تؤدّى نقدا. وكذلك ظهور نزاعات عائلية على الأراضي و كيفية تقسيمها و هذا ناتج عن الرغبة في التحرر لدى الفرد واستقلالته عن باقي

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

العائلة. في مثل هذه القضايا المنتشرة بكثرة في منطقة القبائل، فإنّ تاجماعت يجب أن تلعب دور أقوى من مجرد صياغة قانون و الاجتهاد في فرضه على الأفراد، بل هنا يجب عليها أن تراعي القيم و المعايير القبائلية و كذا حرصها على أن لا تشجّع هذه القوانين الجديدة في تفرقة العائلات، مع مراعاة نفسية الجيل الجديد و حبه في التحرر الذي قد يؤدي إلى اندثار مفهوم العائلة الكبيرة و كل ما هو مرتبط بالمنظومة التقليدية.

فهنا تتدخل خبرة الجماعة في هذا النوع من القضايا الجديدة فقد ينظرون إلى القضية من عدّة جوانب لأنّها ستصبح مستقبلا مثيلة أو سابقة لقضايا أخرى قد تظهر في المجتمع، و قد تكون سببا في تغيير قيم المجتمع القبائلي، لذا فتاجماعت تعمل بتحفظ فيما يخص سن القوانين و الاجتهاد فيها.

و لهذا تسمح تاجماعت بحضور جميع الأفراد خلال أغلب مجالسها و ذلك للإستماع إلى طريقة حل القضايا و القوانين المتعلقة بها و التي تبقى راسخة في أذهانهم و حتى الصغار الذين قد يكونوا برفقة الأباء تترسّخ فيهم ميزة الإستماع للغير و الأخذ بحكمة الكبار و ثقافة إحترام الجماعة و التقيد بجميع قراراتها. و قد ورد في حديث كبار تاجماعت أنّهم يقومون باصطحاب صغار العائلة من ذكور في زيارتهم و في نقاشاتهم مع قرى أخرى من أجل تعليمه أصول العلاقات مع الغير و كيفية التعامل، و حتى أنّ الطفل يتباهي بكون جدّه من تاجماعت سواء أمين القرية أو طامنه، فيخبر الجميع أنّه سيصبح مثل جدّه عندما يكبر

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

و سيحظى بنفس الهيبة و الوقار، و حتى أنّه يقلّد جدّه في طريقة جلوسه و كيفية تحدّثه مع الناس و حتى في البيت يأخذ صورة رجل كبير في جميع تصرفاته من أجل نيل إعجاب جدّه، هذا دون أن ننسى دور التنشئة الاجتماعية للأسرة القبائلية التي تشجّع على هذا النوع من الممارسات.

هـ\_آراء كبار القرية : لطالما بقيت هذه العينة في القرية تحظى باحترام الجميع، و نقصد بهم كل شيخ كان له تأثير في القرية سواء من إمام مسجد سابق أو من تقلّدوا مناصب في تجمعات في وقت سابق، أو كل شيخ طاعن في السنّ حكيم. فهؤلاء يعتبرون أيضا منبع القوانين القبلية لمنطقة القبائل و حتى أن أمين تجمعات يستعمل في كلامه كلمة "كبار" القرية، احتراماً لهم و تذكير بمحاسنهم و دورهم في مساعدة تجمعات في تسيير أمورها إذ أن لهم من الخبرة ما يسمح لهم بمقارنة القضايا و تصنيفها ثم إصدار قوانين تُتخذ من طرف تجمعات كدليل في قراراتها. و حتى أن هناك قضايا مثل النزاعات العائلية أو المتعلقة بعلاقات الجيرة مثل (ازعاج أو أخذ دون مشورة شيء لشخص آخر ) و التي لا تستدعي تدخل تجمعات فقط يكفي إعلام كبار القرية من أطراف القضية ليتم حل النزاع في هدوء و سرية تامة، إذ يتم إرضاء الطرفين من قبل الكبار الذين لا يرفض لهم طلب ليقوم الجميع بالمصافحة و طلب السماح من بعضهم. وكما يتوجه الزوج الذي تخلّت زوجته عن البيت، إلى كبير من كبار القرية من أجل أن يتوسّط له مع أهل الزوجة، لاسترجاعها دون سماع القرية بالقصة. و حتى أنّ حضورهم أصبح من الضروري لإعطاء نوع من الهيبة لكل

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

مجلس، و حتى أنهم يباركون بعض المناسبات مثل الوعدات، و يصطحبونهم في عمليات الختان الجماعية، و خطبة الزواج، فالجميع يتسابقون لأخذ أحد الأفراد من كبار القرية وذلك لمعرفة الجيدة بمعاملات الخطبة إذ لا يتركون المجال للرفض.

### 4\_ مبادئ التشريع القبلي في منطقة القبائل: تمارس تجمعات السلطة القضائية في

القرية فهي صاحبة السيادة فإن كل شيء منبعث منها و عائد إليها، لدرجة أنه لا يوجد أي هيئة أخرى حاكمة في القرية القبائلية، لكن هذا لا يعني إيذاء أو استغلال الأفراد أو التعدي عن حقوقهم، فالقانون القبلي للمنطقة القبائل لا يطبق بشكل اعتباطي لكنه يخضع لعدة معايير و مبادئ، فلا مجال للخطأ في حق فرد مهما كان، لذلك نتوقف عند بعض المبادئ لفعالية القانون القبائلي :

### أ\_ خضوع القانون القبلي لعادات منطقة القبائل: فهذا أول مبدأ، أن لا تتخالف القوانين

العرفية مع العادات السائدة في المنطقة، إذ عرفت العادة على أنها أحد منابع القانون القبائلي و هذا ما يوضح مدى أهميتها في المجتمع القبائلي. ففي كل النزاعات و القضايا التي يتم طرحها في مجالس تجمعات، يبحث الأمين مع مساعديه عن عادة معترف بها، لحل النزاع حسبما تقتضيه هذه العادة، ليكون مشتق مباشرة منها و مبنياً عليها.

القانون لا يتخالف مع العادة مما يضمن احترامه وعدم استغرابه من قبل السكان،

لهذا نجد القوانين العرفية مختلفة من منطقة لأخرى. نبيّن هنا مثالا عن خضوع القانون

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

القبلي للعادة، فوجد في قرية أث عيسي التي تناولنا قانونها القبلي فيما سبق أنه نابع مباشرة من عادات المنطقة منذ زمن، فالعقوبات التي تأتي من عدم احترام مهر الزواج أو مراسيم الإحتفالات ككل مصدرها عادات المنطقة، أين جرت العادة أن يكون مهر الفتاة عبارة عن مبلغ رمزي يتم تحديده من قبل أعيان تاجماعت، فالقانون أتى على هذا النحو مباشرة ودون تعديل فيه. و كأن العاة كانت قانون غير موثّق لتأتي تاجماعت لتوثيقه و تحقيقه، و تعديله لما يتناسب و المنطقة .

**ب\_ الإثبات كشرط لتبرئة أو إدانة الأطراف:** لا يعتبر أحد بريئاً و لا مذنباً حتى يتم إثبات أي منهما، فكل شخص متهم بقضية ما \_ مهما كان حجمها \_ فهو مطالب بإيجاد أدلة كافية لتبرئته من جهته، و كما تعمل الجهة المتهمة على إثبات الجرم إن حصل، فقد تكون الأدلة ملموسة من أوراق و مستندات أو صور هذا في الوقت الحالي لكن في القديم كانت تاجماعت تكتفي بإجبار الأفراد على القسم كوسيلة للإثبات، و كما أنّ في حكاية "طمّان الحرب" الذي كان في وقت الحرب(من خلال مؤلف هانوتو) فعمله هو إثبات البراءة من عدمها في القضايا التي تمسّ أمن القرية و ذلك بمجرد السماع لكبار المنطقة على إعطاء رأيهم فيما شاهدوه أو سماعه عند الأطراف المتخاصمة، فالقضية تتبع عدّة إجراءات لأنّ الخطأ غير مسموح خاصة في الجرائم و القضايا الكبرى.



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

رغم أنّ كلمة الجريمة تقريبا منعدمة في القرى القبائلية، و حتى في وقتنا الحالي نادرا ما تسجّل على مستوى قضاء تاجماعت قضية قد تكون خارج عن نطاقها كالقتل مثلا فاتهم الأفراد يعتبر أمر جدّي لدى تاجماعت فهي تتبع جميع الإجراءات التي تتخذ في حق "المجرم" لغاية إثبات الجرم من عدمه. غالبا أصبحت هذه القضايا تتبناها المؤسسة الرسمية العقابية، ليصبح دور تاجماعت هنا تهدئة القرية و محاولة تخفيف آثار الجريمة سواء على الجاني أو المجني، و ذلك بعقد جلسات خاصة لتصالح ذات البين (عدا الجاني الذي يكون في ذلك الوقت معاقب رسميا)، فتاجماعت لا تسمح بعزل عائلة الفرد الذي أقدم على الخطأ، و كما تحتّ أهل القرية على مساعدتهم لتجاوز المحنة، و حتى إن فُرضت هنا غرامات على الأفراد فتاجماعت تشرف على عملية جمع المساعدات و تقديمها.

**ج-تحقيق العدالة الإجتماعية:** إنّ هدف القوانين العرفية في منطقة القبائل هي إرضاء جميع الأطراف و خاصة المتخاصمين، فجميع القرارات تأتي مرنة يمكن إسقاطها على عدّة حالات بغية تحقيق السلم في المنطقة، فالقوانين العرفية تقبل أن تكون نسبية من أجل تحقيق العدالة الإجتماعية. لأنّها تخضع للعادة التي لا يمكن أن تكون في صف أحد و كما أنّها نابعة من الشريعة السمحاء التي تنصف الجميع .

فلهذا لا نجد أي محاكم في القرى القبائلية(باستثناء كبرى المدن حاليا) ممّا يفسّر رضا السكّان عن قرارات تاجماعت، فلو أحسّ أحد الأفراد بالظلم لتّجه إلى العدالة الرسمية،

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

و هذا ما لم يتم تسجيله في أغلب القرى. بمجرد تفكير الفرد في الاحتكام لدى المحاكم الرسمية في قضية ما، تعتبر خطوة لسحب الثقة في النظام العشائري للقرية و هذا ما لا يستلطفه بقية السكان. إلا أننا لا يمكن أن نعّم على جميع القرى في منطقة القبائل في وقتنا الحاضر فمنطقة القبائل الصغرى من بجاية و البويرة نجد بعض قراها نظام عشائرها ضعيف إن لم نقل غائب، فنجد سكان هذه القرى يحتكمون للعدالة في القضايا الكبرى، أين تتدخل أجهزة الدولة في فك النزاعات و تنظيم حياتهم اليومية، ليقصر دور تاجماعت فيها على بعض قضايا المنفعة العامة ، من مشاريع القرية و إعادة تهيئتها ، كما تشرف على إحياء الطقوس و الاحتفال بالمواسم الزراعية . كما تعقد جلسات الصلح في حالات الخلافات بين سكان القرية .

**د\_حفظ الحد المقبول في القرارات:** قد يكون مهام أعيان تاجماعت شاقا من أجل إرضاء المتخاصمين، و خاصة في فرض العقوبات التي تكون كآخر حل يمكن التوجّه إليه، فلصلح دور مهم في إعادة تهدئة القضايا في القرية فيعتبر خطوة جد فعّالة في تجنب تعقيد القضايا و فرض العقوبات. خاصة في النزاعات العائلية فوحده الصلح الذي يفرضه النظام العشائري من يمكنه أن يحافظ على العلاقات القرابية. و هذا ما يسمى حاليا بالمفاوضات، فتاجماعت تقبل بالمفاوضات المباشرة أي بحضور الطرفين المشكلان للقضية من أجل بحث سبل الإصلاح بينهم، كما ترفض المفاوضات غير المباشرة و التي تتم عبر طرف ثالث يتوسّط و ينقل آراء و مقترحات الطرفين.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

هنا يكون للقاضي العشائري دور مهم في تسيير جلسة الصلح فنجاحها يعتمد على ذكائه و فن تسييره، فيجدر به أن يتميز بالفصاحة و عدم التلعثم أو طول التفكير فيما يمكن أن يقوله مما يفسد من جدية الجلسة و عدم مصداقيتها.و أن تكون لديه ميزة الإقناع وتبسيط الجدالات مهما بلغت ذروتها، كما يجب أن يتسلح بالحجج من أجل دعم توجّهاته .

في القضايا الكبرى التي يشتدّ النزاع فيها يتم استدعاء إمام المسجد من أجل إعطاء براهين من الشريعة الإسلامية التي من شأنها تهذيب النفوس و الرجوع عن الأذى. فقد يتجه الإمام إلى الأحاديث الخاصة بالمجاملات و الودية من أجل تلطيف جو الجلسة، و الابتعاد عن الغضب أثناء محاولة إقناع الأطراف، فالغضب سيزيد من تعقيد الوضع و تعصّب المتخاصمين لرأيهم.

تعتبر قضايا الصلح من أهم القضايا لما تحمله من مزايا فهي تعيد استقرار القرية وتجنّب الحقد و الثار في أوساط الأفراد. كما تساهم في تماسك الأسر، و تعليم الأجيال القادمة على أن لكل قضية حل غير العقوبة المفروضة و التي تأتي كآخر إجراء عندما تنفذ جميع الحلول.

**الصلح :** إن حل الخصومات و إصلاح ذات البين، و تدخل المرابطين و المتصوفين في حل الخلافات بين السكان في المجتمعات الإسلامية، ظاهرة قديمة نص عليها القرآن الكريم

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

فإن تنازعت في شيء فردوه إلى الله و الرسول<sup>56</sup>. فقد كانت هذه الميزة في بلاد القبائل تعوّض غياب السلطة في بعض المناطق، فالصلح يعتبر بمثابة السلطة القضائية البديلة. ولعل أهم عمل فكري أثار قضية " حكم الجماعة" و دعا إلى تجديدها هو كتاب (جماعة المسلمين) للشيخ أبي يعلى الزواوي و مما جاء في مقدمته قوله " هذا و أنني قد كتبت رسالة مطولة في شان جماعة المسلمين و معناها في فقها المالكي و في أصلها من الأحاديث الصحيحة فسميتها كذلك جماعة المسلمين فاختصرتها و لخصتها كما ترون أما بعد، فيا إخواني المسلمين في العالم كافة، و في الجزائر وطني خاصة فإنني أحمد (إليك) الله الذي لا إله إلا هو على هذا الدين الذي هدانا إليه" إلى أن قال "... كيف لا و في موضوع جماعة المسلمين التي هي آخر منزع بقي في قوس أهل الإسلام بعد سقوط الخلافة و توقفها، وفقدان شروط القضاء"<sup>57</sup> فقد أكد هنا الشيخ أبو يعلى الزواوي أن مفهوم الصلح قد ظهر أصلا في المجتمع الجزائري بسبب تعطل القضاء الناجم عن غياب السلطة السياسية المركزية، بفعل المرحلة الاستعمارية و الظروف المتتالية على الجزاء في عدّة حقب.

لقد كان الصلح على مستوى عدة مجالس عرفية على مستوى عدّة مناطق في الجزائر و كان أبرزها ما ينظمه مجلس العزابة في منطقة غرداية، و الصلح على مستوى مجلس

<sup>56</sup> سورة النساء الآية 59.

<sup>57</sup> محمد أرزقي فراد : الصلح في المجتمع الجزائري\_ منطقة القبائل نموذجا\_ سلسلة منشورات الجيب، من وقائع حوار الأفكار، سبتمبر 2005، ص6.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

القرية لتاجماعت في منطقة القبائل، فقد اعتمد أعيان المنطقة الصلح بعد القضاء على عادة الثأر التي سادت لعدة قرون، و قد سمح بزوال "الاقتال".

### 5\_ الشروط المشتركة الواجب توفرها في أمين القرية "القاضي العشائري" :

إنّ كلمة قاضي لا تنحصر فقط على ما هو رسمي و ليس مفهوم مرتبط بمؤسسات الدولة الحديثة فحسب. بل تناولت عدّة دراسات قديمة على أنّ كلمة "القاضي" قورنت بما هو عشائري و بدوي أيضا ،لذا نجد شروط مشتركة بين قاضي المؤسسة الرسمية (المحكمة) والقاضي العشائري المتمثّل في "أمين تاجماعت" في منطقة القبائل، وشيخ العشيرة عند بعض المناطق :

\_ أن يكون القاضي عاقلا، بالغاً، و أن يتحلّى بروح المسؤولية حين إصداره للقرارات، وأن تكون أقواله نهائية و ثابتة .

\_ الصّحة الجسدية و سلامة الحواس، السّمع و البصر، كشرط مهم من أجل أداء وظيفة إثبات الحق من الباطل.

\_ أن يكون أعلم بأحكام الشريعة ليتمّ العمل بموجبها، و خاصة عند القاضي العشائري الذي غالبا ما يستهلّ اجتماعاته بآيات من القرآن الكريم و الأحاديث، و كما أنّه يأتي لكل قضية بمثيلتها في زمن الأنبياء و الصحابي كاجتهاد منه و إثراء المجالس، و نقل الحكمة للنّاس .

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

عن هانوتو في الجزء الثالث من مؤلفه فقد أتى في شروط القاضي العشائري "يجب على العالم الذي يقع الاختيار عليه أن يكون مرابطيا، من أرومة نقية، مشهود له بالعلم و العدل، لا يتسرّب الحقد إلى قلبه، لا يخشى لومه لائم، و له مستوى معيشي يجعله في منأى من الحاجة، و بالخصوص معروفا بنزوعه إلى المصالحة"<sup>58</sup>، إذا أتينا لفك هذه الشروط وتفسيرها، فشرط أن يكون مرابطيا ( من المرابطين) فقد أصبح هذا غير واجب في أغلب القرى، إلا أن فرض المرابط كأمين للقرية يعني ضمان الجانب الديني لتسيير الأمور، و ذلك باعتبار أن المرابطين أعلم الناس بالشريعة و حفظهم لنصوص الدين. و على أن يكون من أسرة و نسب نقية، أي لم يذكرهم أحد بسوء، و أصلهم شريف. و يكون أعلم من غيره في كثير من الأمور، نقية النفس من الحقد، و كما ذكر أهمية أن يكون مكفياً ماديا كي لا يعميه الطمع و لا ينساق وراء المال، ممّا قد ينزع المصداقية من قراراته و مواقفه. كما أنّه لا يذهب مباشرة لفرض العقوبات على الأفراد بل يتجه للمصالحة كحل أولي بين الأطراف المتنازعة. إلا أنّ هانوتو ذكر في آخر كلامه أن هذه الشروط مستحيل أن تجتمع في الفرد القبائلي، لذا قال لا بأس إن سقط شرط من الشروط.

— إنّ هناك من الشروط ما تمّ الاختلاف عليها مثل " الذكورة" فهناك من يقرّ بالزامية تولي القضاء "رجل" فقط مع إقصاء النساء تماما من هذه المسؤولية مدّعين أنّها ضعيفة وحساسة أمام القضايا الكبرى التي تستدعي رأي سديد. إلا أنّ هناك من أباح تولي المرأة

<sup>58</sup> هانوتو ، و لوتورنو : المرجع السابق ، ج3، ص 13.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

منصب القاضي في بعض القضايا المحدودة، لكن هذا يبقى في اختلاف المذاهب الفقهية وآراء كبار العلماء. لكن لم يثبت عن وجود امرأة تولّت عشيرة أو تاجماعت في منطقة القبائل ليومنا هذا و حتى أنّها لم تكن عضو منها، لكن في القضاء الرسمي لدى المحاكم لا فرق بين الرجل و المرأة في تولّي القضايا .

إنّ قضية تولّي المرأة "القضاء" و نقصد هنا غير الرسمي، فهي مسألة شائكة تناولها العديد من وجهات نظر مختلفة، فمنهم من قام بربط " القضاء العشائري " بالقضاء الرسمي على مستوى المجالس و المحاكم. فقد ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تتولى القضاء، و لو وليت أثم المولي، وتكون ولايته باطلة و حكمها غير نافذ في جميع الأحكام والذي جاء في مذهب المالكية و الشافعية و الحنابلة و بعض الحنفية. فقد استدلّوا بما يلي:

ـ قول الله تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِ) النساء/34.

ـ قوله تعالى : ( و لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ) البقرة/ 228. فهذه الدرجة الزائدة هي من تسمح له أن يحكم عليها و ليس العكس.

ـ و عن أبي بكر رضي الله عنه قال : لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسٍ قَدْ مَلَكَوا عَلَيْهِمْ بِنْتُ كَسْرَى قَالَ: ( لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ ) رواه البخاري.<sup>59</sup>

<sup>59</sup> محمد الصالح ، المنجد : حكم ولاية المرأة للقضاء ، مقال نُشر في موقع الإسلام سؤال و جواب ، 2016/11/08.

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

بالإضافة إلى هذه الأدلة من الناحية العقائدية، فإنّ تولي المرأة منصب القضاء العشائري قد يُسقط بعض الشروط مثل الحضور الإلزامي في جميع الاجتماعات و المجالس، و بالتالي تواجهها بين العديد من الرجال، و لعلمنا أنّ الشّرع منع من اختلاطها و أمرها بلزوم بيتها.

كما أنّ الخبرة و التجربة المهمّة في سن القوانين العرفية لا تأتي من سراب بل بالاحتكاك مع الناس و مجالستهم و خوض عدّة تجارب في الميدان، كتكوين علاقات مع القرى المختلفة و مناقشة القضايا المشتركة فيما بينهم، و هذا ما قد يكون صعب لطبيعة المرأة التي لا تتحمّل كل هذه المخاطرة.

### 6\_القوانين العرفية و العقوبات القبلية في منطقة القبائل: عُرفت القوانين العرفية على

أنّها نسبية، فهي تختلف من مجتمع لآخر و من منطقة لأخرى، فهي تتماشى و طبيعة المجتمع، توجّهاته، نمط تفكيره و اعتقاداته. إذن فالقوانين العرفية القبائلية لا يمكن تعميمها على جميع القرى القبائلية، إلّا أنّ هذا لا يعني تصادمها و اختلافها، فهي جميعها تهدف لتنظيم الحياة الاجتماعية في منطقة القبائل، و كلّها وُجدت انطلاقاً من قاعدة متينة، لا تتغيّر غايتها.

تختلف العقوبات حسب عرف كل منطقة أو عادة ما تكون ناتجة عن اتفاق مجموعة من الفخذات داخل قبيلة واحدة، فهي في أغلب الحالات مبنية على التراضي أو التعويضات ، إذ أنّ جميع العقوبات واردة عدا القتل و القصاص أو حجز للأشخاص فهنا مجلس القرية



## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

يعمل جاهدا على احتواء القضايا الكبرى و إخراج الأفراد من دائرة العنف و الانتقام الفردي ،  
أمّا إذا استدعت القضية أقصى عقوبة فتكون النّفي خارج القرية أو خارج توفيق العرش فرغم  
أنّ هذه العقوبة تظهر أنها أسهل العقوبات إلّا أنّها في الحقيقة أقساها باعتبار الفرد القبائلي  
مرتبط ارتباط وثيق بأرضه و قريته التي تمثّل هويته الاجتماعية و الثقافية، أو العقوبة التي  
تأتي درجة ثانية و هي عزله فلا أحد يشتري منه و لا يباع له ، كما أنّ لا أحد يزوجه ابنته  
و من فعل سيعاقب نفس العقاب.

فقد عُرفت القوانين العرفية بتعدّدها باعتبار أنّها تحيط بجميع القضايا داخل  
المجتمع، فبعد أن تطرّقنا في الفصل الرابع لقانون كامل و شامل لقرية معينة كانت محل  
اهتمامنا الميداني، فقد نأتي هنا لطرح بعض القوانين في فترة معينة تم اتخاذها معيارا لتسيير  
حياة السكان في عدّة مناطق أخرى و التي هي عبارة عن قراءة في مصدر الأعراف القبائلية  
التي لخصها هانوتوو و لوتورنو في مؤلفه الشهير، أين ذكر أهم القوانين لبعض القرى  
والإتحاديات<sup>60</sup>

<sup>60</sup> \_جمعنا بعض قوانين القرى و عقوباتها القبلية ، أنظر الملحق رقم 4.

## خاتمة عامة.

نأتي في ختام بحثنا الذي كان حول النظام العشائري في منطقة القبائل من خلال تنظيم تجمعات، إلى الوقوف عند أهم نتائج هذه الدراسة انطلاقاً من الإجابة عن إشكالية البحث، ثم معرفة ما مدى تحقيق الفرضية، هل أكدتها الدراسة أم فنّدتها؟

لقد تساءلنا في بداية البحث عن مدى التوفيق بين الأبعاد الحقيقية للدور الذي تلعبه تجمعات في القرية و بين التأقلم مع البيئة السياسية و الإدارية في المجتمع الجزائري، لنأتي لاستخلاص أجوبة نابذة عن مسار متوازن من البحث الميداني الذي أجريناه على مستوى قرى منطقة القبائل، و المادة النظرية التي رافقتنا كاستدلال لما تم استنتاجه من الواقع.

أولاً: من خلال تتبع الأدوار المختلفة التي تلعبها تجمعات في منطقة القبائل.

**\_ البعد الاجتماعي لمؤسسة تجمعات:** إن قوة تجمعات كوحدة عضوية تكمن في نمط تعاملها مع النسق الاجتماعي ، و دورها الاجتماعي في القرية، و ذلك من خلال تخصيص أكبر جزء من القانون العرفي المكتوب للحياة الاجتماعية، و جميعها تحث على المحافظة على قيم المجتمع القبائلي و معاييره المبنية على أسس و خصال دينية. فقد عملت تجمعات بكل جوانبها على حفظ السلام الاجتماعي في القرى، فقد رأينا أن أغلب الممارسات الاجتماعية باقية في المجتمع القبائلي: و أهمها علاقات الجيرة ، التي لازالت

بارزة، والتلاحم الاجتماعي الواضح ، إذ يصعب عليك إقامة حدود مادية بين السكنات، باعتبار أن المنازل متلاحمة لدرجة غير طبيعية، و هذا ما زاد من توطيد العلاقات بين الجيران، ليتقاسموا مجمل الحياة الاجتماعية والتعامل مع نفس الظروف والأحداث بصورة مشتركة.

ثم صفات التضامن المعروفة بها منطقة القبائل، إذ قيل لنا من خلال التطرق لهذا الجانب من الميزة " عيب أن يجوع جار و أنت شعبان"، فممارسة التضامن في القرى القبائلية أصبح إلزامي لدرجة ما، فتجمعات تفرضه بنصوص قانونية، و تحث عليه في كل الاجتماعات لدرجة أنها توبّخ كل من يتهاون في التعاون مع جيرانه، أو مد يد العون لهم، لدرجة فرض عقوبات على الغائبين في كل نشاط تضامن أو حملة في منفعة القرية لتبقى عادة تلازم المجتمع القبائلي لعدة سنين.

عملت تجمعات على المحافظة على الجيل الجديد من إغراءات العصرية، إذ بقيت تخصص جزء من اجتماعاتها للتوعية، و حث كبار العائلات للنتبه لمخاطر القنوات ووسائل العولمة، ليس لعزل الشباب عن النسيج الاجتماعي و لكن لرسم حدود التعامل مع كل ما هو جديد قد يؤدي إلى فقدان المعايير الأصلية للمجتمع القبائلي.

تفرض تجمعات عقوبة على مخالفين القيم الاجتماعية المنصوص عليها، فالتعدي على حرمة العادات، ممنوع بموجب القانون العرفي القبائلي، فبالإضافة إلى الغرامات المادية المفروضة، فتسعى تجمعات إلى وضع عقوبات خاصة تصل لدرجة النفي من القرية أو

نزع الأملاك و تحويلها للمصلحة العامة. فيعاقب بالغرامة كل مرتاد الأماكن الخاصة بالنساء في القرية، كالساقية و معبر القرية و مكان الغسيل، أو قطع الطريق عليهم، أو مراقبتهم في أماكن خلوتهم، و قد بقيت هذه العادة ليومنا هذا، ليصل حدّ العقوبة للنفي خارج القرية، بعد إحضار الفاعل و توبيخه أمام المأ في ساحة القرية. كما أنّ التعدي ليس فقط على الأملاك والأنفس، بل يعاقب كل من يتعدّى على حرمة رمضان علناً، و كل شارب خمر علناً أيضاً.

فرض الاحترام على كل سكان القرية، فلا أحد يتصرّف في معاقبة آخر دون المرور على تجمعات كوسيط اجتماعي بين المتخاصمين، فهي من تعمل على حفظ الحد المقبول من العقوبات بينهم، لتبادر بجلسات الصلح و الحث على العفو عند المقدرة، و إعادة بناء العلاقات بين الأفراد.

## **\_ البعد الاقتصادي لمؤسسة تجمعات: تلعب تجمعات دور المؤسسة الاقتصادية في**

القرية و هذا من خلال تسيير البرامج الاقتصادية و تمويلها و العمل على نجاحها.

فقد تبنت تجمعات جميع النشاطات ذات الطابع الاقتصادي، فمن خلال القوانين التي رأيناها نجد أن هناك نصوص تحدد تعاملات البع و الشراء في و التصرف في الأملاك، فقد تبين في بعض القرى أنّه لا صفقة بيع أو تبادل للعقار دون استشارة مجلس تجمعات، إذ تمنع القوانين على بيع عقار في القرية للغرباء، إلّا إذا تم دراسة القضية بشكل صارم، ثم أن تجمعات هي من تحدّد شروط العقد و تنظر في أسعار البيع التي ترضي الطرفين.

يقوم وكيل الجامع كعضو مهم في تاجماعت باستلام مهام جمع المال للخرينة، ويكون هذا عائدا من غرامات مفروضة، أو مال كراء وسائل و مرافق خاصة بالمنفعة العامة، مثل أجهزة السقي، مصابيح الإنارة للمناسبات،...و التي تكون عائداها مدروسة على حسب المستفيد. و كما أن المبالغ المالية المفروضة في كل شهر على العائلات(على حسب القرى) يتولى الوكيل جمعها، و يعمل بإشعار تاجماعت بالمبلغ المجموع، و إن كانت هناك مخالفة من أحد يتم تسجيل ذلك و طرحه أثناء الاجتماع.

تقوم تاجماعت بتسيير طقس "تيمشروط" في كل مرحله، ابتداء من الإعلان عن وقت إقامة الطقس، و ذلك بعد دراسة المبلغ الموجود لدى الوكيل، ثم عقد اجتماع من أجل تقسيم المهام، مع تهيئة كل الوسائل لإنجاح هذه الممارسة التي لا تخلو قرية منها. وقد كانت الغاية الأساسية للطقس هو إعطاء فرصة متساوية من نصيب " اللّحم" لكل فرد، و خاصة أولئك الذين لا تسمح لهم ظروفهم بأكله.

كما تعمل تاجماعت على تقنين مواعيد الصيد، حسب المنصوص عليها من طرف الدولة، و ذلك للحفاظ على الثروة الحيوانية، و الحد من الصيد العشوائي. ثم تقوم بافتتاح مواسم الغرس و التلقيح لبعض الأشجار، و مواسم الحصاد و الحرث. كي يعم نوع من النظام في المجال الاقتصادي للقرية و كي يُعرف نسبة الغلّة المرجوة من كل فصل .

**\_ البعد السياسي لمؤسسة تاجماعت:** تعتبر تاجماعت السلطة الوحيدة غير الرسمية التي تسيّر الأمور السياسية في القرى. لا يخالف القانون العرفي القانون الرسمي التابع للجهات

الرسمية للدولة، بل يُعتبر بشكل ما متوازي و أحيانا مكملا و مصححا له. فإذا أتينا للحديث عن البعد السياسي الحقيق لتاجماعت القرية القبائلية، فنجد أنه الإنفراد بالنظام و محاولة بناء أسس سياسية تليق بمجتمع تقليدي معروف بتمردّه عن كل ما هو رسمي و مركزي، وهذا ما ثبتته الدراسات التي أُقيمت على عدّة مراحل، ثم هذا ما لم ينكره السكان. فالبنية الاجتماعية هي من فرضت هذا النوع الخاص من السلطة في القرية.

كما تعمل تاجماعت على إعادة العلاقات الإدارية بين السكان و المؤسسات الرسمية لاسيما التي تتوفر في القرية و على مستوى البلديات، و المؤسسات القضائية على المستوى الولائي، المؤسسات الاقتصادية الحكومية، محاكم و مراكز إعادة التأهيل، و المؤسسات العسكرية. إذ تسمح جميع القوانين العرفية على مستوى تاجماعت بالتعامل مع المؤسسات الرسمية للدولة إذ دعت الحاجة لذلك، و لا تمنع السكان من ذلك.

تقوم تاجماعت بالمشاركة السياسية بنوع من التحفظ و خاصة في " حق الانتخاب" أو " الترشح" إذ لا تمنع على ذلك أبدا، وكما أنّها في نفس الوقت لا تقدّم تشجيعات على هذه الممارسات ( في بعض القرى) و خاصة المعادية للنظام الرسمي، كي لا يسحب السكان ثقتهم من تاجماعت، و اعتبارها طرف متواطئ مع السلطة.

**\_ البعد الديني لمؤسسة تاجماعث:** تعمل تاجماعث على إرساء المبادئ الدينية في كل مجالات الحياة في القرية، انطلاقاً من القوانين العرفية التي لا تتنافى و الشريعة الإسلامية، بل بالعكس يعتبر القرآن و السنة مصدراً مهماً لأغلب القوانين العرفية. و كما أن تاجماعث أعادت النظر في قوانين قديمة جداً تعود لما قبل الإسلام، والتي كانت نتيجة لعادات متوارثة. ثم أن البعد الديني لتاجماعث يظهر جلياً في مختلف الممارسات التي تقام على مستوى القرى، فهي تعمل على إبعاد كل تهديد للعقيدة الإسلامية، فقد بدأ نشاطها في مقاومة المشروع التصيري الذي شهدته منطقة القبائل خاصة في مرحلة الاستعمار الفرنسي.

توحي كل قوانين تاجماعث على الأخلاق الدينية، تسامح، تعاون، احترام الغير، وعدم التطاول على الإسلام و المعاقبة الشديدة على الممارسات خارج نطاق الدين. وكما أن تشجيع تاجماعث للأنشطة الدينية من بناء مدارس قرآنية و تمويلها، و كما أنها تشرف على مسابقات لحفظ القرآن. كما اعتبرت تاجماعث المسجد مؤسسة مقدّسة بدرجة أولى، و يتم التعامل مع إمام المسجد إضافة أنه عضو في مجلس تاجماعث، فهو أيضاً من يبدأ بكل اجتماعاتها، و حضوره ضروري لدوره المهم في إعطاء المواعظ و الأمثلة و الاستدلال من القرآن لكل قضية يتم مناقشتها، فلا اجتماع للقرية دون أن يستهل الإمام الجلسة بآيات بينات من القرآن مع قراءة سورة الفاتحة، و كانت هذه العادة منذ الحقبة العثمانية.

**ثانياً:** من خلال معرفة العلاقة بين الفكر التقليدي لتاجماعث، وتحديات المجتمع المعاصر الذي يأتي على كل ما هو قديم.

فمنذ عدّة سنوات واجهت تجمعات ظروف تتالت على المنطقة و أنظمة حكم فُرضت على القرى القبائلية، إلاّ أنّ النظام العشائري السائد فيها بقي صامداً، بل بالعكس كان يقوى أكثر من أجل التصدي و مقاومة خطورة الأوضاع التي لحقت بالمنطقة. فإذا تحدّثنا هنا عن مقاومة الأوضاع ليس فقط تلك المرحلة التي صاحب المعارك و الحملات العسكرية، و التي كان أهمها الحملة الفرنسية على منطقة القبائل، و كذا السيطرة العثمانية، بل و حتى إفرازات قيام الدولة الحديثة غداة الاستقلال، و التي دعت إلى توحيد نظام السلطة على مستوى الوطن و القضاء على كل نظام فرعي غير مركزي، و قد كان هذا قرار المسؤولين مباشرة بعد خروج فرنسى، باعتبارهم أنّ كل سلطة خارجة عن السلطة المركزية قد تؤديّ إلى إحداث نوع من القطيعة التاريخية، و قد تكون تهديد آخر للوحدة الوطنية، و كذا تحسين صورة المجتمع الجزائري في الخارج.

و كأنّ تجمعات تحاول في كل مرّة إنقاذ ما تبقى من نظامها العشائري التقليدي، في وسط ثورة من الحداثة بكل وسائلها، فقد وُجدت المحاكم و دور العادلة و المكاتب العصرية التي تهتم بشؤون السكّان، و التي يتم الاحتكام فيها لجميع القضايا ثم إصدار الأحكام التي على الفرد تقبّلها مهما كانت. إلاّ أنّ سر صمودها هو تقبّلها من طرف الفرد القبائلي رغم ضعف إمكانياتها المادية مقارنة بالمؤسسات الأخرى الحديثة التي تقابلها في المهام. و كذا الاعتراف على أنّها المؤسسة الوحيدة في منطقة القبائل التي توكل إليها مهام تنظيم الحياة في القرى على جميع أصعدتها الاجتماعية، الاقتصادية و السياسية.



و من هنا كلّه نأتي للقول أن الفرضية التي انطلقنا منها، قد تحققت، والتي كانت مفادها:  
أن التغييرات الحاصلة في المجتمع الجزائري في جميع ميادينها خاصة قطاع العدالة الذي  
مستة عدة تعديلات تتماشى والأوضاع السائدة في كل مرحلة، ونخص بالذكر تعديلات  
الدستور التي مست القانون الجزائري مؤخرًا و كذا الحركات التي ظهرت في منطقة القبائل  
التي دعت بالانفصال عن السلطة المركزية، أدت بسكان هذه المناطق إلى سحب الثقة من  
قرارات مؤسسات العدالة. وهذا ما أدى بالسكان إلى إيقاظ فكرة انتمائهم و العودة إلى ما هو  
تقليدي في هويتهم كحل من أجل فهم صيرورة الأوضاع في منطقة القبائل و ذلك بإعادة  
تأسيس مؤسساتها الاجتماعية التي كانت على وشك الانحلال في عجلة الحداثة و التغييرات،  
والتي تدخلت أجهزة الدولة بشكل جزئي في قراراتها، على أنّها لا تتماشى و القوانين  
الوضعية للبلاد و قد كان عودة نشاط تجمعات كأكبر مؤسسة ذات وزن في المجتمع  
التقليدي القبائلي.

# الملاحق

## الملحق الأول : دليل المقابلة:

1\_دليلة مقابلات خاصة بأعضاء أو مسؤولين في تاجماعث :

\_ماهو و منصبك في تاجماعث، و ما هي المهمة المكلف بها ؟

\_لماذا تم توكيلك بهذا المنصب دون غيره (اختياري أم حسب أسس معينة)؟

\_ما هي المعايير التي يقاس عليها من أجل انتقاء أعضاء تاجماعث؟

\_كيف يجب أن تكون أصوله الدينية ؟

\_كيف يجب أن تكون أصوله العرقية (الانتماء العائلي)؟

\_هل لديكم برنامج محدد للنشاطات و الاجتماعات ؟

\_ و هل برنامج الأنشطة و الاجتماعات موحد بين جميع القرى للمنطقة؟ وفق ماذا يتم

تسطير البرامج ؟

\_كيف يتم التجهيز لهذه الأنشطة ؟ ما هي المساهمات المادية اللازم تقديمها سواء من

طرف السكان ، أو من طرف تاجماعث كجهة منظمة ؟

\_كيف يمكن لسكان القرية المشاركة في نشاطات تاجماعث و متى يمكن منعهم من ذلك ؟

\_هل هناك مشاركة من الجانب الأنثوي في أي نشاط و ما هو الفضاء الخاص بهن؟

\_ ما قصدكم بالاجتماعات السرية ،من يخص بها ، و لماذا ؟

\_ ما قصدكم بالاجتماعات الطارئة "الخارجة عن برنامج الاجتماعات ؟

\_ هل هناك قضايا سرية يتم نقاشها في الاجتماع؟

\_ في حالة الفشل في حل قضية ما إلى أين تتجهون مباشرة؟أي ما هي الحلول الثانوية ؟

\_ هل قراراتكم قابلة للرفض أو الطعن من طرف السكان ؟و ما الحل في هذه الحالة ؟

\_ ما هي أغلب القرارات و العقوبات التي يتم فيها الرفض ؟

\_ إذا اتسمت جميع القرارات بالقبول مهما كانت على ماذا يدل ؟ هل هو خضوع أم خوف

الإقصاء للسكان ؟ أم أنّ هذا يدل على عدل قراراتكم ؟

\_ ما علاقاتكم بالبلدية كمؤسسة رسمية ؟

\_ هل هناك تدخّل مباشر للجهات الرّسمية في مؤسّسة تاجماعث ،سواء في قراراتها أو

عقوباتها؟هل قوبلت بالرفض من طرف جهة رسمية ؟ إن حدث ذلك ما هو السبب ؟

\_ ما هي مجمل إسهاماتكم أثناء التظاهرات السياسية (الانتخابات مثلا)؟

دليل مقابلة خاص بسكان المنطقة:

\_ ماذا تمثل تجمعات بالنسبة لك ؟

\_ هل تؤمن بها لحد بعيد ؟

\_ هل تؤمن بقراراتها بشكل مطلق؟ هل لكونها منطقية أم خوفا من ردة فعل كالإقصاء؟

\_ هل هناك عقوبات ترى أنها مجحفة بحق السكان ؟

\_ هل علاقة السكان و تجمعات في أحسن حالاتها أم أحيانا فقط؟

\_ هل تفضل الاحتكام إليها أم إلى العدالة كمؤسسة رسمية ؟

## الملحق الثاني: المداولات التي ألغت حق النساء في الوراثة.

الحمد لله. اللهم صل على محمد، النبي المختار. إلى عونك نتضرع يا أرحم الراحمين .

هذه الصورة عن عقد دعت الضرورة إلى نسخه تحسبا لتضرر النص الأصلي و انمحائه و خشية من تأثير فعل الزمن.

الحمد لله الواحد الأحد. لا سلطان إلا سلطانه. اللهم بارك سيدنا محمد الذي لا نبي بعده.

السلام على كل من يقرأ كتابنا. لقد شاء الله تعالى، بسلطانه الواسع جعل سوق السبت لبني واسيف زاهرا ، فانعقد به اجتماع لمرابطي بني بتون، يساعدهم عقلاء قراهم وإمام جامع تحمامت.

لقد عرض كل واحد معاناته، مشتكيا مما كان دائما سببا في حدوث معارك و اضطرابات و شقاق في القرى و القبائل و في اتحادية بني بتون. لقد كانت كل قرية ممثلة في الجمعية. و قد قررت هذه بإجماع الأصوات على أن يلغى، عند بني بتون و جيرانهم و حلفائهم، حق الميراث (بالنسبة للنساء) و حق الشفعة في أملاك الحبوس (بالنسبة للجميع)، و كل حق شفعة بالنسبة للبنات و الأخوات اليتامى، و تم التقرير أخيرا على فقدان المرأة المطلقة أو الأرملة مهرها. و بما أنه تم قبول هذه التدابير باتفاق مشترك، فلا يقبل بعودة تلك القواعد التي تم إلغائها غير الرجل الظالم. و الحال أن الظلم شيء منبوذ. و سلطة التقليد و العرف غير قابلة للانتهاك و ثابتة، شأنها شأن سلطة الملك. كل من يريد مخالفة القواعد المذكورة و انتهاكها يصبح بالنسبة للناس سببا للمآسي و الشقاق. و الحال أن " الشقاق نار" حسب حديث الرسول، صلى الله عليه و سلم. " الشقاق نار لعنة الله على من يشعلها، و رحمته على من يطفئها". أي واحد يريد انتهاك هذه القوانين، سيملكه الله تحت ثقل الخزي و البؤس و الفقر و

المصيبة في هذه الدنيا و في الآخرة، سواء كان المذنب واحدا منا أو واحدا من أبنائنا، أو من أبناء أبنائنا، و إلى أن يستمر الخلف في تعويض السلف. و إذا لم يعمل مرابط من المرابطين أو كبير من كبار القرى بهذه القوانين، فلسوف يحاسبه الله.

كل واحد من الحاضرين قال حينها ثلاث مرات: آمين ، آمين ثم بعد ذلك تسجيل أسماء المرابطين و كبار القرية الحاضرين في الاجتماع.

و قد حضر من قرية ثيقيمونين ( الحملات الصغيرة): الشريف سيدي لونيس، و العقلاء: قاسي بن علي، أحمد أمزيان، بلقاسم بن لعلام، محمد بن بلعباس، محمد بن مسباس، الشريف سيدي الحسين بن بلقاسم، سيدي علي بن عباس.

و من قرية تيروال: الشريف سيدي احمد زروق، سيدي صدوق، العادل الذي حباه الله بفضله، الحسين بن سالم، مسعود نايت حمدان، شلال بن يعقوب.

و من قرية زكنون: الشريف سيدي امحمد بن تواتي، سيدي أحمد بن أندلس، العادل الذي حباه الله بفضله محمد بن سعدي أو علي محمد بن علال، الحسين بن رحمون، ابراهيم بن عيسى، عامر بن مجبور، الموهوب بن شعبان.

و من قرية تكيثورت: سعيد بن قاضي محمد بن محمد سعيد، شعبان بن يوسف، أحمد بن حمدوش، و كاتب العقد الحاضر.

و من قرية تقيضونت: الشريف سيدي عبد القادر بن علي و العقلاء: أحمد بن شلال، محمد نايت أحمد، سليمان نايت حمدوش أو معمر، محمد سيدي بن بكوش، محمد أو حمور.

و من قرية بو عبد الرحمان: الشريف سيدي محمد إدريس، و العقلاء: محمد أو سعيد، محمد سعيد بن عمارة، عمارة نايت بن بلقاسم، أحمد أو محمد ، أعمار أو كوجيل.

و من قرية زوبقة: سيدي العربي بن منصور، علي أو سليمان.

من قرية بني عباس: الشريف سيدي عيسى، و العقلاء: موفق بن يحيى، محمد بن سي أحمد، محمد

بن سيدهم.

هؤلاء الأشخاص هم الذين جاؤوا من قبائل بني بوغكاش و بني واسيف.

من بني صدقة، أعضاء و حلفاء بني بتون، حضر:

من قرية تيمغراس: الشريف سيدي الحسين بن القاضي و سيدي محمد بن الحسين بن قار.

من قرية بومهدي: سيدي المختار بن سيدي علي، و العاقلان أعمار أو الحسين، محمد سعيد بن

محمد و الشريف سيدي محمد بن بلقاسم.

من قرية بني شبلة: النجم، موضوع الرحمة الإلهية، النجم القطبي المضيء، سيدي عمر بن بلقاسم،

محمد بن الطير، عامر أمقران.

و من قبيلة أوقدال، حضر من قرية آث عمران: الشريف سيدي الطيب، سيدي محمد بن علوان، و

العقلاء التالية أسماءهم: بوسعد إيقالان، ابراهيم بن شوموم، محمد بن سليمان أو طالب، أحمد بن

ابراهيم.

و من قبيلة بني إركن: الشريف سيدي اعمر بن احمد بن يوسف، العادل الذي حباه الله بفضله

محمد أو عامر بن حمو، و عامر إحدادن.

و من قرية إيقردلون: العادل الذي حباه الله بفضله، أحمد أو سعيد، بن عابد، عبدوش بن وريش.

و من القرية بوعدنان: بلقاسم بن محمد أو سعيد، علي بن عبد السلام، سيدي بن سعدة أو

سماويل.



و من قرية بني علي أوحرزون: الشريف سيدي عبد الرحمان بن سيدي معمر، سيدي محمد بن بو عبد الله، والعقلاء التالية أسماؤهم: سليمان بن قاسي، علي بن سليمان، محمد بن لعمارة، مهدي بن حمو، بوبكر نايت أحمد أو اعمر نايت ثارحيفث، الحسين نايت حمو، بلقاسم بن قاسي، و كذلك أشخاص آخرون.

ولا يسمح لنا نقص المساحة بذكر أسماء كل الذين حضروا من قبيلة بني بلقاسم و بني يني إلى غاية قرية بني الحسين، و نكتفي بذكر بعضهم و هم: عبد الرحمان بن عراب، يحي نايت أحمد، الحسين بن يوسف و ابراهيم بن عمارة، و هؤلاء من بني بلقاسم. و من أناس بني يني، نذكر: الشريف محمد أمزيان و العقلاء التالية أسماؤهم: محمد بن جابر، الحسين بن معمر، محمد بن مسعود. و كان يوجد أشخاص آخرون، لن نتوقف عند أسماؤهم.

لقد ألغيت الأعراف السابقة الذكر بأمر من المرابطين و العقلاء، و أي واحد من الخلف يريد انتهاك التدابير الجديدة، سوف يحاسبه الله، و السلام عليكم.

هذا ما وجدناه في النسخة الأصلية للعقد.

و العقد المنسوخ عن الأصل كتبه الفاضل، الحكيم، العالم، الفقيه سيدي عامر بن سيدي احمد بن يحي، في العام 1162هـ (21 ديسمبر 1748م)، و قد دُوّن من أجل تفادي الآثار السلبية المذكورة أعلاه من طرف الفاضل ابن أحمد بن عبد القادر بن علي، من قبيلة بني واسيف، غفر الله له و حسن من أقواله و أفعاله، أمين، كتب في العام 1225هـ (05 فبراير 1810م) الذي نتضرع إلى الله أن يرزقنا بمناسبة حلوله من خيراتة و يقينا من الشرور التي سيأتي بها، أمين.

والشهود الذين حضروا تدوين العقد المعني هم: الفاضل و العالم و الفقيه سيدي مختار بن عبد المالك، من قرية بو عبد الرحمان، سيدي بلقاسم بن اعمر و سيدي بوزيد، وكلاهما من عائلة سيدي

علي بن يحيى، علي نايت علي أو الموفق و ابراهيم بن الحاج، من قرية توريرت ميمون، سليمان نايت

قاسي أو علي من قرية بني لحسن.

و السلام عليكم من الذي ذكر اسمه في الأصل.

## الملحق الثالث: قانون معمرة القرآن لثيفريث ناث أومالك ( آيت إجر ):

لا إله إلا الله لا شيء دائم إلا جل جلاله، له ملك السماوات والأرض، هذا قانون الطلبة الذي أعد على يد الصالح، الفضيلة سيد أحمد بن مالك، فهو من جاء بهذا القانون وكتب تحت إشرافه.

إذا رغب شخص أن يقبل في المعمرة يجتمع جميع الطلبة ويتعين على من يتقدم بذلك الطلب دفع 5 دورو ( الحباس ). لا يقبل شخص غريب إلا إذا تحمل آخر مسؤوليته في حالة ما إذا أقدم هذا الغريب على ارتكاب ذنب أو أقدم على الفرار. ويدفع الطالب مبلغا إضافيا يقدر ب 5 فلس للخدم ( إقداشن )، يدفع كل واحد من فئة الإقداشن دورو إلى المقدم عند دخولهم المعمرة، يقوم هذا الأخير الذي هو رئيسهم بتخصيص هذا المال لصيانة المكان.

في حالة الضرب باليد أو الشتيمة يدفع الطالب دورو إذا ضرب خادما ( أقداش ) يدفع غرامة تقدر ب 5 تمان ( التمان يساوي 25 سنتيما )، يعني يدفع تمانا عن كل إصبع أما فيما يخص الضربة التي تكون بالحديد لم تحدث كالقاذفة مثلا، أو بسلاح كا " أجنوي " ( نوع من السكاكين ) فهي حالات لم تحدث قط، وعقوبة الضرب بالعصا أو بالحجارة هي دفع 5 ريات بسيتة وتحرق أغراض المتهم الذي ينفى من المعمرة في آن واحد.

يسلط المقدم غرامة على كل طالب يرفض حمل مواد غذائية كالقمح، والشعير وغيرهما. وعندما يسافر ثلاثة أو أربع طلبة معا يضع المقدم على رأسهم مندوبا يملك سلطة عليهم، إذا ما كانوا يسافرون على ظهور بغال تابعة للمعمرة يدفع كل واحد منهم، في حالة ما إذا امتطى الدابة في منحدر 2 دورو غرامة عن كل ميل مقطوع وفرنكين و  $\frac{1}{2}$  فرنك عن كل رأس إذا ما ركب الحيوان اثنان في وقت واحد ( في بلد سهلي ).

وفي فترة جمع الصدقات، تفرض غرامة 10 فلس على كل من يريد مغادرة القرية من دون إذن المقدم، وكذا على كل من يبدي عدم الاستعداد لجمع التبرعات: من لا يشارك في هذه العملية تفرض عليه غرامة 2 دورو وعندما تنتهي عملية جمع الصدقات يجري في فصل الصيف شراء البرتقال، وفي فصل الشتاء العنب الجاف واللحم كل ذلك بأموال المعمرة.

وأثناء تناول العشاء يعين مراقب على كل قصعة قصد فرض احترام آداب الطعام والقواعد المتبعة في هذه الحالة، ولمن يريد النهوض يقول له: " كل، يرحمك الله "، وعندما يقف الجميع يتعرض من يواصل الأكل لغرامة مالية.

وعندما يكون القدر يغلي تفرض غرامة 10 فلس على كل طالب يدخل إلى المطبخ من دون إذن الخدمين ( إقداشن ). ذات العقوبة تطال من يضرب قطا، ومن يقتله يطرد من المعمرة، أثناء العشاء يقدم الطعام أولا للقطط وبعد ذلك للشيخ، وعلى إثره لإعتابن، وبعد ذلك يقوم الخادمون بأمر من المقدم بإحصاء عدد الضيوف وبعدها يكون هؤلاء قد تناولوا طعامهم يحين دور الطلبة.

ويقوم الوكيل بعد الأشياء مثل القدور والقصعات وباختصار كل الأشياء التي تملكها المعمرة. وأثناء الغداء ( فطور الخبز ) يتحلق الجميع، الطلبة من جهة والخادمون من جهة أخرى، والجميع يأكلون معا، ومن يأخذ حبة تين ثم يضعها على الحصيرة يدفع 5 فلس غرامة إن كان طالبا، و5 أيام عمل إن كان خادما.

ولإقامة ثجماعث يطلب المقدم من الخادمين أن ينادوا على الطلبة وبمجرد أن يلتئم الجمع تقرأ الفاتحة، ثم يتناول الكلمة قدامى الطلبة، ومن يتناول الكلمة من دون إذن المقدم يعاقب بدفع 10 فلوس غرامة، وعندما يكون قد تم إيجاد حل لمختلف مشاكل المعمرة تختتم بقراءة الفاتحة.

إذا ما فرض المقدم غرامة على طالب بحضور الضيوف يحكم عليه هو ذاته بدفع 5 ريال غرامة، إذا لم يرفع الخادمون حذاء الطالب المصنوع من الجلد أو من الخشب، حين يدخل عندهم يحكم عليهم بالعمل خمسة أيام ويتلقون قرعا بالعصا على أسفل أقدامهم. وعندما يكونون جالسين في قاعتهم ولا يقفون احتراماً عند دخول طالب يتعرضون لنفس العقوبة.

ويدفع الخادم الذي يهمل كنس القاعة التي يتم فيها تحضير الكسكسي 10 فلوس غرامة أو يحكم عليه بخمسة أيام عمل ويتلقى القرع كل يوم. ويحكم على مراقب الخدم الذي يتغيب من دون أن يعين من يحل محله بالعمل خمسة أيام بالقرع على القدم كل يوم، ويتم اختيار رئيس الخدم من طرف المقدم من دون أن يتعين عليه الرجوع إلى الطلبة.

والخادم الذي يخرج من فضاء المعمرة من دون علم المسئول عليه، يحكم عليه بخمسة أيام عمل وبالقرع يوميا. وإذا ما حدث وأن طالبا غسل ملابسه لكن أحد الخدم لطخها ببقعة زيت مثلا، يشكو أمره لرفاق هذا الأخير، ويحكم عليه بخمسة أيام عمل. نفس العقوبة تطال الخادم الذي لا ياتمر لأمر صادر من طالب.

إذا ما أراد طالب كان مكلف بعمل القيام بالوضوء، فعليه طلب إذن من المقدم الذي يعين من يعوضه. والطالب الذي لا يؤدي الصلاة داخل صفه، في نفس الوقت مع الشيخ يعاقب بدفع 10 فلوس غرامة. إذا ما ضرب المقدم طالبا يدفع 5 ريالات غرامة ويدفع الطالب الذي يضرب المقدم نفس المبلغ.

ومن يتلفظ بكلام بذيء بحضور الشيخ يدفع فرنكين غرامة، ويدفع الخادم الذي يرفض بحضور المقدم تلبية أمر صادر من طالب فرنكا و 50 سنتيما أو يحكم عليه بعشرة أيام عمل. ويدفع الطلبة الذين يتعاركون بحضور المقدم مبلغا يحدده سيد المعمرة.

الملحق الرابع : القوانين العرفية و العقوبات القبلية لمجموعة من قرى منطقة تيزي وزو.

## 1\_ اتحادية آيت صدقة .

### مقتطف من قانون قبيلة أوقدال (المرج)

1. عقوبة الخيانة الزوجية بين القبائليين 50 ريال، و بين القبائليين و المرابطين 100ريال.
2. يقتل كل من القاتل و شريكه عندما تكون جريمة القتل قد تمت خرقا لعناية تاجماعث.
3. من يقول لآخر " قدر كالخنزير " يدفع ريالين.
4. من يلتقي كلبا أو قطا حاملا معه قطعة لحم، وأخذها منه يتوجب عليه إعادتها لصاحبها. غن لم يفعل يدفع 4ريالات غرامة.

### قبيلة آيت أحمد.

### مقتطف من قانون قبيلة تيمغراس

1. إذا اتهم شخص بالسرقة و هو لا يملك شيئا و لا يستطيع دفع الغرامة، وجب على ذويه نفيه من البلد، و إلا تعرض للقتل من الطرف سكان القتل.
2. من يشهد شهادة زور يدفع 50 ريال رايالا و تصبح شهادته باطلة.
3. تصدر كل ممتلكات شخص باع بيته لشخص أجنبي دون استشارة تاجماعث.

4. إذا باع شخص لأجنبي أشجارا تقع في الأراضي الموجودة بين إرف بواده، ثاقمونت،

ثاحانوتس ن إحدانن، ثارقة وريدة، تصادر تاجماعث نصف ثمن هذه الأشجار.

5. من يريد بيع بيت وجب عليه القيام بذلك أمام تاجماعث، يبادر العقلاء بتقدير ثمنه،

و يقوم أقرباء البائع بشرائه، فإذا رفضوا يقوم بذلك أهل القرية، و إذا أبى سكان القرية

شراءه، يحق للغرباء حينها شراءه .

6. من يكسر الرحي، أو يتلف القناة، يدفع 10 ريالات غرامة.

### مقتطف من قانون قرية آيت عبد العلي

1. عندما تفرض غرامة على شخص، تبقى القرية دائنة له حتى الدفع التام، و ذلك حتى

لو طالت مدة الدفع 1000 عام.

2. من وجد شخصين يتعاركان و لم يضع بينها عناية تاجماعث، يدفع ريبالا غرامة.

### مقتطف من قانون قبيلة آيت علي أو إيلول

1. إذا انتهكت عناية شخص، فقام بتقديم شكوى، لكنه سكت عنها بعد ذلك، يقدم ثورين

للقرية.

2. من يقوم بالنأر (أوزيقا) بغير حق، يعيد ما أخذه و يدفع 10 ريالات غرامة.

3. الرجال الذين يتبادلون زوجاتهم يدفع كل واحد منهم 10 ريالات و سوقهم باطل.

4. إذا بقيت امرأة أرملة مع أولادها، لا يحق لورثة الزوج طردها من البيت. و من أراد طردها يدفع 100 ريال غرامة، و تبقى المرأة في ذلك البيت تحظى بعناية تاجماعت.
5. إذا ما تركت امرأة بيتها الزوجي، و باعها زوجها لرجل القبيلة، لا حق له إلا بمطالبة ثاعامت (المهر) التي قدمها في سبيل الحصول عليها. إذا بيعها لشخص غريب، يدفع غرامة تعادل المبلغ الذي قبضه و تعتبر الصفقة و يمكن للمرأة معاودة الزواج بمن تريد.

## 2\_ إيقااون

### اتحادية آيت بطرون

#### قبيلة آيت بوعكاش

#### مقتطفات من قانون قرية تيروال

1. عندما يوصي شخص بمال لتاجماعت من أجل شراء اللحم، يقدم الورثة هذا المال للأمين أو تاجماعت، و إذا قاموا بشراء هذا اللحم بأنفسهم يدفعون غرامة مالية تقدر بعشر ريالات.
2. إذا تدلت أغصان أشجار أحد الجيران على ممتلكات غيره، تغرس قصبه بشكل عمودي عند النهاية، و تقطع كل الأغصان التي تتعدها. لكن هذا القانون لا يشمل أشجار الزيتون و التين، و مالكاها لا يقوم إلا بقطع الأغصان التي تعيق الزراعة.



3. عند الظن أن شابا أصبح قادرا على صيام رمضان، يقوك إمام القرية بتعريضه لاختيار الحبل فيمرروه حوله. فإذا مر الحبل، يدفع الشاب ريالاً واحداً و يصبح عضواً في تاجماعت العام التالي.

### قبيلة آيت بودرار

#### مقتطف من قانون قرية إغيل باماس

1. كل من يمر بطرقات القرية أو في الدرب المؤدي إلى الينبوع الذي تتردد عليه النساء، ممتطياً بغلاً أو أي مطية أخرى، يدفع ثلاثين سنتيماً (هذا التدبير ساري المفعول عند كل قبائل اقواون)

2. لا يحق لأي شخص رعي بغله في الطريق المؤدي إلى ينبوع النساء.

3. إذا توفي شخص دون أن يكون قد وفى بديونه، تباع ممتلكاته لتسديدها، والصغار الذين كانوا حينها قاصرين لا يمكنهم ممارسة حق الشفعة، عندما يصيرون راشدين.

4. إذا قام شخص ببيع جزء من ممتلكات تابعة للقرية أو ملكيات معطاة للفقراء تستحوذ تاجماعت على ثمن هذه الصفقة و تبطلها.

5. من يكلف ابنته برعي الغنم نيابة عنه يدفع غرامة مالية تقدر بريال، و يقوم برعي غنمه.

### اتحادية آيت منقلات

## قبيلة آيت عطاف

### مقتطفات من قانون آيت سعادة

2. من يقوم بتوفير عناية لشخص غريب دون التشاور مع تاجماعت، يدفع غرامة مالية تقدر بـ 50ريالا إذا كان ذلك الشخص متورطا في قضية رقبة. فإذا لم يكن قد ارتكب أية جنحة يدفع الشخص الذي أواه غرامة تقدر بـ 10ريالات.
3. من يشهد في قضية تعني شخصا غريبا عن القرية دون التشاور مع تاجماعت، يدفع غرامة مالية تقدر بـ 10ريالات.
4. كل من يقدم معلومات من شأنها المساعدة على سرقة الماشية في القرية، و كل من يبلغ عن مخبئ البضائع المسروقة يدفع 30ريالا.
5. كل من يبيع ملكية يتيم دون التشاور مع تاجماعت يدفع غرامة مالية تقدر بـ 50 ريال.
6. من يخبئ شيئا مكتوبا في هذا القانون يدفع غرامة مالية تقدر بـ 50 ريالا .
7. الغرامات المالية دون 5 ريالات تدفع في غضون شهر.
8. الغرامات المالية التي تتعدى 50ريالا تستعمل في تيمشروط، لا يقبض ذلك المال.
9. إذا ارتكب شخص جريمة قتل، في بلد غريب، بغية الدفاع عن شرف القرية، تتولى تاجماعت دفع الدية.
10. من يتخلى عن قافلة في حالة تعرضها لخطر، يدفع 10ريالات إن كان حاملا بندقية، و 5 ريالات إن كان مسلح.

11. كل من يترك القرية هروبا من دفع غرامة مالية، يقوم بدفعها عند عودته مع زيادة 50ريالا.

12. إذا ترك أي شخص القرية تهربا من دفع غرامة مالية، فمن يحاول إدخاله إلى القرية دون دفع الغرامة، يدفع غرامة تقدر ب230ريالا.

13. قرية آيت سعادة و آيت داوود(من قبيلة واحدة) اتفقتا على اقتسام دفع غرامة مالية لا تتعدى 10 ريالات.

### قبيلة آيت بو يوسف:

#### قانون قرية ثاوريرث عمران:

1. إذا ما طالب شخص بتسديد ديونه أو بحقه، وقام الشخص المدين بإشارة ساخرة كضرب كوعه في راحة يده أو بتمرير يده وراء أذنه، يدفع غرامة مالية تقدر ب 5 ريالات.

3. كل من يشهر بشخص يسكن في منطقة الشرق ( حيث يمارسون التجارة ) يدفع غرامة 5 ريالات.

3. إذا غرم رجل كان يأوي عند غيره ثم ترك القرية، لا يكون ذلك الشخص الذي آواه مسؤولا، لكن إن آواه مرة أخرى، ولو ليوم واحد يدفع غرامة مالية تقدر ب 50 ريالاً.

4. من يأوي شخصا غريبا عن القرية يصبح مسؤولا عن كل مشتريات ذلك الشخص في القرية.

5. إذا اقتسم أخوان أملاكهما وقال أحدهما أن إحدى الحصتين أحسن من الأخرى، يدفع نصف ريال غرامة.
6. إذا توفي شخص تاركا بناتا فقط، يحق لهن الحصول على ثلث الأملاك.
7. من يفر من منطقة الشرق مخلفا وراءه غرامة تفوق ريالا، يدفع ريالا غرامة.
8. من يخرج من السوق تاركا وراءه غرامة مالية تتعدى الريال، يدفع 60 سنتيما.
9. كل امرأة تقصد طاحونة واقعة خارج القبيلة تدفع ريالا غرامة.
10. المرأة التي تتوقف في منتصف طريق القرية، تدفع ريالا غرامة.
11. يدفع مالك كلب عض امرأة 5 ريالات.
12. من يتعارك في السوق يدفع غرامة السوق مع ربع ريال لصالح القرية.
13. من يسرق رفاق سفره يدفع غرامة مالية تقدر ب 10 ريالات.
14. إصلاح الضرر يساوي الغرامة.
15. من يسترق السمع وراء الأبواب يدفع ريالا واحدا.

### قبيلة إيلتن:

#### مقتطف من قانون قرية ثيفيلكوت:

1. من يغتصب امرأة يدفع غرامة مالية تقدر ب 100 ريال، ويهدم بيته.

2. من يقيم علاقات مشبوهة من امرأة، ويرضي هذه الأخيرة يدفع كل منهما غرامة تقدر ب 100 ريال.

3. عندما يقوم العقلاء بحل قضية انتهت بعقد صفقة كل طرف يريد التراجع عنها يدفع 10 ريالات.

4. يمنع الاحتفاظ بالمعز والخرفان في القرية، يجب أن تبقى هذه الحيوانات في الجبل.

### قبيلة إيلولن أومالو

مقتطف من قانون قرية تابودة:

1. من يتعارك مع شخص مريض يدفع ريالاً واحداً.
2. إذا قام رجل مريض بسبب رجل آخر، يحق لهذا الأخير تقديم شكوى للأمين الذي سيتولى معاقبة الشخص المريض.
3. إذا اتهم شخص بالسرقة دون أدلة، وجب على 7 أفراد من أقربائه أداء اليمين بأنه يسرق شيئاً إذا رفضوا، يقوم 7 من أقربائه المتهم بأداء اليمين بأن ذلك الشخص سرق ويدان إثر ذلك.

### إتحادية آيت إيجر

قبيلة إلماسن ( ناس الوسط )

مقتطف من قانون قرية ثاوريرث:

1. إذا عاقب الأمين شخصا بفرض غرامة مالية عليه فرد عليه هذا الأخير قائلاً:  
" أنت الذي سيدفع غرامة مالية تقدر بكذا "، يقوم بدفع تلك الغرامة التي ذكرها.

### مقتطف من قانون قبيلة آيت بوشعابيب:

1. حق الشفعة مكفول للأقرباء، ثم القرية، ثم للقرية الأقرب.
2. يحق لليتيمة التي لها أعمام كثر من اختيار من يقبض ثاعمامث الخاصة بها، لكن على هذا الخير أن يتكفل بكل حاجياتها ومصاريها، إذا قامت بتقديم شكوى ضده، يدفع غرامة مالية تقدر ب 50 ريالاً ويأخذ طلب المرأة بعين الاعتبار.
3. إذا قتل شخص أحد والديه من أجل وراثته، تصادر ثجماعث ممتلكات القاتل والضحية وينفى القاتل خارج القرية.

### مقتطف من قانون قبيلة آيت خليلي:

1. عندما يكون قد جرى تقسيم الممتلكات بين الإخوة أو الأولياء باختيار الحصص أو عن طريق القرعة، لا يحق لأي واحد التراجع بعد ذلك عن هذه القسمة.
2. عندما يطلق الرجل امرأته مع تحديد المبلغ الذي يجب دفعه للزواج بها، يكون طلاقه مقبولاً ولا يمكنه التراجع عن كلمته، أما إذا لم يحدد أي مبلغ فطلاقه باطل.

3. كل صفقة يجب أن تجري بحضور شهود، إذا لم يتوفر هذا الشرط فالصفقة باطلة.

4. كل الغرامات الخاصة بالسرقات أو الاعتداء على الأخلاق تصرف على نيمشراط.

### اتحادية آيت عيسى

#### مقتطف من قانون قبيلة آيت دواله:

1. إذا تزوجت أرملة لها أولاد، ثم حدث وأن تركت زوجها الثاني لكي تعود للعيش مع أبنائها، وجب على أولادها أن يقدموا لزوجها الثاني من ميراثهم، ثعمامث التي قدمها لأهمهم.

2. إذا تركت الزوجة زوجها للعيش مع رجل آخر، وجب على وليها الذي تولى تزويجها إقناعها بالرجوع إلى بيتها الزوجي أو رد ثعمامث التي أخذها إلى زوجها.

3. عندما تعاود الأرملة أو المطلقة الزواج آخذة معها ابنتها إلى بيت زوجها، يحق لهذا الأخير قبض نصف ثعمامث عندما تتزوج هذه البنت، إن كانت لا تزال في الرضاعة عند مجيئها إلى بيته، ويحق له الثلث إن كانت شابة آنذاك ويحق لورثة أبيها أخذ ما تبقى، لا يحق إلا لورثة الزوج أن يزوجوها.

4. عندما تتوفى امرأة من قرينتنا عند زوجها في قرية أخرى، يدفع والديها 4 ريالات للقرية الأخرى.

5. لا يمكن بيع أملاك الغائب، عند عودة الغائب يسترجع كامل حقوقه.

6. يمارس حق الشفعة في أجل ثلاثة أيام بالنسبة للأشخاص الحاضرين، وخلال سنة بالنسبة للغائبين، شرط أن يكونوا على علم بحقهم في الشفعة إذا زعموا أنه لم يكونوا على علم وجب عليهم اليمين.

7. لا يمكن رفض شاهد من دون تقديم أسباب ذلك.

8. يمنع عن كل طرح قضية تم حلها عن طريق صفقة تمت بحضور أعيان القرية.

9. القرض بفوائد جائز عندنا يمكن للأطراف المعنية أن تتفق على الشروط التي تناسبهما.

10. بيع القمح والتين إلخ، بالرهنية مقبول عندنا مع أنه غير جائز شرعا.

11. من يبتاع ثورا، أمامه أجل ثلاثة أيام لاختباره إذا لم يرجعه أثناء هذه المدة يعتبر مباعا.

12. من يستعير شيئا لا يكون مسؤولا عنه إذا فقده أو أتلفه يصير مسؤولا إذا تبين قدم تصريحاً كاذباً وبأن ذلك الشيء لم يفقد ولا يتعرض للتلف.

13. عندما يستأجر شخص أرضا للتكفل بمغارستها، ولا يفي بالتزاماته بعد مرور ثلاث سنين لا يقبض غير 15 سنتيما عن كل شجرة غرسها.

14. حق الشفعة يمارس على المغارسة.

15. يتكفل وصي القصر بأمورهم إلى أن يبلغ الذكور سن الرشد وتزوج البنات ولا يحق له أخذ أي مقابل.



16. عندما يقدم شخص رأس ماله لآخر بغية الزيادة من قيمته ثم اختفى هذا المال لا يحق للمول الرئيس المطالبة بمال شريكه.

17. إذا ملك القصر أملاكاً على الشيوع وتم تقسيمها من قبل ولي الأمر برضا ثجماعت، أو من قبل الأمين أو ثجماعت، لا يحق للقصر المطالبة بإعادة القسمة عند بلوغ سن الرشد.

18. إذا ابتاع شخص من قرينتنا بيتاً يقع في قرية أخرى، تتكفل ثجماعت بفتح طريق يؤدي إلى هذا البيت كي لا يضطر الشاري المرور عبر طريق القرية الأخرى.

19. إذا قامت الأم ببيع حصة من أملاك أولادها القصر من أجل التكفل بحاجيات تم التأكد منها ( من طرف ثجماعت ) تكون الصفقة مقبولة.

20. لا تقبل شكوى المرأة التي تصرح بأنها تعرضت لمحاولة اغتصاب ما لم يكن هنالك شهود، أو ما لم تصرخ مستغيثة أو ما لم تحتفظ بشيء هو ملك للشخص الذي تتهمه.

21. يرث الذكور كل ما تملكه أمهم باستثناء والدي أمهم.

### قبيلة آيت محمود:

1. كل من يسرق فخاخاً من أجل صيد حيوانات أو عسافير، يدفع ريالاً واحداً.
2. تقتل كل امرأة تحمل دون زواج، إذا رفض وليها قتلها، يدفع غرامة مالية تقدر بـ 50 ريالاً.

3. كل قبائلي يطلب الأمان من العدو وقت الحرب، يدفع 10 ريالات غرامة فهو بهذا الفعل يجلب العار لقبائليتنا.

4. من يتعارك في المسجد يدفع 20 ريالاً.

5. من يقيم علاقة مع زوجته قبل أن يكون قد أخذها إلى بيته ( بطريقة رسمية )، يدفع للقرية غرامة تعادل ثعمامث التي قدمها لها. إذا دخل المنزل الذي تتواجد فيه دون إذن من والديها، يدفع 5 ريالات.

6. كل امرأة تحلف بقسم الرجال تدفع ريالاً.

7. من ينتقل إلى صف العدو يدفع 50 ريالاً إلا إذا كان قد تعرض لانتهاك عناية كان قد التزم بها، في هذه الحالة لا يدفع شيئاً.

8. من اقتلع حطبا من سياج يدفع ريالاً واحداً، سواء قدم المالك شكوى أم لا.

9. من يقبض مالا لتوفير عناية لتجار مسافرين يدفع 50 ريالاً. إذا حدث انتهاكها ونتجت حرب عن ذلك، يدفع غرامة مالية أخرى تقدر بـ 50 ريالاً.

10. من يعيد للعدو حصاة من الغنيمة يدفع 100 ريالاً.

11. إذا حدث وأن تشكل في وقت حرب مع قبيلة أخرى حلفان في قرية، واستعان أحدهما بالعدو يدفع كل فرد من أفرادها 100 ريالاً، إذا كان عددهم اثنين أو ثلاثة تدفع الغرامة حالاً إذا كثر عددهم تدفع الغرامة بعد نهاية الحرب.

12. من يتزوج امرأة أثناء العدة، يدفع 10 ريالات إن لم يأخذها إلى بيته بعد أما إذا أخذها إلى بيته يدفع 10 ريالات ويبطل زواجهما، ولا يمكنه الزواج بها بعد ذلك.

13. من يسرق تاجرا غريبا، جاء إلى القرية وكان الشيء المسروق عديم الأهمية يدفع 20 ريالاً، أما إذا كان ذا قيمة كبيرة يدفع السارق الغرامة كأن السرقة تمت ضد أحد السكان.

14. من يحرق بيتا يدفع 50 ريالاً ويعوض قيمة الممتلكات التي كانت فيه إذا توفي رجل أو امرأة في ذلك الحريق، يدفع 100 ريال وقد يتعرض للرقبة.

15. من يسهو عن صلاته مدة ثلاثة أيام على التوالي، يدفع ريالاً واحداً.

16. من يفطر يوم رمضان يدفع ثلاث ريالات.

17. يتوجب على أمين القرية التصرف في أمور القرية كأنها أموره، إذا أسرف في الإنفاق يتحمل مسؤولية المصاريف الزائدة.

### مقتطف من قانون قرية بوهينون:

1. إذا طلقت امرأة أو ترملت تبقى كل الأشياء التي قدمها لها زوجها أو أبوها ملكاً للزوج أو لورثتها، تستثنى من ذلك الأشياء التي أقرضت لها، أمام شهود من قبل والدها أو قدمت لها بعد يوم أو يومين من ذهابها إلى زوجها.

2. إذا طلق رجل امرأة وهو بكامل صحته، ثم توفي قبل أن تتزوج تلك المرأة، يأخذ ورثة الزوج الأول ثعماث عندما تتزوج المرأة للمرة الثانية.

3. عندما يتوفى رجل من غير أن يترك أي ولد ذكر، ولا وريث غير القرية، وكان لديه بنات يكسبن حصتهن الشرعية من الميراث شريطة أن يتزوجن في القرية نفسها، إذا تزوجن خارج القرية لا حق لهن في أي شيء.

4. كل من يضرب شخصا بحضور زوجته أو ابنته أو أخته يدفع 5 دورو غرامة ( حرمة المرأة ).

### اتحادية معاتقة:

### مقتطف من قانون قبيلة إيبطران ( بطرونة ):

1. المرابطيون الذين يتصرفون بطريقة لائقة وكأناس طبيين يحصلون على تقديرنا وسنكرمهم، لكن الذين يتصرفون كأشخاص سيئين يعاملون معاملة القبائليين.

2. الوالدان هما اللذان يزوجان ابنتهما المرة الأولى، بعد ذلك يمكنها القيام بنفسها بذلك.

3. الرجل الذي يزوج ابنته أو أخته ويهملها بعد ذلك ولا يذهب لزيارتها في الأعياد ولا حين تتجب أولادها، بمجمل القول إذا لم يؤدي واجبه كوالد صالح يحق للمرأة بأن تطلب منه أن يعيد لها ثعامث.

4. كل شخص يكسو زوجته ويعاملها كما يشاء، شكاوي الزوجة في هذه الأمور ليست مقبولة.

5. إذا طلق رجل مريض زوجته خمسة وعشرين يوما قبل وفاته، لا يحق لورثة هذا الرجل أن يأخذوا ثعامث عندما تعيد هذه المرأة الزواج.

6. من أصلح أرضا وزرعها دون أن يعترض على ذلك أحد مدة ثلاث سنوات، تصبح ملكا له.

7. من يخفي سارقا في القرية يدفع 10 ريالات.

### مقتطف من قانون قبيلة آيت فليق ( الضفة اليمنى لسباو ):

1. عندما تترمل الزوجة، يمكن لأقرباء الزوج أن يتزوجوها دون أن يقدموا لها ثعامت، ويمكنهم التصرف فيها وتزويجها، لا حق لوالدها إلا في 5 دورو ( 25 فرنك )، وهذا لا يعني سوى القبائليين ويسمى تحالاقيث. لا تتم الأمور بنفس الطريقة بالنسبة للمرابطين: المرأة الأرملة ليست ملكا لورثة الزوج، والدها هو من يتكفل بها.

2. عندما تترك المرأة المطلقة بيت والديها ( للعيش في المدينة، وهذا غالبا ما يحدث في هذ القبيلة )، يعيد الوالد أو الوالدان للزوج ثعامت التي قدمها لها، إذا فرت الزوجة من بيت زوجها ( للعيش في المدينة )، لا يكون الوالد أو الوالدان مسؤولين عن ذلك. إذا قام شخص آخر بمساعدة هذه المرأة على الفراء، يكون مسؤولا عن ذلك ويقدم ثعامت للزوج. النساء لا ترثن عندنا، هذا قرار أجدادنا ونحن نؤيده.

3. إذا حملت المرأة دون زواج أو في فترة انفصالها عن زوجها، لا تصدق إذا ما أشارت إلى شخص بأنه والد ابنها ما لم تصرح بحملها قبل الولادة. نظرا لعاداتنا وعادات أجدادنا، يوجب على الوالدين قتلها ولا يمكن فرض غرامة عليهما بسبب هذه الجريمة.

4. لم يكن أباؤنا يقبلون شهادة سكان ثيقناتين، ولا نحن نقبل شهادتهم.

5. تم الاتفاق بيننا وبين القبائل المجاورة كآيت غبري وإغزوزن أنه في حال وجود مشكلة تتطلب اليمين بين رجل من قبيلتنا ورجل من قبيلتهم، على أن الطرف المعني بالقضية هو وحده من يؤدي اليمين، إضافة إلى الأقرباء الذين يعيشون معه.

6. لا نقبل شهاداتهم في قضايانا، ولا هم يقبلون شهادتنا في قضاياهم.

### مقتطف من قانون قرية إيغيل نذكري ( الضفة اليمنى لسباو ):

1. إذا تزوج رجل امرأة وقدم لها مسبقا جزءا من ثعمامث، ثم حدث وأن توفيت هذه المرأة بعد أن أخذها إلى بيته، وجب عليه تقديم ما تبقى من ثعمامث. توفيت وهي لا تزال في بيت والدها ولم تذهب إلى بيت زوجها بعد لا داعي إلى أن يكمل ثعمامث والوالد لا يرجع له ما قدم إليه. وأيضا إذا حدث وأن توفي الزوج بعد أن قاد المرأة إلى بيته يتوجب على ورثته إكمال ثعمامث، غير ذلك لا يتوجب عليهم أي شيء تجاه الوالد.

2. ممتلكات مرتكب جريمة قتل عمدي تصدر لصالح ثجماعث ويمكن أن يتعرض للرقبة.

3. من يرتكب جريمة قتل غير عمدي يدفع 100 ريال غرامة لثجماعث والدية للوالدين، لكن لا يتعرض للرقبة.

4. من يقتل سارقا في الليل لا يدفع أية غرامة ولا يتعرض للرقبة.

### مقتطف من قانون قبيلة آيت حسن ( الضفة اليمنى لسباو ):

1. إذا تركت الزوجة زوجها أو طلقت تصحب معها ولدها الذي لا يزال في سن الرضاعة، يدفع الزوج 6 دورو ( 30 فرنك ) سنويا للولد ويكسوه إلى أن يتوقف عن الرضاعة.

2. من يريد منع المرور ( بواسطة سياج أو حفرة ) في طريق درج الناس على المرور به، يدفع غرامة مالية تقدر ب 50 ريالاً.

3. من يتزوج دون شهود أو يعقد صفقة دون شهود يدفع غرامة مالية تقدر ب 10 ريالاً والاتفاق باطل.

**مقتطف من قانون قبيلة إغوزن بوادرة ( إغوزن الذين يتواجدون في الأسفل ) ( الضفة اليمنى لسباو )**

1. أجل عيب مبطل لصفقة هو ثلاثة أيام بالنسبة للثيران وخمسة عشر يوماً للبعال. أجل الحيوانات القابلة للاختبار هو ثلاثة أيام.

2. المرأة التي تحمل طفلاً لا يزال في سن الرضاعة، ويطلقها زوجها، تصحب طفلها معها ويتوجب على الزوج منحها 12 دورو سنويا من أجل رعاية الطفل. إذا تركت الزوجة زوجها بمحض إرادتها، تصحب ابنها لكن لا تحصل على أي معاش له.

3. عندما تفر الزوجة من بيت زوجها ( للذهاب إلى المدن )، يدفع والديها 150 دورو للزوج إن كانت حالتهم المالية تسمح بذلك، إن كانا من العاجزين، يتكفل سكان تاخروبيث بدفعها.

4. الأرملة التي لا تريد أن تتزوج مرة ثانية، وترغب في العيش مع أولادها، لا يمكن إرغامها على ذلك سواء تعلق الأمر بوالدها أو بأحد أقربائها ( نيتهما في هذه الحالة في الحصول على ثعماث ).

5. عندما يجرح شخص غيره ببندقية أو بسيف يدفع 50 ريالاً غرامة عندما يشفى الجريح، يحق له إلحاق نفس الإصابة بمن كان قد اعتدى عليه.

6. عندما يصبح شخصان شريكين ويقدم أحدهما للآخر رأسمالاً لشراء حيوانات، ثم يحدث وأن يصير هذا الأخير مديناً تكون الأولوية لصاحب الرأسمال.

7. عندما تتوفى الزوجة يعاد الصداق الذي قدمه لها أبوها إلى زوجها.

8. عندما يترك شخص بلدنا، سواء كان قبائلياً أو مرابطياً يبقى خاضعاً لنفس القوانين السارية على السكان. بعد وفاته لثجماث التصرف في ميراثه.

9. من يتزوج امرأة من قرية أخرى يهدي لوالدي خطيبته علبة زيدة.

#### مقتطف من قانون قبيلة إمراون ( عمراوة ):

1. عندما يكون خماس مديناً تجاه سيده ويذهب الخماس في العام التالي للعمل لدى شخص آخر، يصبح هذا الخير مسئولاً عن ديون هذا الخماس.

2. عندما يفقد شخص حيواناته يكافأ من يرجعها له 2 دورو بشارة.

#### قبائل الضفة الجنوبية لجرجرة

#### مقتطف من قانون قبيلة آيت منصور ( بني منصور ):

1. يحكم بالنفي على كل من قتل غيره ويهدم منزله أيضاً.



2. من كسر أسنان شخص آخر يدفع بالإضافة إلى الغرامة 10 ريالاً عن كل سن كسرها.

3. من يسرق خروفاً أو معزاً يدفع 6 ريالاً غرامة ويقدم لمالكها ثلاثة خرفان أو معزاً عن كل حيوان مسروق.

4. من يشتري سلعة قيد الاختبار له أجل ثلاثة أيام لاختبارها إن لم يعدها بعد تلك المدة تحتسب مبيعة.

5. عندما تتزوج يتيمة للمرة الأولى، يأخذ أوليائها ثعمامث إذا تزوجت للمرة الثانية تكون ثعمامث لها، إذا توفيت يأخذ ورثتها ثعمامتها.

6. عندما تترمّل امرأة وحدهم أقارب الزوج لهم حق الزواج بها أما إذا رفضوا فيمكنها عندئذ أن تتزوج شخصاً غريباً.

7. من يدخل في مشادة مع عجوز يدفع 4 ريالاً غرامة.

8. كل عجوز يضرب طفلاً أو شاباً يدفع ريالين.

9. من حرث وغرس حقل شخص آخر دون إذنه له الحق في البذور فقط ويدفع 4 ريالاً غرامة.

10. لا يحق شيء لمن جمع زيتون شخص آخر دون إذن منه يأخذ المالك ذلك الزيتون.

11. إذا كلف شخص بالقيام بالحصاد بمقابل ولم يتم عمله لا يقبض أي شيء عن العمل الذي أنجزه.

12. إذا احترق منزل شخص ويكون ذلك نتيجة حادث طارئ تقوم جماعته بإعادة بنائه له.

13. إذا أقام رجل علاقة مع امرأة وقام زوجها بتطليقها إثر ذلك لا يحق للرجل الذي أقام علاقة معها أن يتزوجها.

### مقتطف من قانون قبيلة شرفة ( قبيلة المرابطين ):

1. من لا يغرس كل سنة 10 أشجار تين على الأقل يدفع 10 ريالات.
2. إذا تركت المرأة زوجها يدفع من يرغب في الزواج بها 500 فرنك للزوج ويتوجب عليه ترك البلدة معها.
3. إذا كان الزوج عاجزاً تبقى الزوجة معه عاماً كاملاً، فإذا استمرت حالته يعاد إليه ما قمه وتصبح المرأة حرة في أن تتزوج ثانية.
4. من سرق ولو حذاء من بيت يستقبل ضيوفاً يدفع 50 ريالاً غرامة.
5. إذا حملت امرأة ناراً من بيت لآخر واحترق أحدهم يدفع زوجها الخسائر اللهم إلا إذا طلقها.
6. إذا احتاجت القرية إلى موقع لإنشاء طريق ندفع لمالكه ثمن الأشجار فقط لا يقبض شيئاً عن تلك الأرض.
7. إذا أراد شخص بناء منزل تتكفل القرية بنقل التراب والأحجار، إذا توفي بغل أثناء الأشغال تعوض القرية لصاحبه ثمنه.

### مقتطف من قانون قبيلة سبخة:

1. من يقتل غيره تآراً لشرفه يدفع 50 ريالاً غرامة و 200 ريالاً دية.
2. من يقتل شخصاً لسبب آخر غير شرفه يتعرض للرقبة.
3. إذا قتل شخص عن غير عمد، له أجل 10 سنوات ( لتسوية أموره ) وبعد ذلك يجري نفيه خارج البلد وإلا تعرض للرقبة.
4. من فقأ عين غيره يدفع 20 ريالاً غرامة و 60 ريالاً دية.
5. من شل شخصاً من أحد أطرافه يدفع الغرامة والدية.
6. من يقطع أنف غيره يدفع 20 ريالاً غرامة و 50 ريالاً دية.
7. من ثبتت عليه تهمة الخيانة الزوجية يدفع 20 ريالاً غرامة ويجري نفيه خارج البلد.
8. من يكون أول من يستصلح ويفلح قطعة أرض تابعة للقرية يصبح مالكاها وتقوم جماعة برسم حدودها.
9. يدفع كل من يسرق شيئاً إلى جانب الغرامة إصلاح ضرر وضعف الممتلكات المسروقة.
10. من يعترف بأنه على علم بهوية السارق ثم تراجع عن اعترافه يدفع 4 ريالات غرامة ويتوجب عليه اليمين.
11. من قتل كلب غيره، يدفع ريالين غرامة ويقدم معزة لمالك الكلب.
12. إذا عض كلب شخصاً وشله يدفع مالكة الدية.

13. من ثبتت عليه تهمة السرقة ثلاث مرات ينفى خارج البلد.
14. من يختطف امرأة يدفع 20 ريالاً غرامة ويقدم 400 ريالاً للزوج.
15. إذا امتلك شخص قطعة أرض تضم أنبدو يتعين عليه الحرث في موسم لا تتأثر فيه الأشجار بالأشغال الجارية على قطعة الأرض إذا ماتت الأشجار بسببه يعرض ثمنها.
16. إذا تركت المرأة الحامل زوجها، تسأل ثجماعت والدها إن كان يتكفل بذلك الحمل إذا رفض تعاد زوجها إلى غاية الولادة. إذا قامت بإجهاض حملها في بيتها الزوجي تقتل، إذا قامت بالإجهاض في بيت أوليائها يتحمل هؤلاء المسؤولية أي أنهم يتعرضون للقتل إن كان الطفل ذكراً ولدفع الدية إن كان الحمل بنتاً.
17. عندما تتزوج امرأة للمرة الثانية وتلد قبل 9 أشهر ويطالب الزوج بهذا الطفل بوصفه أباً له، يعطى له، لكن شريطة أن لا تكون الزوجة قد صرحت أمام شهود أنها كانت حاملاً قبل الزواج، إذا اعترفت أنها كانت كذلك، يعود الطفل للزوج الأول أو لوالديه.
18. إذا كان للمرأة المطلقة طفلاً في سن الرضاعة يبقى عندها إلى الرابعة ويدفع أبوه 10 ريالاً سنوياً لهذا الطفل.
19. إذا أرادت ثجماعت البناء في أحد المواقع تدفع إلى مالكها ثمن الأرض.

20. إذا توفي رجل أثناء أدائه عملا يدخل في إطار الصالح العام، تدفع القرية الدية لعائلته.

21. إذا عين شخص غيره ليرافع نيابة عنه في دعوى قضائية وخسرها لا يمكنه طرح هذه القضية مجدداً.

### مقتطف من قانون قبيلة القصر:

1. إذا كان عدد من الأشخاص شركاء في قطعة أرض وتوفي أحدهم تاركاً طفلاً في سن صغيرة، يتعين على الباقيين أحياء من بعده حراثة تلك الأرض إلى أن يبلغ الأطفال سن الرشد ويراعي حق هؤلاء بتمامه ومن يرفض حراثة أرض اليتامى يدفع 4 ريالات غرامة.

2. الأشخاص الذين يعقدون شراكة دون شهادة أحد أعيان القرية يدفعون 10 ريالات غرامة.

3. من يقتل زوجته يدفع 50 ريالاً لوالدي المرأة و 20 ريالاً غرامة.

4. من يخلق المشاكل بين الناس يدفع ريالين المرة الأولى، فإن استمر في ذلك ينفى خارج البلد.

5. في فصل الصيف لا يحق لأحد الإقامة في لعزيب ويجب على الجميع العودة إلى القرية للتمكن من إخماد النيران في حال اندلاعها.

6. إذا فقد شخص ثورا في الشتاء تدفع له ( ثماعونت ) تقدر ب 16 ريالاً ويحصل على الجلد أيضاً، في فصل الصيف يكون الثمن 30 ريالاً.

7. عندما يعالج طبيب شخصا مريضا لا يكون مسئولا عنه إذا ما توفي، نفس الشيء بالنسبة للبيطري الذي يعالج الحيوانات.

### مقتطف من قانون قبيلة آيت يعلا:

1. لا يقبض القاضي أي شيء عن مسائل الزواج أو الطلاق.
2. تصدر كل ممتلكات من يقدم على اختطاف امرأة تأخذ ثجماعت 40 ريالا من ممتلكاته ويقدم الباقي للزوج ويتعرض المتهم للنفي خارج البلد.
3. لا يحق للمرأة أخذ من بيت زوجها، إذا ما تركته عدا ملابسها كل الهبات التي تكون قد قدمت لها تبقى في البيت.
4. إذا طلق رجل زوجته وحدث وأن توفي قبل معاودتها الزواج تقسم ثجماعت التي تقدم لها عندما تتزوج للمرة الثانية مناصفة بين ورثة زوجها ووالديها.
5. غرامة عين فقئت هي 100 ريال.
6. إذا أعار شخص خروفا أو ماعزا لغيره ولم يتمكن هذا الأخير من إعادتهما، يدفع للمالك ريالا في السنة عن كل حيوان أعير له.
7. من زوج ابنته وأبى أن يسلمها بعد ذلك يدفع 10 ريات لمن كان من المفروض أن يتزوجها.
8. من تزوج امرأة ثم رفض أن يأخذها يدفع 4 ريات.
9. دية رجل هي 600 ريال.

10. إذا احتاج بيت إلى أشغال ورفض مالكه القيام بها بالرغم من أمر الأمين يدفع ريالين غرامة.

11. عندما نريد بناء جسر لا حق للمالكين المتواجدين على الضفة إلا في ثمن الأرض.

12. عندما يقيم شخص حفلة ويتلقى الطاوسي يقدم 4 قطع من نسيج القطن لمن أهدى له ريالاً، ومن قدم له ريالين يعطيه 4 قطع قطن من نفس النسيج وقليلاً من الكسكسي.

#### مقتطف من قانون قبيلة آيت عيسى:

1. إذا باع شخص بيته لشخص غريب عن القرية دون استشارة ثجماعث، يعيد ذلك المال للمشتري ويصادر ذلك البيت لصالح القرية.

2. الزوجة التي قتلت زوجها تقتل من قبل سكان القرية.

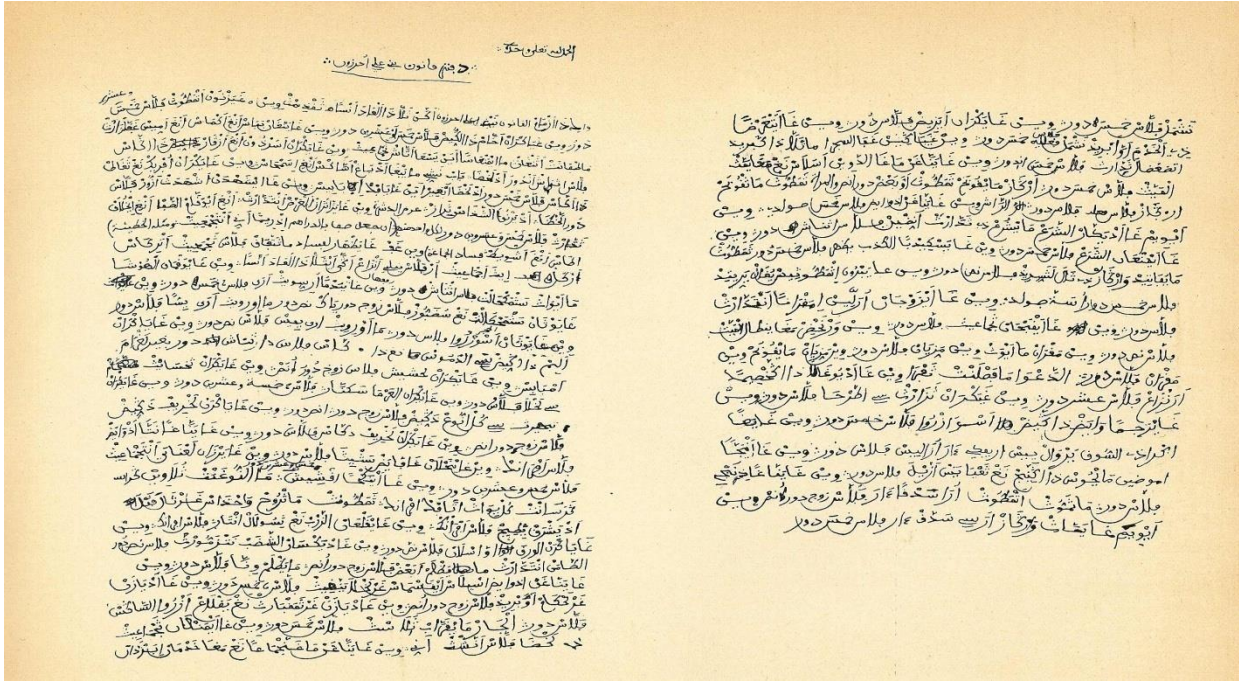
#### مقتطف من قانون قبيلة إكوران:

1. إذا فقد شخص حيواناً، يصدر الأمين في القرية أمراً بالبحث عنه، كل من يرفض المشاركة في عملية البحث يدفع ريالين غرامة.

2. لا يقسم الميراث حسب الشريعة نتبع رغبة الشخص المتوفي.

3. من يرفع دعوى ضد غيره، يتعين عليه إعلام ثجماعث وذلك قبل خصمه، إن لم يقم بذلك يدفع ريالين ونصف ريال غرامة.

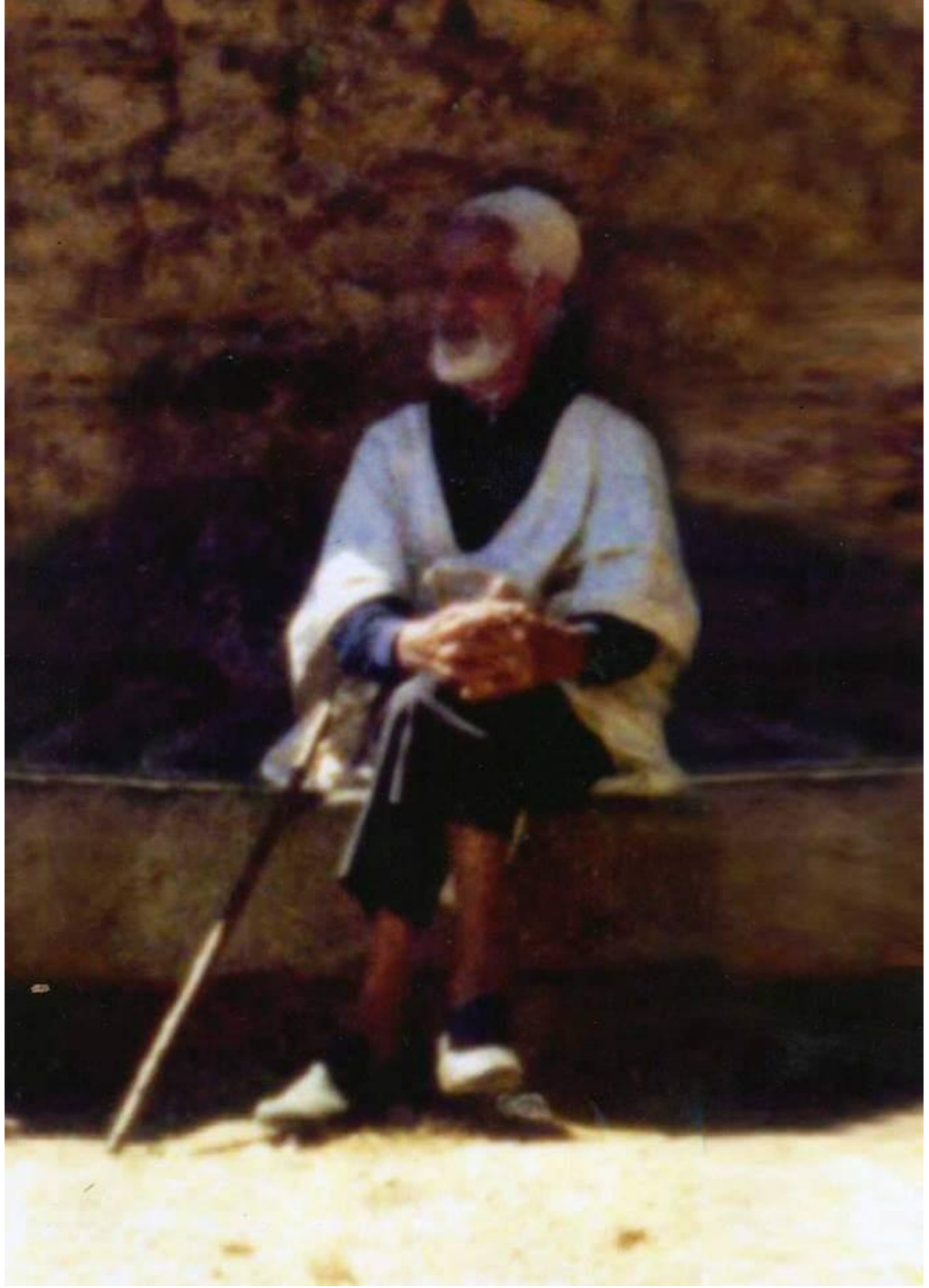
الملحق الخامس: مخطوط أصلي لقانون أثار حرزون.







الملحق السادس: أسقيف، القرية القديمة، مكان اجتماع القرية.



محمد شامي

الملحق السابع: شيخ من تاجماعت أث يني



لونيس لحوالي

الملحق السابع: القرية أٲ عيسي قديما





محمد شامي

الملحق الثامن: تاجماعث أث يني



الملحق التاسع: طقس ئيمشرط في قرية قبائلية 2010.



الملحق العاشر: اجتماع تجماعت القرية قديما.

# قائمة المراجع

## قائمة المراجع العربية :

1. \_أ.هانوتو و أ. لوتورنو :منطقة القبائل و الأعراف القبائلية ، ترجمة مخلوف عبد الحميد ، تقديم محمد أرزقي فرّاد ، دار الأمل ، سنة 2013،الجزء الثاني.
2. \_أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، مج 15، دار صادر ، بيروت ، د ت.
3. \_أجيرون، شارل روبير: الجزائريون المسلمون و فرنسا، ج 1 ، تر حاج مسعود، الجزائر، دار الرائد للكتاب، سنة 2007.
4. \_آمنة بوشارب، و مى فرج الله: القضاء في الدولة العثمانية ، الجزائر أنموذجا (1671\_1837) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، سنة 2005.
5. أحمد، أبو زيد :البناء الإجتماعي (الأنساق) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،سنة 1978.
6. -إسماعيل علي سعد : نظرية القوة في علم الاجتماع السياسي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية مصر ، د ط ، د ت.

7. -الوالي محمد ابراهيم :أصول القانون الوصفي الجزائري،ديوان

المطبوعات الجامعية 1984.

8. -أونيا محمد: التصور الانقسامي للمجتمع القروي بشمال المغرب "

ملاحظات حول أعمال رايمون جاموس و دافيد هارت\_ مجلة أمل

\_العدد 12 ، 1997.

9. -بدوي أحمد زكي :معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،مكتبة لبنان

،بيروت،سنة 1978.

10. -بلعلى يونس : الفضاء الديني و التحوّلا السّوسيو\_ثقافية في

القبائل الصغرى ماجستير علم الاجتماع ، جامعة وهران ، 2010.

11. -ببير بورديو : الهيمنة الذكورية ، ترجمة سلمان القعفراني ، منتدى

مكتبة الاسكندرية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيت النهضة ، بيروت

،ط1، 2009.

12. \_بن عبد الله سعيد: العدالة في الجزائر من الأصول إلى اليوم\_

العدالة قبل الاحتلال و أثناءه و تطورها، ج1، مؤسسة نسور للنشر

والتوزيع، الجزائر، 2011.



13. \_بوجمعة رضوان: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل،

محاولة تحليل انثربولوجي\_أطروحة دكتوراه دولة،جامعة الجزائر،

2007\_2006.

14. \_بوزياني محمد: القضاء و دوره في استقرار المجتمع المغربي

الأندلسي زمن الدولة الموحدية (541/ 667 هـ /1147\_ 1269م)

الأكاديمية،2018.

15. \_بوضياف عمار: القضاء الإداري في الجزائر ، ط2، جسور للنشر و

التوزيع ، الجزائر، 2008.

16. \_جليلي، عجة : مدخل للعلوم القانونية ، نظرية القانون بين التقليد

والحدائثة، دار الخلدونية، د ت ،

17. جصاص،الربيع :الحركات الإسلامية و التغير الثقافي في المجتمع

الجزائري ،رسالة مقدّمة لنيل دكتوراه الدولة في علم الإجتماع التنموية،سنة

، 2007

18. -جون ستوك :البنوية و ما بعدها (ترجمة محمد عصفور)،عالم

المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت،سنة

1996

19. \_خلدون، خليصة: القضاء في الجزائر في العهد العثماني (1830\_1671)، ماستر أكاديمي في التاريخ ، في التاريخ الجزائري الحديث من (1830\_1519) ، 2019\_2020م ،جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، الجزائر. سنة 2012.
20. \_رحال بوبريك: زمن القبيلة، السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي: دار أبي رقرق للطباعة و النشر، ط1 ،سنة 2012.
21. \_زين الدين بن ابراهيم بن النجيم المصري: البحر الرائق ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،سنة 1997.
22. \_سعد عبد العزيز: أجهزة و مؤسسات النظام القضائي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.
23. سعد الله ،أبو القاسم :أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الاسلامي، الجزء الرابع، سنة 1996
24. \_شارل روبير أجرون: الجزائريون المسلمون و فرنسا \_1871\_1919\_ تر محمد حاج مسعود، أبكلي، ج1،دار رائد للكتاب، الجزائر 2007.
25. \_شرقي ،محمد: التحولات الإجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية،افريقيا الشرق،المغرب،سنة 2009،

26. \_عبد الحكيم خالد الحسيني : العشائرية و الدولة ، دراسة لظاهرة المظاهرات في مدينة إربد، ماجستير في الآداب ، قسم الأنثربولوجيا ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 1992،
27. \_عبد الرحمان محمد ابن خلدون : المقدمة ،مج 1، مكتبة لبنان\_بيروت،1992.
28. \_عبد الله ،نوح: المؤسسات العرفية بمنطقتي القبائل و واد ميزاب و مساهمتهما في المرافق العامة ،مقاربة أنثربولوجية قانونية ،أطروحة دكتوراه ،جامعة الجزائر ،سنة 2009.
29. \_ساحي ،أحمد: الزواوة ،من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512\_1767م،دار الأمل ،الجزائر ،2015.
30. \_عبيد مصطفى : القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني ، عصور الجريدة ، العدد 11\_12، جامعة وهران ، فبراير 2013\_2014.
31. \_عثمان سعدي :الجزائر في التاريخ ، ط13، شركة دار الأمة،سنة 2010.
32. \_عطاف أحمد د،جردات : مؤشرات التغير الاجتماعي في قرية أردنية ،دراسة أنثربولوجية ميدانية في قرية "سمر الكفارات" رسالة مقدمة ، عمّان الاردن، 2006.

33. \_عمّار، عوابدي: النظرية العامة للمنازعات الإدارية في النظام

القضائي الجزائري، ج1، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

2003.

34. \_عواد حسن السريحي و آخرون : التفكير و البحث العلمي ، مركز

النشر العلمي ،ط1، 2011.

35. \_عويدي، العبادي أحمد :القضاء عند البدو ،نظام العشائر العرفي و

دمجه التكاملي في إطار الدّولة و سياستها من 1921\_1982،دار

جرير للنشر ،عمان ، الأردن ، ط 1، سنة 2006.

36. \_غابرييل، كامب: البربر ذاكرة و هوية ،ترجمة عبد الرحيم

حزل،افريقيا الشرق ،المغرب،سنة 2010 .

37. \_فزّاد ،محمدارزقي: المجتمع الزواوي في ظل العرف و الثقافة

الإسلامية (1749\_1949)،رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر،

سنة2011.

38. \_محمد، صخري: التطور التاريخي للقضاء الإداري في الجزائر،

الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الإستراتيجية ، الجزائر،

2018.

39. \_مزوزي صونيا : السلطة و المجتمع في الجزائر أواخر العهد

العثماني (1792\_1830) مذكرة ماستر(منشورة) ، كلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية ،جامعة محمد خيضر،بسكرة 2016/2015.

40. \_ناصر الدين سعيدي، و الشيخ المهدي البوعبدلي :الجزائر في

تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1984.

41. \_ولد خليفة، محمد العربي: المحنة الكبرى، مدخل لدراسة وصفية عن

معاناة شعبنا ومقاومته البطولية ، الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر،

1999.

42. فارس ، محمد خير :تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى

الاحتلال الفرنسي،ط1، دمشق ، سوريا، 1969.

43. \_فزاد،محمد أرزقي :المجتمع الزواوي ،في ظل العرف و الثقافة

الإسلامية(1747\_1949)رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر،سنة 2011.

44. \_قشطة،عبد الحليم عباس :الجماعات و القيادة ،دار الكتب للطباعة

و النشر ، جامعة الموصل، العراق ، د ط ، سنة 1981.

45. كركار جمال: القانون العرفي الجزائري خلال فترة الإحتلال،قانون

منطقة القبائل أنموذجا،مقارنة بين موقف القوانين الفرنسية و الشريعة

- الإسلامية ،مقال نشر في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية و الاقتصادية ،المركز الجامعي لتامنغست،الجزائر،2014 .
46. -لحسن بن شيخ آث ملويا:القانون العرفي الأمازيغي،دار الخلدونية للنشر و التوزيع،الجزائر،2006.
47. -محمد أحمد غنيم :الضبط الاجتماعي و القانون العرفي (دراسة في الانتربولوجيا الاجتماعية ) ط1 ،دار عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الجيزة ، مصر ، 2009.
48. محمد أرزقي فراد : الصلح في المجتمع الجزائري\_ منطقة القبائل نموذجاً\_ سلسلة منشورات الجيب، من وقائع حوار الأفكار، سبتمبر 2005.
49. -محمد أرزقي فراد : تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية ، منشورات المجلس ، الجزائر ، 2012.
50. -محمد الخطيب : الاثنولوجيا ، دراسة عن المجتمعات البدائية ، دار علاء الدين للنشر ، سوريا ،ط2، سنة 2009.
51. -محمد شريف فاتن :الأسرة و القرابة ،دراسات في الأنتربولوجيا الإجتماعية ،دارالوفاء لنديا الطباعة و النشر، الاسكندرية، مصر،2002 .

52. -مصطفى عمر التير : مساهمات في أسس البحث الاجتماعي ، دار

الإينماء العربي ، ط1 ، 1989.

53. -منصور مرقومة : القبيلة و السلطة و المجتمع في الجزائر ، بحث

انثربولوجي في المجال التيهرتي ، دكتوراه علوم ، سنة 2010.

54. -موريس أنجرس : منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية

، تدريبات عملية دار القصبة للنشر ، الجزائر ، سنة 2004\_كلود ليفي

ستراوس : الإناسة البنائية، ترجمة حسن قبيسي، المغرب،المركز الثقافي

العربي ، ط1، سنة 1995.

55. \_ مؤلف مجهول: كيفية سيرة الزاوة، مخطوط تحت رقم

3012،المكتبة الوطنية للتحريير.

1. Aucapitaine , Henri dit le Baron Aucapitaine , né le 04 novembre 1832 à saint\_maurice \_de \_ tavernol\_ France ; mort du choléra le 25 septembre 1867, a bni mansour Algérie . est un officier de l'armée d'Afrique chargé des affaires indigènes , qui a consacré une grande partie de ces travaux à l'étude de la Kabylie.
2. \_ Balandier ,George: **sens et puissance** « c'est l'accès au pouvoir qui donne une Emprise sur l'économie beaucoup plus que l'inverse , Ed P U F , Paris .
3. \_ Berque, Jacques : **L'intérieur du Maghreb** ,Ed Gallimard , 1978.
4. \_Bellaire, Michaux « **Organisme marocain** » ,**Revue du Monde musulman** ,1990
5. Bonte,P , **L'émirat de l'Adrar mauritanien :Harim .compétition et protection dans une société tribale saharienne**,Karthala , paris ,2008
6. \_Collona ,Fanny : **du bon usage de la science coloniale** du le mal de voir-cité par Françoise Liemdorfer.
7. \_Liemdorfer .François : **discoure académique et colonisations \_thème de recherche sur l'Algérie pendant la période coloniale** (le corpus du thèse du droit et lettres – 1880\_1962) Ed publisud /Paris 1992.



8. \_Masqueray, Émile : **Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouïa de l'Aourâs, Beni Mezâb)** (Paris: E. Leroux, 1886) (ré-édité et présenté par F. Colonna, Edisud, Aix en Provence, 1983)
9. \_Montagne ,Robert : **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires (groupe chleuh) (Paris: F. Alcan, 1930)
10. \_Nil Roben, joseph **note historique sur la grande kabylie de 1830 a 1883**, présentation de Alain Mahé, ED Bouchene, France , 2007
11. Pascon ,Paul : **Études rurales** , Ed , S.M.E.R , Rabat , 1980.
12. \_Tillion ,Germaine : **Le harem et les cousins** , Ed , du seuil , 1966

## المقالات و المنشورات الالكترونية:

13. \_ محمد العربي عقّون, « الإثنوغرافيا "الاستعمارية": شارل فيرو

نموذجاً» / *Insaniyat*, إنسانيات [En ligne], 28 | 2005, mis en ligne le 06 août 2012, consulté le 09 novembre 2016. URL : <http://insaniyat.revues.org/5318> ; DOI : 10.4000/insaniyat.5318

14. ديل أكليمان : الانتماء القبلي في وقتنا الراهن ، التدايعات و التحولات ،

مجلة عُمران ، العدد 5/19 ، سنة 2017

15. عدنان ،محمد : أعدّ التحقيق بدعم من شبكة اعلاميون من أجل صحافة

استقصائية عربية "أريج" و بإشراف الزميل سعد حتر

16. \_عبيد مصطفى : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني) ،

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،قسم التاريخ، المسيلة ،

17. \_نبيه العاكوم :الانقلابات العسكرية معضلة الشعوب العربية ' مدونات موقع

الجزيرة ، مقال في 27\_08\_2018. الثلاثاء ١٤ - يوليو - ٢٠٢٠ ١٢:٥٥

18. السّدي ياسين : العائلية و العشائرية و الحزبية ، مقال نُشر في " دنيا

الوطن" بتاريخ 16\_10\_2012

19. عن الرابط : <https://www.ammonnews.net/article/58763>

20. -محمد الصالح ، المنجد : حكم ولاية المرأة للقضاء ، مقال نُشر في موقع

الإسلام سؤال و جواب ، 2016/11/08

21. -محمد حسن ، التل : في مفهوم العشائرية ، مقال نشر عن وكالة عمون

الاخبارية ، 2010/04/19 ، س 03:53

22. -مراد مولاي الحاج : مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الانثربولوجية ،

كتب كراسك ، سنة 2002.

23. \_كركار جمال :القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال ،قانون منطقة

القبائل انموذجا مقارنة بين موقف القوانين الفرنسية و الشريعة الاسلامية ،

مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية و الاقتصادية، العدد 5 ،سنة 2014.

24. [www.aluka.net/sharia](http://www.aluka.net/sharia)

#### القرآن الكريم:

1. سورة النساء الآية 59.

2. سورة طه : الآية 72.

3. سورة الاسراء : الآية 214

4. سورة الشعراء : الآية 23

#### المعاجم:

5. معجم المعاني الجامع ، معجم عربي\_عربي .

6. معجم الرائد.

7.ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة و النشر،

لبنان، د ت.

# فهرس

## المقدمة العامة

01..... مقدمة عامة

20..... منهج الدراسة

21 ..... 1\_ المقاربة الأنتربولوجية (التاريخية)

29..... 2\_ المقاربة الميدانية

39..... 3\_ التغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري:

## الفصل الأول : المسار التاريخي و الاجتماعي لمنطقة القبائل .

44..... تمهيد

47..... 1\_ نظرة عامة حول منطقة القبائل من خلال الواقع الجغرافي و الجانب التاريخي للسكان:

47..... 1\_ الجانب التاريخي لمنطقة القبائل :

57..... 2\_ الجانب الديني و الثقافي لمنطقة القبائل :

71..... 3\_ الانتماء الإداري و السياسي لمنطقة القبائل :

80..... 2\_ وصف البيئة الأيكولوجية للمنطقة من خلال :

81..... 1\_ منطقة القبائل الكبرى

84..... 3\_ المورفولوجيا الإجتماعية لمنطقة تيزي وزو:

86..... 3\_ 1\_ النظام القبلي في منطقة القبائل :

- 88..... أ\_أخام :العائلة ، "ثواشولت":
- 90..... ب\_ثاخرويث:
- 91..... ج\_أدروم:
- 92..... د\_ثدارث" أو القرية.
- 94..... ه\_ العرش.
- 96..... و\_ثاقبيلت:
- 97..... 2\_3\_النظام الاجتماعي لمنطقة تيزي وزو:
- 100..... خلاصة.

## الفصل الثاني : في مفهوم العشائرية و عناصرها عامة و في منطقة القبائل خاصة.

- 101..... تمهيد
- 102..... 1\_العشائرية في مفهومها :
- 105..... 1\_1\_ القبيلة
- 107..... 1\_2\_ القبيلة و علاقة المصطلح بالقبائل (Les kabyles).
- 108..... 1\_3\_ القبيلة
- 110..... 1\_4\_ العشيرة
- 115..... 2\_دراسات سابقة تناولت عدة مفاهيم للعشائرية
- 116..... 2\_1\_دراسة حول النظام العشائري في مصر و سيناء :
- 117..... 2\_2\_دراسات عشائرية في فلسطين :

- 119.....:دراسات عشائرية في العراق: 3\_2
- 120..... :دراسات متعلقة بالعشائرية في سوريا: 4\_2
- 121.....:دراسات عشائرية في الشرق الأوسط بشكل عام : 5\_2
- 122..... نقد الدراسات العشائرية 3\_3
- 125..... مفهوم الزعامة العشائرية. 4\_4
- 125..... : مفهوم الزعامة 1\_4
- 127..... القبيلة في منطقة القبائل كبناء و أيديولوجيا. 5\_5
- 128..... : علاقات القرابة : 1\_5
- 132..... أ\_ النظرية التطورية في القرابة
- 134..... :ب\_ النظرية الوظيفية في القرابة :
- 135..... :ج\_ النظرية البنائية الوظيفية في القرابة :
- 136..... 1\_ نظرية القرابة عند رادكليف براون:
- 138..... 2\_ نظرية القرابة عند ليفي ستروس:
- 141..... 5\_2\_ علاقات التعاون في منطقة القبائل
- 141..... أ\_ مفهوم التعاون و عناصره
- 143..... ب \_ صور التعاون عند القبائليين
- 144..... 5\_3\_ القوة في السلطة العشائرية
- 144..... 5\_4\_ التنافس والصراع :
- 147..... 5\_5\_ علاقات السّطة

- 147..... أ\_ السلطة و تطوّر المفهوم :
- 149..... 6\_ أمثلة عن قضايا عشائرية بارزة في الوطن العربي
- 153..... أ\_ قوانين لا تجد طريقها للتطبيق :
- 156..... ب\_ التحكيم العشائري:
- 159..... خلاصة

### الفصل الثالث : نظام الجماعة في منطقة القبائل من خلال تجمعات

- 160..... تمهيد
- 161..... 1\_ نشأة تجمعات كتنظيم عشائري
- 164..... 1\_1\_ مفهوم تجمعات و الدلالات الرمزية للتسمية
- 173..... أ\_ الأمين "الأمين ن تادارث :
- 177..... ب\_ الطمان
- 179..... ج\_ وكيل الجامع "الوكيل
- 181..... د\_ إمام المسجد
- 182..... 2\_ الأعراف و قيم التضامن في منطقة القبائل :
- 182..... 1\_2\_ مفهوم الأعراف
- 187..... 2\_2\_ نماذج من أعراف لقرى قبائلية
- 187..... 1\_1\_ قرية "أث عيسي" بلدية اعكورن:

196.....	أ_ القانون العام للقريبة
199.....	ب_ القانون العام للمناسبات
202.....	ج_ القانون العام لاستغلال الثروة المائية
203.....	د_ قانون عام للجناز و مراسيم الدفن
204.....	2_3_ قيم التضامن
204.....	2_3_1_ التوزيع(التطوع) « Tiwizi »
207.....	2_3_2_ تمشيط أو الوزريعة "توزاعت" « timechret »
209.....	3_ السلطة الدينية لتاجماعت:
211.....	4_ السلطة السياسية لتاجماعت
214.....	خلاصة

## الفصل الرابع: القضاء العشائري القبائلي وأوجه الاتفاق والاختلاف مع الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.

215.....	تمهيد
216.....	1_ التنظيم القضائي الجزائري و مرجعياته التاريخية :
216.....	1_ مفهوم القضاء أ_ لغة
217.....	ب_ اصطلاحا:
218.....	2_ مسار القضاء في تاريخ الدولة الجزائرية :
218.....	2_1_ القضاء الجزائري خلال الفترة العثمانية :



- 229..... 2\_2\_ القضاء الجزائري فترة الاستعمار الفرنسي :
- 238..... 2\_3\_ إعادة بناء القضاء الجزائري بعد الفترة الاستعمارية:
- 241..... 2\_4\_ التشريع في منطقة القبائل:
- 241..... 1\_ مفهوم التشريع
- 242..... 3\_ مصادر القانون القبلي :
- 242..... أ\_ الشريعة الإسلامية
- 250..... ب\_ العوايد:
- 252..... ج\_ المثيلة
- 255..... د\_ الاجتهاد و خبرة القضاة:
- 256..... هـ\_ آراء كبار القرية
- 257..... 4\_ مبادئ التشريع القبلي في منطقة القبائل.....
- 257..... أ\_ خضوع القانون القبلي لعادات منطقة القبائل:
- 258..... ب\_ الإثبات كشرط لتبرئة أو إدانة الأطراف
- 259..... ج\_ تحقيق العدالة الإجتماعية:
- 260..... د\_ حفظ الحد المقبول في القرارات:
- 263..... 5\_ الشروط المشتركة الواجب توفرها في أمين القرية "القاضي العشائري":
- 266..... 6\_ القوانين العرفية و العقوبات القبلية:
- 269..... خاتمة عامة.....
- 277..... الملاحق

322..... قائمة المراجع و المصادر

334..... الفهرس

340..... فهرس الملاحق

## فهرس الملاحق:

الصفحة	العنوان	رقم الملحق
278	دليل المقابلة	01
281	المداولات التي ألغت حق النساء في الوراثة	02
286	قانون معمرة القرآن لثيفريث ناث أومالك ( أيت ايجر)	03
289	القوانين العرفية و العقوبات الفبلية لمجموعة قرى منطقة تيزي وزو	04
316	مخطوط أصلي لقانون أث علي حرزون	05
317	أسقيف القرية القديمة و مكان اجتماعهم	06
318	شيخ من تاجماعث أث يني	07
319	قرية أث عيسي قديما	08
320	تاجماعث أث يني	09
320	طقس ثيمشرت في قرية قبائلية 2011	10
321	اجتماع تاجماعث القرية قديما	11

*vous me faites le chantre de culture berbère et c'est vrai .Cette culture est la mienne ,elle " est aussi la votre .elle une des « composantes » de la culture algérienne ,elle contribue a l'enrichir , à la diversifier ,et à ce titre je tiens (comme vous devriez le faire avec moi )non "seulement à la maintenir mais à la développer.*

*Mouloud Mammeri , A propos des donneurs de leçons,*

*Quotidien El Moudjahid ,paru le 20 mars 1980*